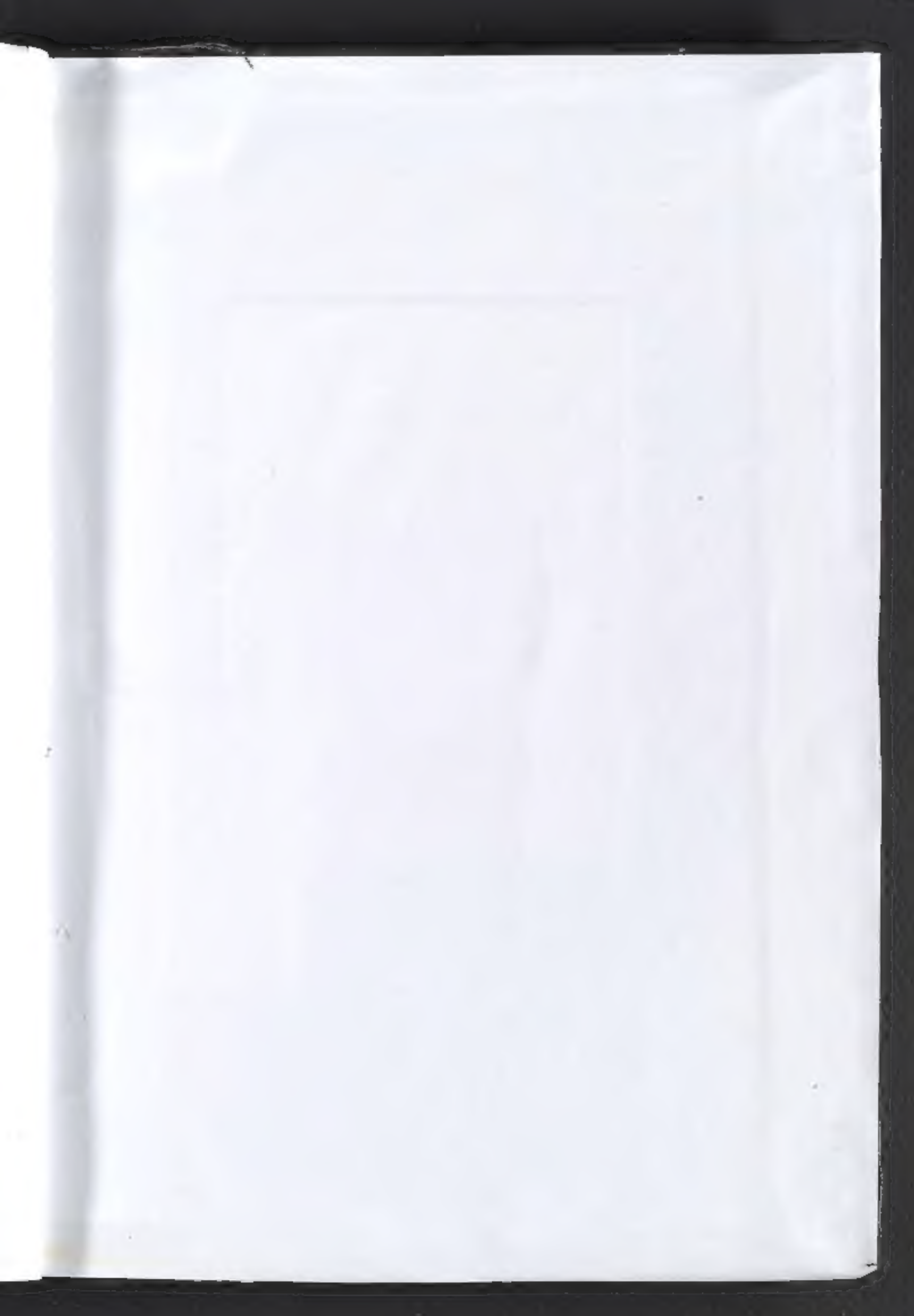


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01815 0312



1871



شفیق حبري

دکتر انتہاء الغانی

PS
7631
A23
J3
1951

دمشق ۱۳۷۰-۱۹۵۱ م

طبعة الجامعة السورية

892/7104
af 995

11.9
p.m. 8

30917

✓ ص ٧ - ٨ خاتمة القول
 ص ٨ - ١١ قصة الأثافي ١١ - ١٢ على قصته قصداً
 ص ١٢ - ١٣ موهبة الأثافي من أول هذه الموهبة
 ١٦ - ١٩ على صياغته المأخوذة

ص ٢٤ - ٢٥ شرح على ما تقدم - كتاب كذا

فاتح القول

موضوعي : كتاب الأثافي ، لست أدري لماذا اخترت هذا الموضوع ، فأنما لم
 اختره بعد إيمان في التفكير ، وإنما انطأطر خطر بيالي اوتجلا ، أذكر أنني
 اقتنيت هذا الكتاب من ثلاثين سنة ، وكنت في خلال هذه الثلاثين السنة أنظر في
 بعض ورقه نظراً ، وربما قرأت الورقة الواحدة مرات كثيرة ، ثم أطوي الجزء
 ثم أعود اليه بعد أسبوع أو بعد شهر فأرجع الى الورقة نفسها ، أو الى ورقة غيرها
 فأقف على أبيات من الشعر أو على خبر من الأخبار ، ثم أطوي الجزء ثم أعود اليه
 بعد أسبوع أو بعد شهر أو بعد سنة فأحبس ذهني على شعر أو على خبر ، وهكذا
 مرت علي ثلاثون سنة وأنا لم أقرأ كتاب الأثافي من أوله الى آخره ، ولا قرأت
 أكثره ، ولا قرأت أقله ، وإنما قرأت أوراقا منه ، فلم تعهد لي قراءة من هذا
 الشكل سبيلا الى الإحاطة بكتاب الأثافي ، غير أنني كنت أعلم أنه يشتمل على شيء
 من الشعر أو من الأخبار ليس إلا ، وأنه كتاب جليل القدر .

وفي صيف من الأصيف وقع في نفسي أن أقرأ كتاب الأثافي من أوله الى
 آخره ، ففعلت ، وكنت في أثناء قراءتي له أدون بعض الخواطر ، فلم ازدد إيمانا
 في القراءة وفي التدوين الا ازددت شعوراً بأني في أفق جديد لا عهد لي به من قبل
 فقد انكشف لي نمط من الحياة لم ينكشف لي في كتاب من كتب الأدب ،
 واجتمع لي كنز من المعرفة لم يجتمع لي نظيره ، فقلت في نفسي : اذا كنا لا نقرأ
 كتاب الأثافي الا للوقوف على بعض الشعر أو على بعض الأخبار فقد ضاع الكتاب
 بين أيدينا ، واذا كنا نقرأه للوقوف على شيء أكثر من الشعر وأبعد من الأخبار
 فقد ضعنا في هذا الكتاب لأن الحياة التي أذاع لنا أسرارها مديدة الأفاق ،

مختلفة الوجوه ، تتصل بمصور وقصور وبدول وخلفاء وملوك وأمراء وعيال
وأشباه هذا كله .

وقد عازمت بعد أن اهتديت الى هذه النتائج على أن أجعل كتاب الأغاني
موضوعاً أقرغ له وأظن أنه جدير بالكلام عليه .

وأنا أحب قبل أن أشرع في هذا الكلام أن أعرف كيف كان رأي المتقدمين
في كتاب الأغاني .

• قال أبو محمد المهلبى : سألت أبا الفرج في كم جمت هذا الكتاب ، فقال : في
خمسین سنة ، وأنه كتبه مرة واحدة في عمره ، وهي النسخة التي أهداها الى سيف
الدولة بن حمدان ، فأعطاه ألف دينار ، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال : لقد
قصر سيف الدولة ، وأنه لم يستحق أضاعها ، إذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة ،
والفقر الغريبة ، فهو الزاهد فكاهة ، والمعلم مادة وزيادة ، وللكاتب والتأديب
بضاعة وتجارة والبطل رُحانة وشجاعة والمناظر رياضة وصناعة ، والملك طيبة
ولذاعة ، ولقد اشتملت خزائني على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ، ما فيها سميري
غيره ، ولقد عنت بامتحانها في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يميز (١) عن
أسماع من قرفه بذلك قد أورده العلماء في كتبهم ، ففاز بالسبق في جمعه وحسن
وضعه وتأليفه .

إن شهادة مثل شهادة الصاحب بن عباد عظيمة الشأن ، فهي تدل على أن أئمة
الأدب كانوا يقدرُون قيمة كتاب الأغاني حق قدرها ، ومع هذا كله لم نجد في
شهادة الصاحب ما يشير الى حقيقة هذا الكتاب (فإن الصاحب بن عباد نظر الى
محاسن « الأغاني » وقفره وفكاهته ومادته ونحو ذلك ، أنه نظر الى الكتاب من
من حيث الظواهر ، ومنجد أن البواطن التي اشتمل عليها أعظم)

(١) قال الأساقفة الذين أشرقوا على طبع كتاب الأغاني في دار الكتب المصرية :

ولعلها تحزب بمعنى يثيب ويعقبي .

(ومثل هذا القول ما قاله أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة :
لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره ، وأنه كان
جليسه الذي يأنس اليه وخدينه الذي يرتاح نحوه)

لستبسط من هذا كله أنهم كانوا يجدون في مطالعة كتاب الأغانى لذة منقطعة
النظير ، كان هذا الكتاب يرضي ذوقهم وشعورهم وعاطفتهم ، وكم كنت أحب
أن أجد في أقوالهم ما يدل على اهتمامهم الى الناحية الباطنة فيه .
أما الثعالبى فإنه لما تكلم على أبي الفرج الأصبهاني قال : والذي رأيته من كتبه
كتاب القيان وكتاب الأغانى ، فلم يقل في كتاب الأغانى كلمة ، لاجليلة ولا دقيقة .
وهذا رأي نسبة الصابي الى الوزير المهلبى في كتاب الأغانى ، فقد قال فيه :
وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه .

ولا يخرج عن هذا الرأي ما قاله ياقوت في معجم الأدباء : لعمري ، ان هذا
الكتاب لجليل القدر ، شائع الذكر ، جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدد
البحث والهزل الذموت وقد تأملت هذا الكتاب ، وعينت به وطالعت مرارا وكتبت
منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ونقلته منه كتابي الموسوم بأخبار الشعراء
فأكثرت وجمت تراجمه .

فهذه شهادة تضيفها الى شهادات الساحب وعضد الدولة والوزير المهلبى ، فلا
يختلف رأي ياقوت في الأغانى عن آراء الذين ذكرتهم ، فليس في هذا الكتاب في
مذهبهم الا الجدد والهزل ، والا العلم والحفظ وما شابه ذلك .

(فلنبعد عن عصور اوائلك الأئمة ، ولنقرب من ابن خلدون ومقدمته تكاد
تكون دائرة معارف ، قال ابن خلدون :

وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني ، وهو ما هو ، كتابه في الأغانى ، جمع
فيه أخبار العرب وأشعارهم ونسائلهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبتداء على الفناء في
المائة صوت التي اختارها المفسنون للرشيده ، فاستوعب فيه ذلك ثم استيعاب وأوفاه
ولعمري أند ديوان العرب ، وجامع أشقات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن

من فنون الشعر والتأريخ والقناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك
فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها وأنشئ له بها .
فإن خلدون لم ير في الأغانى الأخبار العرب وأشعارهم وآدابهم وأيامهم ودولهم
ثم امتد نظره فرأى فيه ديوان العرب وجامع أشقات المحاسن التي سلفت لهم في كل
فن من فنون الشعر والتأريخ والقناء وسائر الأحوال ، واني أجد في كلمة : وسائر
الأحوال ، ما يدل على شيء من حقيقة ما يتضمنه كتاب الأغانى ، على الرغم من
أن هذا الشيء غامض ، ثم نظر ابن خلدون الى قدر هذا الكتاب فعرف هذا القدر
فقال : ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو اليها الأديب
ويقف عندها ، وأنشئ له بها .

وكيف كانت الإشارة الخفية التي أشار اليها ابن خلدون في مقدمته ، فقد
بقيت النواحي التي صورها كتاب الأغانى مخبوءة ، غير مكشوفة ، لأن المصر الذي
عاش فيه ابن خلدون لم يك عصر دراسة للكتب على نحو الدراسة في عصرنا هذا .
واذا أحببت التبسط في هذا الباب امتد بي نفوس الكلام ، فحسبي ما ذكرته
من الآراء والشهادات ولم أوم من ورائها الى الاستدلال بها على قيمة كتاب الأغانى
أو على مقادير محتوياته ، وإنما أردت أن أعرف كيف نظر المتقدمون الى هذا
الكتاب ، حتى أقايس بين نظرهم اليه وبين نظرنا في هذا العصر ، وهذه المقايسة
وحدتها هي التي تبين لنا الفرق بين عصر وعصر ، أو بين طور وطور .

فهل اختلف رأي المتأخرين في كتاب الأغانى عن رأي المتقدمين .
طبع كتاب الأغانى في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وقد نقل الأمانة
الذين تولوا طبعه جملة من مقدمة الأغانى ، ثم قالوا في تصديرهم :

« غير أن هذا الكتاب الجليل القدر الذي يعتبر مصدراً للأدب العربي وينبوعاً
يفتقر منه كل متأدب ولا يستغني عنه أديب . . . »

فالذي يحده أن هؤلاء الأمانة رأوا في كتاب الأغانى مصدراً للأدب العربي
وينبوعاً يفترق منه كل متأدب ، ولا يستغني عنه أديب ، ولكني أرى أن كتاب

لأنه قد يكون مصدر تصوير حياة يحذيرها .

وقد حدثت أن أسأل استاذ عظام اغدر من شدة هذا العصر عن رأيه في كتاب الأنعام ، ومعهده الله أن يكون سواي إليه على سبيل الامتحان ، فما كان رأيه فيه يشد عن رأيه ما كتب قرأ منه ورقاً متقصه ، ثم لم يجد فيه إلا أشعاراً وحار ، ورأى أنه حطط لما شيد كثرة ، ولولاه لفضاعت علينا هذه الأشياء .

وهل لي من حرج إن ذكرت في اجتماع في بيروت (١) إلى إمام الأدب الدكتور طه حسين ، فسأني عن رأيي في كتابه "الأدب" ، فقلت له : دراسة كتاب الأنعام ، فتبين لارتجح في وجهه ، ثم تحدثت نصف له في رأيي في جميعها وانصبت لي الكلام ، وأنت تشعر بأني كما ذكرت له ، حية من رداءه راراً وأرته حياً حتى قال : هذا عمل لم يعمله غيرك ، ثم طاب لي حفظه الله أن سألني إلى مصر في شتاء وأن أحاضر بكتاب الأنعام في مصرتين أو ثلاث محاضرات .

توحيث من هذا رأيي الذي ذكرته ، فيه على حلاله ودر الأنعام في نظر أئمة هذا العصر ، على أن لم قرأ كتاب الأنعام كما يجب أن قرأه ، فقد فهمه إهملاً لا بهمي أن يطول أكثر من ذلك ، ولست أرى في الذي فهمت عليه من دراسة كتاب الأنعام شيئاً من الفخر ، فكل واحد يستطيع أن يقرأ هذا الكتاب ، فيشأ له في قراءته رأي ، ولكن كل واحد ينظر إليه من وجه وأرجو أن تكون الوجه التي نظرت إليه منها صحيحة ، هذا كل ما أتمناه ، وهذا كل ما أحبه فيه .

مقدمة الأغاني

على أي شيء يشتمل كتاب الأغاني، هذا ما يريد أن تبحث عنه في هذا الفصل. —
إذا أردنا أن نعرف الموضوعات التي يحتوي عليها كتب الأغاني لربما قبل كل شيء أن نرجع إلى مقدمة الكتاب، وسجد في هذه المقدمة أشياء غير محتويات الأغاني، سجد فيها الغاية من تأليف الكتاب، ورأي صاحبه في فائده الكتاب وطبيعته وصحة أخباره، وجهته في تصنيفه، والناسخ على تأليفه، والمشقة التي احتملها، ثم نجد في خاتمة المقدمة شيئاً يدل على ورع المؤلف. —

يقول أبو العرج في صدر المقدمة: (١)

هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي، الكاتب المعروف بالأصمغاني، وجمع فيه ما حصره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية، قديماً وحديثاً، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره، وصانع لحنه وطريقته من إبقائه وإصاحبه التي ينسب لها من طريقته، واشترط أن كان بين اثنين، على شرح لذات وتلخيص، ومفسر المشكل من عربيته، ومالاً على عن غيره من عدل إعرابه وأعاريف شعره التي توصل إلى معرفة بحرته ووسمة أخاه. —

ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه، إذ كان قد أورد لثلاث كتباً مجرداً من الأخبار ومحتوى على جميع العلماء المتقدم والمتأخر، واعتمد في هذا الباب على ما وجد أشاعره أو مضيه أو السبب الذي من أحله قيل الشعر أو صنع اللحن حراً باستفاد وبحسن تذكره ذكر الصوت معه على قصر ما يمكنه

(١) عني في دراسة الأغاني على نسخة في مكتبتي بمصر هذه نسخة مصححة

لأستاذ شيخ محمد شفيق

وأبعده من الخشو وتكثير بما نقل القائده فيه ، وثنى في كل فصل من ذلك مدح
تشاكله ، وابع تليق به ، وفقر ادا ثمتها ، قرنها ، بل متفلاهم من فنده الى
مثبها ، ومتصرفا فيها بين حد وهزل ، وآثار وحار ، وسير وشعار متصقة بآيهم
المرب المشهورة وحارها المأثورة ، وقصص موب في احاديثه والحقاء في الاسلام ،
تحمل باثاديين معروف ، ومحتاج الأحداث الى دروسهم ، ولا ربيع من فوفهم من
الكهول عن الاقتباس منها . اذ كانت متحلة من عررا الاحبار ، ومتفدة من عيوسها
وماخودة من مطامهم ومنقولة من اهل الخبرة بها . —

هذا ما قاله أبو الفرج في صدر مقدمته ، وهو كلام واضح لا غموس فيه .
وأبو الفرج ثم كتبه ليجمع فيه الاعاني مريه ، ودمتها وحديثها ، فافرض
الأول من تأليف الكتاب جمع الاعاني ، وقد سجد هذا الجمع ما نشر ابيه من
حد وهزل ، وثر واحبار ، وسير وشعار ، متصقة بآيهم الرب المشهورة ، وحارها
المأثورة ، وقصص الموب في الاحاديث ، والحقاء في الاسلام . —

وبعد ان أتى على ذكر عايتهم من تأليف الكتاب عرت عن ربه في فنده ما سجدله
من قصص وحار وأنام وشعار وسير وآثر وحد وعزل ففان :
تحمل باثاديين معروف ، ومحتاج الأحداث الى دروسهم ، ولا ربيع من فوفهم
من الكهول عن الاقتباس منها .

ثم أشير إشاره حفيه الى طبعه هذه المحتويات وصحتها ففان :
اذ كانت متحلة من عررها ، ومتفدة من عيوسها ، وماخودة من مطامها
ومنقولة عن اهل الخبرة بها . —

ولما كان الغرض الأول من تأليف كتاب الاعاني جمع الاعاني مريه ، فقدمها
وحديثها ، لزمنا أن نعرف هذه الاعاني التي جمعها حتى لا يفوت شي ، بما ذكره في
مقدمته ، قال أبو الفرج : فصدر كتابه هذا ، وبدأ فيه بذكر المائة الصوت
المختاره لأمر المؤمنين لرشيد رحمه الله تعالى ، وهي التي كان أمر إبراهيم بن موسى
واسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء باختيارها له من الفناء كله ، ثم روفعت الى

الوثن بالله ، رحمة الله عليه ، فأمر إسحق بن إبراهيم أن يختار له منها ما رأى أنه
 أفضل مما كان حثير متقدما ، فبذل ما لم يكن على هذه الصفة ما هو أغنى منه
 وأولى بالاختيار ، ففعل ذلك ، وبيع هذه قصعة في اختاره غير هؤلاء من
 متقدمي السنين وأمر أمير هذه الصفة من الأنبياء ، ولا صوت أتى بجمع المقام
 عشر مشتقة على سبعة الأنبياء واللاه ، ولا إرسال ثلاثة المختارة ، وما
 تشبه ذلك من الأصوات حتى تتقدم غيرها في شهره ككتاب معبد ، وهي سبعة
 أصوات ، والسبعة التي حملت بارأها من جملة من تسريج وحير بينهما فيها ،
 وكأصوات معبد ، معروفه ، فافها ، وربت بونس كاتف ، فإن هذه الأصوات
 من سدور الغناء وتواتبه وما لا يحسن تقدمه غيره تمامه ، وتسريج ذلك بأغاني
 خمسة ، وتولادهم ، ثم سائر هذه الذي سرف له قصعة تستعمل وحدها يستحسن
 دأيس لكل الأنبياء حير تعرفه ولا في كل ماله حير فائدة ولا يمكن فيه بعض
 الله هذه روق روق ، حير وبسبي جامع

ووقع على أول كل شعر فيه عند ما يكون علامة ودلالة عليه سبيلها
 ما فيه صفة من غيره ، وربما في حال هذه الأصوات وحيرها شعير قدب
 في ثلاث سبيل وهي سبيلها ، وأبسط من الأغاني المختارة ، ولا من هذه الأنجناس
 مرسة ، ولا يوجد من ذكرها معبد ، لأنهم أرا فردت عنها كاتف إما مقطعة
 الأحبار ، غير مشاكلة لمتأثرها ومعددة حيرها ، وفي كاتف حائرين خلاف
 بحيرها هذه الكتاب ، وقد أتى بصفاها التي لديها تطاون حيرها وتكثر قصص
 شعيرها مع غيره من الأصوات والأحبار ، ولا يمكن شرحها جميعا في ذلك الموضع
 مثلا سقطت الأحبار المذكورة بدحواله بينها ، فيؤخر ذكرها إلى موضع يحسن
 فهمها ، ونظرت له بصفاتها ، غير قطع أسرار غيره منها ، ولا معرودة لقرائن توسطها
 لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل وثيق .

قد عرفت ما حتى لا لا تفتن من شيف كتاب الأنبياء ، وربما في فائده
 محتوية وفي طبيعتها وصحتها ، وعرفها الأنبياء في جميعها ، فمن اداسه عن كتاب

الأعاني استعملنا أن نصفه بحسب ما وصفت به مادحة في مقدمته من حيث عرقه
وفائدته وطبيعته وصحة شجره ، أو من حيث نفعه

برم ، بعدد كله أن يعرف ثواب كسبه ، وكيف يجب أن يحرث - الأعاني
هدد الأعاني ، فليسمع ما قلناه في هذا المعنى :

وأهل من تصفح ذلك كتاب ركب حبيبته ثواب على طرائق العبد ، وعلى
طاقة بعض في زرعها ومربها ، أو على ما نفعي به من شعر شجره

• يستخرج من هدد الأعاني أن نرى في كتاب حبيبته ثواب ، ووصفاته
فيه ركب حبيبته ، من غير ريب ، وذكر ما ذكرنا من أنصبيف ، هل
سبي ذلك سببه ، أم بعدد تعدد

هدد يفسد هدد كله

والأعاني من ذلك وصفت على ما ذكرنا من عمل ، ومن

ما ، حرمه ، وأما الأمانة في شجره ، كان من ذلك من حرث
والأنصار ، وطعمه ثوبه وطبيعته ، ومن من شجره ، من الأمان
ثم عمر من ثوبه ، ثم نصيب ، ثم حرق ثوب كسبه الحرق ، ومن كان
ترتيب شعراء فيه حق آخر ، بأوله ، وجعل على حسب ما حضر ذكره ،
وكذلك من الأمانة الحرق ، ومن حرقه على غير ترتيب شعره ، ومن
ويعني المعنى في كتاب حبيبته ، ومن حرقه على غير ترتيب شعره ، ومن
أخبارها ، وأما هدد في المعنى

ومنها : أن الأعاني قلنا أي من ثوبه شعره ، من المعنى في حدائق
مختلفة ، لا يمكن مع ترجمته على حدائق ، من بعض طرائق ولا بعض
المعنى أولى بسنة الأصوات فيه من الآخر .

ومنها : أن ذلك لو لم يكن كما ذكرنا ، لم يكن له ، من ثوبه شعره ، ومن
وأخذه ، وما حرمه إسحق وغيره ، من أن ثوبه شعره ، من ثوبه شعره ، ومن

٢٠ على كثرة حشوه وقلة فائدته ، وفي هذا تقض ما شرطناه من إلغاء الحشو وأن
أني سمعت ديت ، فيسب الكتاب إلى قصور عن مدى غيره ، وكذلك تجري
أخبار الشعراء ولو أنما تدعي به في شعر شعري منهم ولم تتجاوزته حتى تفرغ منه
لجري هذا لجري ، وكاتب للنفس عنه سوء ، ولعلب منه ملته ، وفي طابع
أكثر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من مجهود إلى مستجد ،
وكل مسفل إليه إلى شيء إلى نفس من أمته عنه ، وانسطر غلب على القلب
من الموجود .

وإذا كان هذا هكذا في رسد أحلى وأحسن ، ليكون القاري له
ما تعلقه من خبر إلى غيره ، ومن نفسه إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى
محدثه ، ومليك إلى سوية ، وحدث إلى هزل ، نشط فزته ، ونشوي تصحيح
فنونه ، لاسيما والذي ضمناه إياه أحسن حسه ، وضع ما كتب في يده ، وباب
ما جمع في معناه .

٢١ هذه هي العمل الثلاث التي تمت تأليفها على أن ترتب تصنيف كتابه ثوبا
والعمل المذكور التي تستعمل بغيرها أكثر من غيرها إنما هي قوله في العلة الأولى :
ويس امرئ في الكتاب ترتيب الطالع ، و٢٢ أخرى فيه ما صممه من ذكر الأعيان
بأخبارها ، وليس هذا ما يصير ٢٣ .

٢٤ لم رم تأليفها في كتابه إلى ترتيب طاقات البصير والشعراء وأما رمي إلى
ذكر الأعيان بأخبارها ، فإن كان هذا هو عرضه فهو يرى أنه لو أن أخبار الشعراء
ومعنى مسئلة بحيث لا يقطع أخبار كل واحد منهم حتى يفرغ منها . كتاب للنفس
عن هذا التمرار من الترتيب فهو . وللقلب منه ملته ، ولما كان واقفا على طباع البشر
وعارفا بما هو عنه هذه الطباع وتماثل منه وجد أن في هذه الطباع محبة الانتقال
من شيء إلى شيء ، والاستراحة من مجهود إلى مستجد ، وأن كل منتقل إليه شيء
إلى النفس من مستقر عنه . وانسطر غلب على القلب من الموجود ، وإذا كان هذا
هكذا فهو يعتقد أن ترتيب كتابه على الشكل الذي رتب عليه أحسن وأحلى ،

ليكون القارىء له بانتقاله من خبر إلى غيره ومن قصة إلى سواها ومن
 حار قدعة إلى محدثة ومبيت إلى سوقه وحدث إلى غير ذلك من نشاط قراءته، وشي
 لتصفح فنونه .

من هذا الكلام نعرف أن الفرق بين المصور، فالهاسن التي رها أبو الفرج في
 كتبه رايها نحن مساوي، ونحن نصح في كتاب الأعي في عصره هـ من
 التي الذي يستأنس به صاحبه، نحن نرى أن كتب لورثت فيه طبقات شعراء
 وأممير لكان شدة مناسبة روح العصر، لأن أسلوب التأليف فرائض عما كان
 عليه في المصور القديمة، وما يوجد هذا المجهود في قراءته كتب الأعي ودراسة
 لا الوقوف على هذه الأشياء الممثلة في صفاته حتى نستطيع أن نؤمن بين الأحرار
 تشاكلة، فإذا وجدنا إلى هذا التأليف سبباً لا حطة بأنواع الحياة في صورها
 أو الفرج، فهو صيف كتبه نوانا تمت به هذه لاحظته دول شيء من التعم .

ولم يبق لنا بعد هذا كله إلا أن نعرف من الذي بعث صاحب كتاب الأعي
 على تأليف كتابه، فكأن أن أبا الفرج لم يهمل في مقدمته ذكر المسألة من تأليف
 كتابه وفائدة هذا الكتاب وطبيعة أخباره وصحبه، وكما أنه لم يهمل عن ذكر
 الأعي العربية قديمه وحدثها ولا نسب في من أحبا رل نصيب كتبه نوانا
 وكذلك لم يغفل عن ذكر الذي بعثه على تأليف هذا الكتاب، فقال :

والذي بعثني على تأليفه أن رئيساً من رؤسائنا كافي جمعه له ويري أن به
 أن الكتب المنسوبة إلى إسحق مدبوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل
 المائدة وبه شبه في نسبه، لأن كثير أصحاب إسحق يسكرو به، ولأن
 حمادا أعظم الناس إنكاراً لذلك، وقد لعمرى صدق فيما ذكره، وأصاب فيها ذكره .
 فإذا عرف البعث لأن الفرج على تأليف الأعي فسنقرأ أحبار هذا الكلام
 الذي ختم به مقدمته :

تكالفت ذلك له على مشقة احتملها منه، وكراهة أن يؤثر عني ما بقي على

لأنه محبها ، والملي على قلبه مديونا وان كان مشوفا عوائد حمة وممان من
الآداب شريفة .

وكأنه يحسب منه على أن يكون كتب لأعني مديونا اليد على طول الأديم
على رسم من أشبهه على فؤاد حمة ، وممان من آداب شريفة ، وما وسعه في مثل
هذه المحاسة وفي مثل هذه الورع إلا أن يستعير الله فيقول :

ويعود الله ما تسخطه من قول أو عمل ويستعيره من كل موهبة وحليلة
وقول لا يوافق ربه ، وهو ملي مضمرة والتوفيق ، وعليه توكل وإليه يبت .

هذا ما يشتمل عليه كتب الأعني بحسب مديونية ، وأما إذا كان يحسب
هذه المشتملات وحدها فتعبر في الأعني مربية ، فبها وحديثها ، وفي شيء
من جدل قول وهزل ، وفي حمة من لآلئ ولا حصار وسر ولا شعاع وقصص
، وفي أحدهما واحد في لاسلام ، وفي حمة بعض النعمان وأشعره .

ويحسن محمد بن تاج مرآة في مقدمته ، لا يشاره إلى الأعني ، ولم يزل يشي
مدالاه بذكره ، وكان ركب الأعني متفرقا ، لا سيما كالأعلى إذا اطرأ حنا
من كتب لأشعر في مديونية ، في كتب على حاله من حيث محتوياته ، فإن
ما صممه إليه من جد وهزل وأثر وأخبار وسر وشعر وقصص ، وما أحله ،
لا يؤثر فيه طرأح الأعني .

أما هذه الأعني مربية ، فما فيها في فبين ولا كثير ، ولهذا فهي لا تنكح
في هذا كتاب على حد ، لا أي لا تحدد نذوله ولا أمهر في فوائده ولا تتمكن
من سرور ، فالذين همهم من العرب وطوروا بحروف في تسع الأصوات التي
ذكرها أبو عمرو في معجمه ، لا سيما معرفة هذه الأطوار ، وفي كل حال أي إذا تحطيت
كلامه على هذه وجات في كتب الأتاني مجالا أوسع للكلام على أمور غير الغناء .
أي نجد في كتب الأعني مديونية ، قصي قول فيه ، مديون أشعر وميدان
أشعر ، أما أشعر فقد أحلت كلامه عليه في حين التمرع من هذا الكتاب .
فسأفرد أشعر أبو الناصب فيها موضوعاته وطواره ، ونحو ذلك .

لا تكلم في هذا الكتاب إلا على لئلا وحد ، ونعي بالمر ما أشار إليه تو
انفرد من حد وهرن وآثر وحادر وسير وقصص وغير ذلك ، ولكي لا تنظر إلى
هذه الأمور نظرة أي المخرج ١٣ ، أي نظر بها بحسب روح العصر ، فـ
ستخرج من هذه قصص و - ير وهذه الأحدث والآثر المرفقة في صف
الكتاب من غير ترتيب ولا تصنيف ما يصور تمتد من الحياة كحد فيره وسأوضح
هذا كله في الفصل الآتي .

موضوعات الأغاني

ذكرت في الفصل الماضي ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من موضوعات بحسب ما أشار إلى هذه الموضوعات صاحب الكتاب نفسه في المقدمة .

والتي نظر إلى كتاب الأغاني من الناحية التي يسطرها إليه مؤلفه ، أي أرى في هذا الكتاب حبيب صروباً من موضوعات لم يشأ أبو المرح أن يذكرها بأسمائها ، وقد أن أحسن هذه الموضوعات لا أرى بأساً أن تكلم في الفصل الآتي على صاحب الأغاني من حيث تقويمه وطائفة من أخلاقه وشبهه .

فإن فرغ من هذا كله انتقلت إلى الكلام على أسلوبه في حديثه وروايته .
فما أشبهه بأحد في المرح إلا بشعرها إلا في خلال البحث عن تحقيقه ، فإذا وجدت هذا التحصيل استقامت أن أحوص في طائفة من الموضوعات التي يحتوي عليها كتاب الأغاني .

أول هذه الموضوعات التراجم ، من خصائص التراجم في كتاب الأغاني وصف هيأت أصحابها وملابسهم وما تكلمهم ومشاربهم ونحو ذلك .

ومما شاع بعد كلام على التراجم في كلام على العامة ، من بعد هذا الفصل فصل الإمامة أو العوام ، بيد أن أدراك حياة الاجتماعية التي وصفها أبو المرح في كتاب الأغاني ، من هذه الحياه ، في تلك الأيام الكثر ، كيف كان المعلمون يملكون الطلاب في المكتبات ، وهم كانوا يحتملون إلى الكتب أو المكتبات ، وهل كان السبيان يدرسون في المساجد ، وكيف كانت مكافأة السبعين من الطلاب في تلك العصور ، هذا ما سيطر عليه في فصل الكتائب ، وسأشهد مجلساً من مجالس الطلاب وزي أسلوباً من دراستهم ونظماً من هزلهم .

وإذ خرجنا من الكتائب دخلنا ملاهي اقوام ، فرئنا كيف كانوا يقصون

لهوم ، وشهدنا أجناس شرايهم وأنواع زنتهم وهيات حورهم .
والكنا لا تقتصر على شهود الملاهي وحدها ، بسدح دل دور دساس ونري وندم
وأوانهم وورشهم وثياهم .

إلا أنا لانكتفي بهذا كله ، فقد مهد لنا أبو الفرج سيلا إلى دخول قصور
الخلعة ، وصور لنا من البناء في الحجاز والشام والعراق حتى اطلعنا على هذا كله
في كتابه .

غير أننا لانهدي إلى الحياة الاجتماعية إلا إذا تغلفنا إلى أندية تلك المصور
ومطاعمها ، وخانها وسمما قصاصها ورثها مصورها .
فإذا فرغت من مشهد هذه الحياة اطمعنا على خصائص بعض الاقطار كالخجاز
والشام والعراق .

وهكذا ينتقل من مشهد إلى مشهد ، ومن معرفة إلى معرفة حتى نصل إلى
عادات المتقدمين في إفراحهم وأحزابهم ، وطبع على ما يبدو في قديم المصور .
أما الميدان الفسيح الذي حل فيه نوافل الفرج فهو ثمة الحرية ، فلا يخفى علينا
شيء من حرية المرأة في الروح ، وتفكيرها في حرية الصلاح ، ولا يخفى علينا شيء
من تحذنها إلى الرجال ومن حجابها وسورها ومن محاسنها ومن تقاضها الأدبية .
ولم يكن مجاله في الكلام على حرية الناس بأقل من محله في الكلام على حرية
المرأة ، وسشهد حرية الناس في مقامات خلفاء والأمراء ، والأمم ، في الدولتين
الأموية والممسية كما سشهد حريتهم في المعتقدات والاستحقاق عقوبات لأموور
وحريتهم في التربية والقضاء .

وكما نعم الناس في القديم بحلاوة الحرية فكذلك شقوا بمرارة العبودية وقد
عرض علينا أبو الفرج نماذج من هذه العبودية في أيام بني أمية وبني عباس
غير أن الموضوع الذي نسط في نوحه كل التسط عما هو موضوع للهو والتندر
وسشهد في هذا الفصل عرائب لأموور وعجائبها .

وقد يكون الفصل الذي سميته : الغناء في القصور ، ثمه فصل للهو والتذير

تلخيص أخباره على اختلاف موضوعاتها وانما همنا أن نستخرج منها مادة نستعين بها على فهم حياتنا في الماضي . .

لقد اطلعنا على أشياء كثيرة في هذا الكتاب ولكن لا رل حارس في أمره .
أصبح أن أنا المرح لم يرم في تأليف كتابه لا لي جمع ما حصره وأمكنه جمعه من
الأغاني العربية قديما وحديثا . فها هذه الآثار والأخبار والأسير ولأشعار متصلة
بأيام العرب المشهورة وأخباره المأثورة وقصص النبوة في حياته واحتماء في
الإسلام . فهل تستر جمع لأغاني يسترأ حتى سمع إلى ما مع انه من كشف فقط .
عن أنماط من الحياة لولا معرفتنا ايها الماندا كثير من تاريخنا ولكن هذا
الاستر . ولو كانت الأدب في عصره لأن هذا مخو من الأخبار التي رواها
لوصل اليها شيء من استنكارها والذي راد أن نألف المرح في كتابه في عصر كانت
روحه مناسبة روح تأليف هذا الكتاب ولو وقع شيء من تناقض الروايات انتهى
اليها أمره .

ولكن لما روى أبو الفرج أخباره ولم يعلق عليها ، مادا روى هذه الأخبار
وذلك للقارىء حرية ندرها ، أفكان يحنى شئنا من دولة سبطان .

هذه أمور عرسها ولا رى لها اصحاب ، لقد عمد أبو الفرج إلى أنواع من
الأخبار لم يعتمد اليها غيره ، انه لما تكلم على نحو بعض احده . وتبريرهم وتزويدهم
تكلم على أشياء مخفية فكان هم أن يدخل قصور الخلفاء ويسمع بأدبيته ما يستأقطنونه
من الأحاديث ويرى بعينيه منازل الخواري والقبائل ، نفسيات من قلوبهم فكان له
رعة خاصة إلى أشياء هذه الأخبار حتى علم الناس ما يجري في قصور حكامهم
وأمراتهم وعما لهم وحتى يطلعهم على أمور مذهب بكل هيئة وكل حرمة ، فدا كانت
عينه ما نشرت اليه فلا شك في أن فصله عظيم ، فقد سه الأذهان على أمور كانت غفلة
عنها ، والخلاصة اذا رمى في تأليف كتابه إلى بعض ما ذكرته فكذلك راد أن
يستثير العصور على شكل من الحياة ، وقد آن لما أن نعرف مرامي أبي الفرج ونن

نبحث عنها ولم يقتصر في أغايه ، على أحجار الخلفاء وحدهم وإنما كانت إذا روى
أحجار أهل صلة بحرية الناس وعموديتهم روى من هذه الأحجار ما يقوي الميل إلى
هذه الحرية والنعرة من هذه السودبة وقد اطمعنا على مظاهر الحرية وعلى مظاهر
السودبة فوجدنا من هذه الحرية ما لا يحده في عرق الأمم فيها عصرنا هذا ، ووجدنا
من هذه السودبة ما لا يحده في شدة لأمم رعه إلى الاستعداد وكذلك كان إذا
وصفنا موكب الخج فكأنه كان يريد أن يقول : إذا حجب الناس فلا يحجب كلهم
مرضاة لله تعالى وإنما كانت تحري أمور في مواسم الخج لا تحري في غير المواسم ،
كان همه في كل ذلك أن يدنا على حقيقة الحياة في تلك المصوّر حتى نراها بأعيننا
ونسلمها بأدانتنا ونلعبها بأيدينا .



أبو الفرج الأصبهاني

أرى قل أن نحوس في الكلام على كتاب لاغني أن نكلم على صاحب
اللاغني نفسه، إلا أني لأزبد أن أرحع إلى الكتب التي اشتمت على رحمة أبي الفرج
الأصبهاني، ولا سيما كتاب معجم الأدباء، وما أريد أن أستخرج من كتاب
اللاغني نمدج من ثقافة الأسرة التي نشأ فيها أبو الفرج، ومن طائفة وخلقته،
ونختم هذا كله بمص القول في التشيع الذي يمس إليه وفي الشعوية
التي يتهم بها.

نشأ أبو الفرج في بيت يذوق أهله الأدب ويحملونه أحاديثهم فقد روى يتيمن
من الشعر لأبي نجدة واسمه نعيم بن سعد، شاعر من بني عجل وهما: (١)
يا بن الذين سما كسرى لجمعهم فخللوا وجهه قاراً بذي قار
دوخ خراسان بالجرد العناق وبألبان الرقاق بأيدي كل مسمار
ثم قال: وكان أبو نجدة هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف
منقطاً إليه وكان سبب قوله هذا الشعر أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز
التحق إلى عمرو بن الليث وهو يومئذ بخراسان فقم ذلك أحمد وقتله ودخل عليه
أبو نجدة فأنشده هذين البيتين وبمدهما:

يا من تيمم عمراً يستجير به أما سمعت بيت فيه سبار
المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فسر أحمد بذلك وسري عنه وأمر لأبي نجدة بحائزة وحتم هذا الخبر بقوله:
سمعت أبا علي محمد بن المربان يحدثني رحمه الله بهذا على سبيل المذاكرة وكانت
بيننا وبين آل المربان مودة قديمة وصهر.

ثم روى حراً آخر فقال (١).

حدثني عمي قال : حدثني أبي قال : سمعت محمد بن عبد الله بن بريات يقول :
شعر الدس طرا لدي يقول .

وما نألي وجير القول أصدقه حققت لي ماء وجهي أو حققت دمي
وأحدثت أن أنشد إبراهيم بن العباس وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب ،
فحدثت إليه وكنت حري عنده بجرى الولد ، فقلت له : من أشعر أهل زماننا
هذا ، فقال : الذي يقول

مطر أبوك أبو أهلة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا
نسب كأن عليه من شمس اصحى نوراً ومن فوق الصباح عمودا
ورنوا الأنواء والخطوط فاصبحوا حموا حدوداً في أهل وحدود ،
فدققا على أن أنا تعلم أشعر أهل زمانه .

في هذين الحرس الصغيرين ما يدل على نوع من الأحداث أي كان يشاغلهم
أهل أبي الفرج في بينهم ، وهي تحدث بتصل بالأدب .

وكما نشأ في بيت يتصل أهله بالأدب ، فقد نشأ في بيت يتصل أهله بالفناء ، قال
في أخبار جميلة (٢).

وحدثني عمي ، وكانت نس من أبي ، وعمرت بعد ، فقت : كان السب
في طلب بيت الفناء والموصاة عليه خماً سمعه لجميلة في منزل بوس من محمد الكاتب ،
فانصرف وهو كثير حزين مغموم ، لم يطعم ولم يقبل عليه بوجهه كما كان يفعل ،
وسأله عن السب ، فأدب ، فأخبر عليه ، فبهري وكان لي مكراً ، فقصت
وتمت من ذلك المحسن لي بيت آخر ، فتعني ورماني وقال لي أحدثك ولا كهن
ميت ، عشقت صوباً لامرأة قد ماتت ، فأدبها وصوبها هثم إن لم يتداركها الله

(١) حرة ١٥٠ صفحة ٩٦

(٢) حرة ٧٠ صفحة ١٣٢

منه برحمته ، فقالت : تَطْلُ نُنْ مَنَ حَبِي لَت مَيَّة . قل : بل لا شئت ، قرب : فما
تعليلك قلت بما لا يعطاه الا بي ، ولا بي هذا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما شئت
الصوت فهو أن تحذفه و عليه عشر مرار ، فتعلمه ويذهب شئت له ، فكانه ارعوى
ورجع الى نفسه ، وقام فقل رأسي ودي ورحلي ، وقل لي : وحب عي ما كتب
فيه من الكرب و مم ، ثم عثر : حيث نبي ، يعني وبصر ، ورم بب يوسف حي
حديق الصوت ولم يكت لا رما سيرا حتى مات يوسف ، نعم لي : سطر
وكان من أحذق أهل زمانه بالقناء وأحسنهم أداءً عن معنى .
وفي هذا الخبر إشارة الى معرفة والده أبي الفرج بأعداء وفي تنمته إشارة الى
دوق عمته في حماء ، وهذا هي تنمة :

قال عمي : فقلت لا اراهم : وما حبوب ، فأنشدني شعروه بحسن :
 من السكرت عرقه تسمني سبيمه طربته
 من أناني سكرة الأكره حبصه حب يودي فصفيت
 ومن حنّار ربّ هدر العري ونسحب هدي ورميت
 موت إذ شحطت دارها وأجسادا لا فيت
 فاقسم لو أن ما بي بها وكتب الطب لداويها

قلت عمي : هذا شعر حسن ، فكيف به إذ فطّيع ومثله مد لا طربة
وضرب عنها ، فقص لي الذي على لحن لي عري .

فإن قولاً مثل هذا قول مصحح عن روق في الشعر و موسيقى معاً
 من طول ما عني فرج في حماء بعد أمر يؤيده فيفه فيه ؛ من ذلك رسالته
 إلى مصحح إخوانه في علل النعم : وقد أشار إليّ في الأغاني^(١) ، ولا أحب أن
 ذكر شيئاً غير ما ذكر في الأغاني ، ومن ذلك حوله في المطرب والمطربات
 والمرسلات والمشافات في كتاب حادي من أنمة بسين ، وآرؤه في هذا المعنى
 مشوثة في أصناف كتاب الأغاني .

هذا شيء من حديث الأسره التي تعرض فيها أبو الفرج الأصماني ، ومن طلب بعضها اغناء وأبو طه عليه ، فإذا كان أبو الفرج إماماً في الأدب واغناء ، فلم يك يئته ضرباً عنهما .

نما طريقه وميله إلى التورير وهذا أمر مشهور ، ومحمد الهرل مستقيماً في كتاب الأعراف من البداء إلى النهاية . وما نطّل أن في حاجة إلى التنبه على آثار هذا الهرل ، فكتاب الأعراف مملوء بالنوادير

وإذا شئت من كلام على طريقه إلى الكلام على بعض أخلاقه وحدثنا في هذه الأخلاق كثير آمن بمساحة والانصاف ودب النفس وعبر ذلك ، وقد سمعنا معرفة هذه الأخلاق أصلها القوية بروايته ، لأن كتاب الأعراف مبني على الروايات والأشياء . فمن أخلاقه أنه لا يحمل لأخلاق أهل الفن صلة بقدر فهمه ، فإذا ذكر طائفة سيئة من أخلاق بعض الشعراء فإنه يفصلها عن شعريهم ولا يجعل لها تأثيراً في نقد هذا الشعر .

من هذا النحو رواية خبر في كلامه على الأخوص ، فقد روى هذا الخبر بأسانيده فقال (١) :

بعث يزيد بن عبد الملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء ، فأمر بهجاء يزيد بن المهلب ، منهم عيرود و كثير والأخوص ، فقال الفرزدق : لقد امتدحت بي المهلب بمدائح ما امتدحت عثلاً أحداً ، وإنه لم يبع عثلي أن يكذب نفسه على كبر السن ، فليعفي أمير المؤمنين ، قل فاعفاه ، وقال كثير : إني أكره أن أعرض نفسي لشعر أهل العراق إن هجوت بني المهلب ، وأما الأخوص فإنه هجاهم ، ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الخراج بن عبد الله الحنكسي وهو ثوري وكان وقد كان منع الخراج هجاء الأخوص بني المهلب ، فبعث إليه برث من خمر ، فأدخل منزل الأخوص ثم بعث إليه جيلاً ودخل منزله ، فصاؤوا الخمر على رأسه ، ثم

أخر حوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح فأمر بحلق رأسه وخبثه وصره لحد
بين أوجه الرجال وهو يقول : ليس هكذا تضرب الحدود ، ففعل الجراح يقول :
"حل ، ولكن لا تمهأ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يستنر ، فأعصى له عليها .
قال أبو الفرج بعد رواية هذا الخبر :

وأيضاً ما جرى من ذكر الأخوص أنه له المص منه في شعره ، والكد ذكره
من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدم وتأخر ، وفصيلة وقصص ، فأما فصيلة
وتقدمه في شعر فتعالم مشهور ، وشعره منى عن نفسه ، وبدل على فضله فيه
وتقدمه وحسن رونقه وسهده وحسنه .

هذا كلام عينة في رقة اللغد ، تكاد يكون مثل لأعنى في هذا الدب وحارة
في عصر مثل عصرنا ، تعود أكثر من فيه أن يكون حكمه على رجل من رجال
الفن مبدئياً على قدر محنتهم إياه ، أو بنفهم له ، يستدرون في من قال لا لي ما قيل
فيطمسون احساسات ، ويستدرون عن استنث ، يذكر "تو اخرج ما يروى عن الشاعر
عما يستفده الناس تأخرأ ونقصاً ، ثم لا يعمل في هذا كله عن الشهادة له بحسره بق
شعره وصفائه ، كان حديراً مثل هذه الشهادة ، فلا تحمل له نص مبدئياً إلى النص
من فصيلة شعر .

ولم يكن أبو الفرج قول النص فلا في عام منه الأخوص ، قال : (١) وفي عصر
هذا من شعبي له فيفرط حتى فضله على كل سالف وحاص ، وأقوم بتعمدون
الردى من شعره فيسترونه ويطوون محاسنه ، ويستعمدون فحجه والكارية في
ذلك ، يقول الخاهل بهم هم لم ينفو عن هذا وتمييز الأدب فاصل وعيد شاف
وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويحملونه وما جرى مجراه من
تلب الناس وطلب مما يهيم سبباً للترفع وطلباً للرياسة .

هذا هو لأصاف في اللغد ، وقد كان يحب علي أن أو حل هذا الكلام إلى

حين كلام على نفسه الأديني نوعي مناقشة ورواية، ولكي اضطرت إلى ذكره
في مثل هذا المقام بدلائله على بعض خلافه، في هذا السطر من الكلام مسمى
الانصاف، فأنوا عرج وقد ربه يفت في حكمه موقفاً وسطاً لا ينحصب على أحد
ولا ينحصب لأحد، ولكنه يتوحي حق، وقوله هذا الذي ذكرته يدل على أنه
عنه مسمى، راقب الناس في خلافهم، ثم نشر حبا ويسطها وبين الملل والأنساب
فيها، فإذا قلبت من ساء وطلبوا معاهدهم فم يعملون هذا وشاهد طلاقاً للرؤية
وسبباً للرفع.

وقد استمر في هذه الأحلاق ما تولى للدفاع عن ابن عمر، فقال: (١)
ولكن قوماً ردوا ربهموا أنفسهم وضيعوا وشهدوا بذكرهم الحامل، ويعملوا
قدارهم الساقطة باطن على أهر بعض وأمدح فهم، ولا يردون ذلك إلا صفة
ولا يردد الآخر إلا إرغاماً لا نرى إلى ابن عمر قد قتل أسوأ قتيلاً ودرج،
فم سبق له حلت فقرضه ولا عقب رفيع منه، وما يرداد أده وشعره وفصله وحسن
أشاره وتصرفه في كل من موعوم لا روم، وعدواً ولا نظر إلى صدده كل ردوا
في طعمه وفقرط أنفسهم وسلاهم الذين كانوا مشبه في ثلثه وأطعن عليه إلا ردوا
سقوطاً وضعة وكل، وصفه شعاعهم فقرطه أدبه إردادوا بها ثقلاً ومعتاً، فإذا
وقع عليه المحصل له فن مدوا عن ثده في الآداب إلى التشيع عليه، ثم الذين
وعجا، آل في طالب، وهم أول من ومن ذلك وشنع به على آل أبي طالب عند
المنكي حتى م عمه فعدوا من عيب أنفسهم بدت في عيه ورتكوا أكثر منه.
وإذا عشت شيئاً في هذا الدفاع في أي من نحن من صفات قد تكون جافية مثل
هذه الصفات: أنفسهم الوصيمة وقدرهم الساقطة

لأن دفعه عن ابن عمر لم يمنعه عن الإشارة إلى تحامل من يحكي عنه بن
ابن عمر في بعض الأحيان، فكانه طبع على التجرد والانصاف، يأخذ الحق بن
بثيقته ويبحث عنه في مطابته.

فأنه ما تكلم على عريب الحميه (١) ذكر الدرس قائلوا فيها ان عداها سم صوت في معنى واحد ، وهي عملة صوت واحد ، وترى هذا القول اطعن عده ، فقال أبو الفرج في الدفاع عما :

وحكى أيضاً هذه الحكاية عنه ابن المعتز ، وهذا تحامل لا يحل ، وعمرى ان في صنعها لا شياء مرذولة يتيه ، وليس ذلك ، يصعب ولا عري كبير شيء من المغيثين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صنعة النادر والمتوسط ، سوى قوم معدودين ، مثل ابن مخنجر ومعد في القدماء ومثل إسحق وحمد في متأخرين وقد عيب مثل هذا ابن سريج في محبة ولعله ان انشأ يقول : إني اني ابن سريج الأرمال والخفاف ، وعداؤي يصحح الأثر من وانه لا تهم له ذلك وفقى بقوله : لقد حبت نعم الدنيا بوحدها . مساكين ما بين الله نأثر فدمع

ثم توفى بعدها ، وعناؤي عري محري يعيب عليه . وهذا إسحق يقول في أبيه على عظم محله في هذه الصناعة ، وما كان إسحق يشيد به من ذكره وتفصيله على ابن جامع وغيره : لأنني ستمائة صوت ، مما مائتان شبه قيراء قدومه وأى ما في نهاية من الخودة ، ومائتان ساء وسط ، مثل أعني سائر الدرس ، ومائتان فلسية وددت انه لم يظهرها ويلبسها نفسه ، فستره عليه ، وقد كان هذا قول إسحق في أبيه فمن يستدر منه من أن يكون له حيد وردى ، وما عري حدر في صناعة من الصناعات من حال يفضله عن العادة لأن السجل نبي يردد له مضمونه ، ومقصودان حيلة طمع شو آدم عليها وليس ذلك اد واحد في بعض أعني عريب ثم يدعو الى اسقاط سائرهما ويلزمه سم انصاف والين .

ويلغ من انصافه انه لما ذكر كعب بن الأشراف لم يحسه حقه على هو ربه وعلى عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : (٢)

وكان شاعراً فارساً وله مناقصات مع حسن بن ثابت وغيره في خروب اني كانت بين الأوس والخزرج تذكر في مواضعها ان شاء الله تعالى وهو شاعر من

(١) الجزء ١٨ الصفحة ١١٦

(٢) الجزء ١٩ الصفحة ١٠٦

شعراء اليهود كل فصيح وكان عدواً لبي صلى الله عليه وسلم بهجو أصحابه
ويجحدل منه العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بهراً من أصحابه فقتلوه في داره
فلا ريب في أن لاشادته بمجولة شعراء وعصا حته ذيل على راءته وانصافه .
وأحر ما ششبهه في هذا الباب كلام له على حخطه ، فانه لما تكلم على محمد

النصبي صاحب الانصاب وأول من غنى بها قال : (١)

ودكره حخطه في كتاب الطورين ، فأتى من ذكره النبي يس من خمس
أخبار . ولا رمانه ، وثله في ذكره ، وكان مذهبه ، عه الله عا وعده ، في هذا
الكتاب ، ان يثبت جميع من ذكره من أهل صاعته بأقبح ما قدر عليه ، وكان يحب
عليه صد هذا لأن من انتسب الى صاعته ثم ذكر متقدمي أهل كان الأحمل به
ان يدكر بحسن حارم وطريف قصصهم ومليح ما عرفه منهم لا أن يثلمهم عما
لا يعلم وما يعلم .

أقد حطنا يسير من أخلاق أبي الفرج في الانصاب والراية والتجرد وأدب
المفس ونحوها .

بقيت مسألة تشيعه ، وهذه مسألة حليلة اصلها صحة رويته ، بسبب غايي
الكلام على الشيعة فقد فاس في هذا الكلام صاحب المال والتحل ، وفصله تفصيلاً ،
ودكر فرق شيعة ، فليس لهذا كله صلة بالموضوع الذي أعالجه في هذا المقام ،
وإما إذا تعرضت لتشيع أبي الفرج في كتاب الأتالي فأنما أتمرض له للبحث عن
آثار هذا التشيع وعوفه في أخبار ورويه وأحاديثه وما شبه ذلك ، فان الذين
ينسبون التشيع ايه لا يقتصرون على مشايخته علي رضي الله تعالى عنه أو لذريته
وإما يريدون بذلك أنه غير ثقة في الأخبار في رويها عن الذين انحرفوا عن علي
وحزبه وقائوم كشي أمية مثلاً أو كشي عباس الذين قتلوا الطائين .

هذا كان هذا هو المراد بتشيع في الفرج وكنت لا أجد في روايته أثر
التعصب في هذا التشيع فقد رمي أن أفس في كتاب الأتالي عن مواطن التي صهر
فيما تجرد في الفرج في قتل أخبار طائفة من خلفاء بني أمية ولأميا يزيد بن معاوية ،

فإن تشيع أبي الفرج يقتضيه التحامل عليه أو العصب منه ومن حسنة أو القلوب في ذكر سيئاته ، هذا كان أبو الفرج متحزباً في روايته استعطفه ببعض حلفاء بني ميمية ولا شك في أن تشييعه لم يلبس اليه لم يؤثر في هذه الروايات ولا طوى من حسان المتحزبين عن علي ولا زور سيئات عليهم ، معنى هذا كله أنه كان ثقة في خبره بحسب صميمه ووجدانه ، يقول الحق على حمته وعلى عدوه على سواء .

وهذا كل ما يمسها من أمره . أما تشييعه فإنه لا يحاسبه على معتقده فيه ، حر في آرائه على شرط واحد ، على أن لا تدخل هذه الحرية الحسم على خبره وروايته وأحاديثه

لقد طلعت على أحبار روه ، أبو الفرج في أعابيه لا تدل على شيء من التعصب على خصوم علي ، وحسبي ذكر هذه الأحبار فاني أرى فيها حجة لبراهنه وإصابته في التشيع ، كيف نفست إلى التعصب في التشيع رجلاً بروي عن عبيد الله بن ريد حسن الأحبار فيقول (١) :

حدثني محمد بن يحيى قال : حدثنا محمد بن زكريا قال : حدثنا محمد بن معاوية الريدي عن القحدي قال : كان حارثة بن مدر فصبغاً سيفاً عارفاً بأحبار الناس وأيامهم جنواً شاعراً ذا فكاهة ، فكان زياد يأنس به طول حياته فلما مات وولي عبيد الله أنه كان يجمعوه ، ودخل إليه في جمهور الناس خمس متو رباً منه حتى حبس الناس ثم قام فأدكره بمخوفه على ربه وأنه به فقال له : ما أعرفني بما قلت ، غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته ولم يكن يلصق به من أهل أريته مثل ما بلحقي مع شباب وقرب أحمد بالأمارة فأما إن قلت ما قلت فاحترمي سني إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً فقال : الليل أحب إلي ، فكان يدعو ليلاً فيسأله فلما عرفه استجلاه فطلب عليه ليلة وسأله حتى كان يغيب فيبعث من يحصره في ليلة وبوجه آثار فقال له : ما هذا يا حار ، قال : ركت فرسي لأشقر ولحش

في مصيقتا مسحجي ، قال : لكنك لو ركبت أحد الأشبهين لم يصك شي من هذا ، يعني اللان والماء !

ثم روي حراً آخر عنه فيقول (١) :

بحري الحسين بن يحيى عن حماد عن منه عن أبي عبيدة أن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور فغاب عنه أشهراً ثم قدم فدخل عليه فقال له : ما جاء بك ولم يكتب إليك ، قال : استنظفت خراجك وجئت به وليس لي عمل ، ثم أقدمي ، قال : فوعدت أمرت ، إرجع فردا عنهم إخراج وحده منه نحو ما حتى يعصي السنة وقد فرغت من ذلك فله رضى برعية ومات وحدر أن يجمعهم على بيع غلاتهم ومواشهم ولا تعيب عليهم ، فرجع فردا إخراج عنهم وثقهم يستخرج منه منهم نحو ما حتى مصت منه .

ثم ثبت شعر أبي مدح ردد قوله حارثة بن بدر (٢) :

إلى الرربة في فر عذلة	بحري عنها ظهر الكوفة نور
أب إليه فريش بعش سيده	ففيه صافي المدي واحرم مقور
نأ اميرة ، والدنيا مغيره	وبن من عرا بالديا مورو
قد كان عندك المعروف معرفة	وكان عندك المنكره تنكره
وكتت ثؤني فتعطي حير عن سعة	فاليوم نال دون الحجر مهجور
ولا تدب إذا عوسرت مقتدر	وكل أمر ما توسرت ميسور

ثم روي مدح أبي صخر الهذلي أبي أمية وقد منعه ابن الزبير عطاءه وقال له : سيث بي أمية ! فاطلب عندهم عطاءك ، فقال أبو صخر (٣) :

إذا أخدم ساطاً كعبه ، متحفة نصبه ، بدلاً لأمواله ، وهذا من الخندبهم

(١) الجزء ٢١ ، صفحة ٢١

(٢) الجزء ٢١ ، صفحة ٢١

(٣) الجزء ٢١ ، صفحة ٢٢

كرامة عرفهم ، شرهة أصولهم . ركية فروعهم ، قرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم وسندهم ، ليسوا إذا نسوا بأدنان ولا وسائل ولا أتباع ، ولا هم في قرين كعقمة القاع ، لهم السؤدد في الخاهلية والملك في الاسلام ، لا كمن لا يعد في غيرها ولا تغيرها ولا حكم نؤوه في تغيرها ولا قصيرها ، يس من أخلاها اطمين ولا من سادتها المظلمين ولا من جوداتها لوهابين ولا من هاشمها استحيين ولا عند شمسه المسودين وكيف يقاتل اربؤوس بالآداب وبين المصل من الخفن واللسان من الرح والذبابي من القداسي وكيف يفصل الشحيح على الخود والسوقة على الملك وجامع محلاً على المظلم فصلاً ، ففصب ابن ربه حتى اوانعت فرائعه وعرق حبيبه وهر من قرنه إلى قدمه وامتعق لونه .

إن من بروي أحباراً من هذا قبيل تصور عقل عبده الله من ربه اراحه وتصرف ربه بالوعيه وتفصح عن قصائد أبيه رباد وتصح بي نية في هذا الموضوع لرفيع ، إن من صف هذه افعه في رواية أخاوه لا يقال فيه أنه متمصب في تشيعه .

ولم يقتصر أبو العرج على الاشارة إلى محاسن عبده الله من ربه ولاشده بتكريم بني نية على وجه عام ، وإنما خصص بعد التعميم فقال في فضل يزيد بن معاوية (١) :

حدثني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : حدثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حسن قال : حدثني نافع مولى عبد الله بن جعفر وما رأيت أحداً قط كان أشكل حرقاً ولا أرس في مجلس ولا أحسن عداء منه ، قال : قدمنا مع عبد الله بن جعفر مره على معاوية ، فترسل إلى يزيد بن سويد ليلاً ، فكتب : كره أن يعم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكوكي إلى بن جعفر قال : فأمهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين قال ابن جعفر يكون معك فلا يفتقد . وخلصوا نحن ما يريد قبل قيامهم

فأنته فميتته فوالله ما رُبْتُ قتيَّ شرفٍ وُحْيَةٍ منه ، والله لا أتقي عليَّ من الأكْبَسَا الحزِّ
والوشى وعبره ما لم أستطع حمله ، ثم مر لي بمحمّسة ديسر ، قال وذهب بنا الحديث
وما كما فيه حتى قام معاوية وهب ابن جعفر معه وكان باب يريد في سقيفة معاوية
فسمع صوي ، فقال لاس جعفر : ما هذا من جعفر ، قال : هذا والله صوت نافع
فدخل علينا فلما أحس به يزيد تناوم ، فقال له معاوية : مالك يا بني ! قال : صدّعت
فروحوت أن يسكن عبي بصوت هذا ، قال : فتسّم معاوية وقال : يا نافع ! ما كان
أعنا عن قدومك ، فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن هذا في بعض الأحيان
بذكر الحب ، قال : فصحت معاوية وانصرف ، فقال لي ابن جعفر : وبلك ، هل
شرب شيئاً ، قلت : لا والله ، قال : والله إني لأرجو أن يكون من قتيان عبيد
مذنب الدين ينفع بهم .

فهل نستطيع بعد أن حكى أبو المرح عن رجل مثل ابن جعفر خيراً مثل هذا
الحز بتعلق بقصد ريد من معاوية أن يقول إن نافع يفرح بحامل على خصوم علي ،
وكما روى أحداً اتصل بحسن يزيد من معاوية فقد روى أحداً اتصل
بحسن هشام ، قال ما تكلم على حماد الراوية (١) ذكر أن هشاماً أمر بدعوة حماد
إلى دمشق فمضى حماد وحضر مجلس هشام أمر هشام جارية بأن تسقي حماداً
في مجلسه ثم ذكر خبراً آخر يدل على أنه لم يسق شيئاً ، فقال أبو المرح بعد
هاتين الروايتين .

وهذا هو الصحيح ، أي لم يسق هشام حماداً شيئاً ، لأن هشاماً لم يكن يشرب
ولا يسقي أحداً بحسبه مسكراً وكان يسكر ديك وبعبه وبماق عليه .
ولو كان أبو المرح متحذراً على خصوم علي لاقتصر على الرواية الأولى التي
تصور بحسن هشام ونصف الشرب فيه ، ولا أهمل روايته الثانية التي تدل على أن
هشاماً لم يكن يشرب وكان يشكر الشراب وبماق عليه .

وله أشعار كثيرة نزل على حبشه وكمره ، ومن الناس من سقى ذلك عنه وبكره
ويقول إنه نحلته وألصق إليه ، ولأنه لا شهر عن ذلك .

فقوله : ومن الناس من سقى ذلك عنه وشكره دليل على راحته في النقل وأنه
ينقل الأخبار على علانها حتى لا يهوت القاري .

ولم يرو الأخبار المتغيرة على قصائل ريد أو محاسن هشام والو يد من يرد
وإما توسع في هذا الباب فروي الأخبار (١) المصورة بالحكام بني أمية كلهم ومصلحهم
على بني العباس ، قال :

عبد الله بن عمر بن عبد الله المقيمي إلى سوية وهو طريد بني العباس ،
وذلك بعقب ثم بني أمية وانتداء حروح ملوكهم إلى بني العباس فقصده عبد الله
والحسن ابن الحسن بسوية ، فاستشده عبد الله شيئاً من شعره ، فقال له : أريد أن
تتشبه بشيئ مما رأيت به قومه ، فاستشده :

تقول أمامه ما رأيت	شوزي عن المضجع الأنفس
وقلة يومي على مصحبي	لدى محبة الأعين النفس
أي : ما عراني ، فقلت الموم	معك ناك فلا تبلي
عروب ناك ففلسفه	من الذل في شر ما محبس
لفقد المشيرة إذ نلها	سهم من الحدث المبس
ومها الموت فلا نصير	ولا طائشات ولا نكس
بأسهمها الخائسات النفوس	مق ما اقتضت مهجة نخليس
فصرعهم في بواحي أسلا	د تلقى بأرض ولم ترهمس
كريم أصيب وثوره	من العار والذام لم تدنس
وآخر قد طار خوف اردي	وكان المهم لهم يحس
فكم فادروا من بواكي العيو	ن مرضى ومن صبية يؤس
إذا ما ذكرتهم لم تم	لحر الموم ولم تجليس

برحمت مثل نكاح الحيا في مائة قلق المحسن
 ودرت الذي عاي شعبي ولا تدفين فنتجحسي
 وشيأ قد صوبي بالاد وست لهن يستجلس
 نفس المدمع قتل كدي وفتي ككثوة ن ترمن
 وقسمي نوح ووالا تلبس من ثوب حسي ما نفس
 واثرا ييل نفوس نوت وقلي نهر في وندرس
 أوائل قوم بداعت هم بولت من رمن متعس
 أدب فيادي من رامي واثرب رعتي ناعطس
 فب نس لا أنس وتلاه ولا عاس مدح من شعبي

قال : ولما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن ، وقال له رحمه الله حسن بن
 علي عليه السلام : أنسكى على بني أمية وانت رمدتني من ما رمدت ، فقال : والله
 بأعم لقد كرهت علي بني أمية ما كرهت ، ثم سئلت عن إلفان جوامعهم ، وإن
 الحجة على بني العباس لأوجب منها عندهم ، وأقد كاثرتهم ، وأحلاهم مكارمهم وواصل
 ليست لأنني جعفر ، فوثب حسن وقال : أعوذ بالله من ذلك
 فالذي بروي رواية من هذا شكل فيها شهادة بأحلاق بني أمية ومكارمهم
 وفواضلهم شهدها عدوهم عنه ، لا يقل فيه إنه يتعصب على بني أمية ، بل هذه
 الشهادة بدل على تعصب لبني أمية ، ولو كان أبو الفرج حاداً من روج اتجرد
 والراهة في رواياته لعلم من مثل هذه الأحرار في كتابه وكلمة ثمة ، وثبت مع
 الفصيحة الميضية ، منطقة لا مودة ولا نيل عن لأشبه على مثل هذه المنطقة
 كلام في صحر لهدلي الذي ذكرته من قبل .

وأحر ما أثبتته في هذا كتاب آخر يأتي ، وقد نكاه على بني أمية (١) وهو
 شاعر اتصل بمسألة بن عبد الملك فاصطنعه وحسن إليه وأوصله إلى حبه ، واحداً

بعد واحد، وأستأجبه له فأعبره وكان بعد ذلك قلب الوفاء له، إقطع إلى بني
هاتم فمسخ لجمعاء من بني أماس وحمي بني أمية وكنفر.
فهذا الكلام يدل على إندكار بني أماس لانقلاب بني الحيلة على بني أمية
وعند هذا الانقلاب من قلبه الوفاء، ولو كانت عاقبة ثمر مثلب بني أمية كما ذكر
فيه له، في هذا الوطن والمناجح الحيلة على بني أمية وانقطاعه إلى بني أمية
يستخرج من كل هذه أن بني أماس لم يتحول في تبعه الذي تسوء إليه التحامل
على بني أمية، وهذا كان يدكر بحسبه، كما كان شر في بعض الأحيان إلى آراء
أداس السبته وهو.

من هذا غيل الخبر الذي أتته بأمره عن بني سميان (١) وهذا نصه :
ولي غيلان الخلافة دخل عليه أبو سميان فقال : بمعشر بني أمية، أليس
الخلافه دارت في تم وعدي، من طمعت فيها، وقد دارت أيمكم، فتلقوها بيسكم
تدفع الكربة، فوالله ما من حبة ولا در، همد وحمود، فصاح به غيلان : قم
عبي، فعل الله بك وفعل، ولاني سميان، حذر من هذا الحسد وحمود كثيرة،
يطول ذكرها.

ومن هذا النحو الخبر المنعق بالخبر من يزيد بن عبد الملك وهذا هو : (٢)
تستأذن بسميل بن زيد والاساني على امر بن يزيد بن عبد الملك يوماً فخجبه
سعه، ثم أدل له، فدخل بكى، فقال له امر : مالك يا أبا قاتد بكى، قال :
وكيف لا بكى، وأنا على مرواني ومروية بني أحمب عمت، فجعل الامر يعقد
أيه وهو سكي، فما سكك حتى وصله امر بحملة له قدر وخرج من سده ولحقه
وحل فقال له : أحمري وبيت بسميل، بني مروية كات لك أو لايت هل :
بعضنا إياهم، ثم رثه طاق إلى أن نكر أنه ممن مروان وآله كل يوم مكانه، فبيع،

وإن لم يكن فيه حصر موت يقول له : من لا له لا شيء . فقال : لعن الله مروان
تقرباً بذلك إلى الله تعالى وابتدأ له من اتو حيد ، وإقامه له مقامه .

وهذه الأخبار كلها يدل على براسته وإستقامته مقصده ، وهو مجرد من روح
العصية ، يذكر محاسن الأمور ومقاصدها على السواء ، وهذا غاية في التجرد

على أبي روى في الخبر لآتي ما يدل على رفته بي أميه ، فقد قال في حديثه : (١)
حدثني عمي عن السكر في عن المصير من عمره عن أبي طيطي : ما أحسن دعا
يا غداة حين قتلوا وأمر بساط فسط عليها وحسن فوقه نكل وهم يصطرون تحتها
وهذا فرع من الأكل قال : ما علمي كانت كاله قط أها ولا تطيب نفسي من .
وهذا فرع قال : حرو ورحمهم ، فأما في طريقهم أناس أموات كما أنهم
حياء ، قال : ويرأب . ثلاث بحر نرحلهم وحدهم سر ويلات لوثي حتى ألتوا
ثم حمرت لهم نرفأوا .

على أن ما روى عن سيده عبي بن أبي طاب رضي الله تعالى عنه حراً
بشيء إليه أكثر من بحسن وهذا نصه : (٢)

قل الخوثر من حبش : بعثني سعيد بن أسد من سنده إلى أبا برة وبعثني إلى علي
عبيه سلام وكتب به : أني مبعث إلى أحد أكثر ما بعثت به ياك لأشياء
في حرائر أمير المؤمنين . قل : فكتب علياً فحبرته فقال : لشدة ما تحظر سؤاميه
تراث محمد صلى الله عليه وسلم . أما والله لئن ويتها لأفصصها بعض القصصات
لوردم البر .

ثم عد خبر لآتي وهو في معنى لأول من : بعث سعيد بن أسد مع من
أبي عائشة مولاة بعثته إلى علي بن أبي طالب عليه سلام فقال : والله لأبرل علام
من غلمان بني أمية يبعث اليك مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن
بعثت لأفصصها بعض القصصات و - - - برنة .

(١) الجزء ٤ الصفحة ٩٣

(٢) الجزء ١٦ الصفحة ٢٩

فأما صحيح هذا الخبر والذي قبله فان روية في المرح لها لا تشير إلى أبي من
نعمت أبي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإي ترى أن ذكر هذين الخبرين يس
فيهما خبر أبي لاسم بصوراء لا يمد عيب في صوره الرحى ، فهافت على
الخلافة وخرائها .

وقد روي في بعض مواضع من كتابه خطبه أبي حمزة اخارحي ، لا ينفه أن
هل المدينة يبيعون صحابه خدثة سبهم وحقه أحلامهم ، تعرض أبو حمزة في
خطبه للخدمة ، راشد في موضع سبهم كل واحد منهم ، بلغ إلى أبي قاسم فيه : (١)
ثم دلى أبي بن أبي طالب في سبهم من الحق فصداً ولم يرفع له ماراً ومضى .
فان تدوس عارة مثل هذه العارة لا يبدل على نعمت في التشيع ولو كان أبو
الفرح متمسكاً بما هذه العارة من نفس الخطأ ولم يثبتها .

والخبر لو حيد الذي رأيت فيه ميلا صريحاً إلى أبي طالب مدكور
في أخبار خالد بن عبد الله بن زهد بن أسد بن كرز (٢) ، ولا وصل أبو الفرح في
روية هذا الخبر إلى قول أسد بن كرز لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول
الله ادع لي ، فقال : اللهم احمل نصرته ونصر دسك في عفت أسد بن كرز ، قال :
وما دري ما قول في هذا حديث ، لا كره أن يكذب عما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ذلك له هذا لكان لم يكن أنه مع معاوية يصمى
على أمر مؤمنين أبي بن أبي طالب صنواب الله عليه ، ولا كان ابنه خالد يلغنه على
اسمهم وسماء ذلك لي ماساً ، ذكره من شيع أخباره ، فبجحه الله ولغنه ، إلا اني
ذكر شيء كما روي

١ . وكما أنهم أبو الفرح يتمسك في التشيع وقد أنهم شاموية ، قال لي أحد
الأسانيد ، لا يعرفني على طبع هذا الكتاب ، لاس شاموية صاحبه . إلا اني

لا ترى من عدل الأمور أن مدح في اشعوية من يذكر أحبار الأعاجم إذا
كان في هذه الأحبار ما يستحقون به المدح .
لقد نقل أبو الفرج في كتابه كثيراً من أخبار الرامكة وهي تدل على قسط
كرمهم وذب نفوسهم ، من هذه الأخبار قوله (١) .

حدثني عمي قال : حدثني الحسين بن غليل المري قال : حدثني أحمد بن مهران
مولى الرامكة قال : شكاه مروان بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه أمير الرشيد عليه
وإمساك يده عنه فقال له : وبحك ! أنشكو الرشيد بعد ما أعطاك ، قال : فوعدت من
ذلك ، هذا أن اللاحق قد أخذ من الرامكة فصيحة قلها واحده مثل ما أحده
من الرشيد في دهره كله ، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها ، وكان أن
نقل له الرامكة كتاب كلية ودعه عمله ثمراً أبسل حفظه عليهم وهو معروف بقطاه
بجي بن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاء الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر
شيئاً وقال : ألا بكفيتك أن أحفظه فأكون راويتك .

فإن أخذ بن من بجي بن خالد عشرة آلاف دينار وأحده من فصل خمسة
آلاف دينار نقله كتاب كلية ودعه للرامكة لأكثر حجة على عبادة الرامكة
بالأدب وشميتهم لأنهم ، فيلام أبو الفرج على تدوينه لأخبارهم إذا كانوا على
هذا الشكل من الأخلاق .

وسيمر بنا في فصل لهم والتقدير أن إسحاق ، وصلي مدح الرامكة في حصة
الفصل بن ربيع فطاط الفصل مدحه لهم فحجروا إسحاق شيء ، مما فعلوه معه حتى
يعدره وروى له الخبر (٢) وفي مطاوعة هذا الخبر آية من آيات ذب النفس وقد
شرب إلى ذلك في موضعه من هذا الكتاب فإن الذي يعطي وليس في عطائه
من ولا أدى يستوجب مدح ، على أن أبو الفرج لم مدح الرامكة وإنما كان نمياً في

(١) جزء ٢٠ الصفحة ٧٣

(٢) جزء ٥ الصفحة ٦٧

من أوي من عاب ثم قال : هكذا يدعونهم وقرش مدحهم من المسب
 ولكنه لم يفعل عن روية قول من مدحهم في قرش كثر من تكرار لأنه
 بعد أن ثبت روية ربه يهوب : ويهوب في إدخاله في قرش مدح وهو
 مخالفة فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
 وإليه أشار إلى مذهبه ذكر قول من يدعي هذا المذهب مدح خشونة قال :
 "حري عني قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال أحمد بن أبي روبر مدحاً من
 علي بن أبيهم (أعزاه مذهب خشونة) (١)
 وأبو الفرج م يسم مذهب علي بن أبيهم مذهب خشونة وإليه الذي سمى
 هو أحمد بن أبي روبر .

إننا نخرج روي من الأحرار ما نذهب إليه كما له منه نقول شعره
 لكن وقد نكون هذه الأحرار مدحهم في بعض الأثر من هذه الأثر هو
 إثبات أخيه في ، ولم يكن معه (السفوف) في الأحرار لأنه لم يؤلف كتاب الأعرابي
 بزياد طبعات ، فمما في شعره وإعانه تصحيحه ذكر الأعرابي في الأحرار ، وما
 عليه أن يستقصي في الأحرار كتاباً وإليه يدعون من هذه الأحرار ما يصر إلى سمعه .
 وقد يقول في علي بن أبيهم إنه شاعر فصيح مدحهم ، وقد نقل فيه به وجل ،
 لا أحد في الأدواق ، وقد نجد في بحثه عن المقدم في كتاب الأعرابي قول
 بونس بن حبيب (٢)

ما ذكر حرر وأمر ردي في محاسن شهادته فطاه في المحاسن على أحدهم .
 فإعمال أبو الفرج إلى شعره ، ويخبر عن شعر بونس معنى هذا أنه
 كان يتعصب على أحد أو يتعصب لأحد ، وإليه الأدواق في شعر مختلفة وقول
 بونس بن حبيب صدق في هذا المعنى

فريد كبر في بعض الأحوال أحوال شاعر مداح لآل البيت مثل دعبيل ولكنه
لا يفعل عن أن يقول فيه إنه كان هجاء خبيث اللسان .

ويذكر أخبار السيد الخيري ، المشهور بشيعة ، فينقل عنه خبراً من الأخبار
حاء . فيه أنه كان ذات الناس إيطيلاً لا يقدر أحد على الخبوس معه انثنى وانحنى ،
ويقل عنه خبراً آخر حاء . فيه أنه ذهب إلى قوم من إخوانه بالأهوار فمر بهم
وشرب عندهم فلما أمسى انصرف فأخذ العسس فحبس .

وقد بدائع في بعض الأحيان عن شاعر مثل ابن ابراهيم وشعره يشتمل على
كثير من قواعد الطالبين والمخرف عنهم .

وقد سمعت من يطمس على أبي الفرج ويقول فيه إنه بكره أهل الشام ويعتش
عن مساوي أخبارهم التي تفص من مقاديرهم مثل الأخبار التي رواها عن محمد
في دمشق وعن حسين في حمص مما له صلة بصنف دوق أهل دمشق وحمص في
الغناء . وسطلع على هذه الأخبار في فصلها من كتابنا هذا .

ما أظن أن أنا الفرج نحامل على دمشق أو على حمص في ضعف دوا أو أهلهما
في الغناء ولو كنا نعرف عاني مله قبل ثلاثين أو أربعين سنة ما استغفرتنا ضعف
دوق الناس في القديم في الغناء ، فما حسن الغناء في دمشق بعض الحسن إلا من
سبين قليلة وذلك مصل الأصوات التي نقلت إليها من بلاد ثانية كقاهرة ، فأبو
المرح لم نحامل على دمشق ولا نحامل على حمص وإما محمله كثيراً من الفضل
في تصوير ماضي هذين البلدين في دوق الغناء ، فالذي هممت انما هو إدراك الماضي
على حقيقته لا على شيء من التزوير .

وكما طعنوا عليه من هذه الناحية فقد طعنوا عليه من ناحية إهماله لتدوين
أخبار شعر ، الشام .

أقد فهم أن كتاب الأعاني ليس بكتاب تراجم فقد قال في صدر مقدمته
إنه جمع في كتابه ما حصره وأمكنه جمعه من الأعاني العربية قديمها وحديثها فالغاية
من كتابه ذكر الأعاني بأخبارها فإذا لم يكن لشاعر من الشعراء شعر يُغنى فيه

ولم يكن لهذا الشعر حرج يستفاد فأنو الفرح لا يذكر "شاعر"، وعلى هذا الوجه
لا يجد من "حية" أي الفرح إهمالا لتدوين أحوال شعراء، أشاء في كتابه .

هذا ما استلظمت إستخراجها من صورة أبي الفرح من كتابه نفسه ، وفي هذا
القدر من أخلاقه مقنع ، فإن ما عرفناه من تجرد وإنصافه وادب نفسه بيميننا
في الفصول الآتية على تقدير أسلوبه في الرويت وهو الأسلوب "ي" على
الصدق والأمانة .

إنشاء أخبار الأغاني

سألت أبو مروح في غاية مسألت لحدثني ، فإن كتابه لا يحلو من العبارات
الآية : أحري فلان وروى فلان وحدثني فلان ، ثم يذكر بعد هذه العبارات
أسبغ الأخبار والروايات والأحاديث وإذا سمع من بعض الكتب أو جمع منها
أشار إلى ذلك في كتابه .

كان إسحق بن موسى يقول : لا بأس قديراً حدث ، فتحدث مرة بحدث لا بأس
فيه ، فسئل عن إسناده فقال : هذا من أسرار أسلاف عثر قاً .

قالدي هم أن نعرفه في هذا العمل إنما هو الأمر الآتي : هل كانت أبو
المرج سبي الأخبار والروايات والأحاديث إنشاء أم كان يروها بالفاظها .

مرة بحد يروي خبراً من الأخبار فيقول (١) :

حدثني حنظلة قال : حدثني علي بن يحيى قال : أنشد مروان بن أبي الحبوب
متوكلاً ذات يوم :

إني رب ساحة لتوكل وراي في أقصى دهر الموصل

وهل له نص من حصر : فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة ، فقال أبو
موسى الصيمري كان له حمام هذني يبعث بها إليه من الموصل حتى يكتبه على
أحدها ، وصححت لتوكل حتى ستاف وحجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلمه أنا
أعيس نداء ، فمات بها حزين .

فإذا مرع من هذه الرواية قل : كذا أن كبر حفطي ، إن حنظلة حدثني به
عن علي بن يحيى ، فإني كتبت عن حفطي .

فهذا الكلام يدل على أن الراوية يروي له خبراً من الأخبار فيحفظه ، ثم
يخلو إلى نفسه في ساعة من الساعات فيشئ الخبر .
ومن هذا القبيل قوله وقد روى خبراً عن أول بناء النحو وعقد أصوله (١) :
هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن ، فكنته من حفظي ، والله طريد
وينقص ، وهذا مضاد .

و أبو جعفر الذي عناء إما هو أبو جعفر بن رسم الظاهري النحوي .
خلاصة هذا الكلام أن أبا الفرج حفظ هذا الخبر من صفه ، وفي خبر في
دهنه إلى أن جاء وقت انشائه ، فلما أنشأه أشار إلى عمر هذا الخبر ، وذكر أنه
لم يرو الخبر بلفظه كما سمعه ، وإنما رواه بالفاظ يزيد على اللفاظ التي سمعها ، وينقص
عنها ، فاهتم بالأمي وحده ، وكأنه كان يعتمد على دهنه في الأخبار ، فلما أنشأها
أنشأها بالفاظه .

ومما يؤيد هذا قوله وقد نكلم على قيس بن سعد (٢) وقد ذكر به ، وقال فيه إنه
خطيب العرب وشاعره وحبيب ، حكيم ، حكيم في عصره ، قال إنه أول من
علا على شرف وخطب عليه ، وأول من قل في كلامه ثمانية ، وأول من أنكأ عند
خطبته على سيف أو عصا ، وأذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
ورآه بمكاظ وكان يأمر عنه كلاماً سمعه منه ، وسئل عنه فقال : بخبر ثمة وحده .
ويبدو أن فرع أبو الفرج من هذا الكلام قل : وقد سمعت جهره من حديث
عدة ، إلا أنه لم يخصصني وفي كنت هذا الخبر غيره ، وهو ، وإن لم يكن من
أقواها على مذهب أهل الحديث إسناده فهو من أعمها .

وقول أبي الفرج هذا مذهب حديثي باب الكلام على رويته ، فهو يدعي دلالة
وصحة على أنه يسمع الأخبار ولا يتم تأني بيته فيجمع دهنه فيكتبها ، فلا يحرر
من إنشائه .

(١) خبر ١١٠ صفحة ١٠١

(٢) خبر ١٤٠ صفحة ٤٠

وقد تقوته بعض الأحبار في معنى الأحيان كما دل عليه كلامه المتقدم، وأما
أن نعرف أنه كان يعني الأحبار بإنشاء بعد سماعه إياها.

وقد عر كثير في روايته مثل قوله: فإن الحكاية تزيد أو تنقص، ومعنى
هذا أنه كان يروي الحكايات كما سمعها، وقد تزيد هذه الحكايات أو تنقص،
ولكنها لم تقط على جوهرها، مع أن لا يطر إلى حكمته كما تنظر إلى روايات أهل
التأريخ وكذا نستنتج على كل حال من هذه الحكايات روح الحقيقة، وقد تكون
هذه حقيقة جينا مجردة وتكون حيناً مزوقة بحسب الفن، ولكنها لا تخلو من
روح، وهذا ما نتحدث عنه في باب لغته وقته.

وإذا نظرنا في الخبر الذي رواه عن حطبة الحجاج في أخبار عبد الله بن
أبي ربيعة (١) نرى له أنه يتحدث عن بعض رواه، فما أن يروي أخبارهم شيء من
أخبارهم، فلهذه ومعانيهم وما أن يحكي له هذه الأخبار فيحدثه بعض الألفاظ
والعبارات، فإن حطبة حجاج التي ذكر حملة مهاككات معروفة في وقته، ومدونة
في كتب الأدب، فلم يرو منها أبو الفرج إلا القليل.

ثم عر في كثير من الأحيان مثل قوله: وقد جمعت أخبارهم على اختلاف
ألفاظهم، ومعنى هذا أنه كان يجمع الأخبار من مصادر شتى مختلف ألفاظها،
مبشورها بإنشاء بالفاظه.

ومن هذا النحو قوله: حدثنا بالسبب في خروجه فلان (٢) قال: وأخبرنا
أيضاً ببعض خبره إلى أن يفرغ من هذه الأسانيد كلها فيقول:
قال أبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي
بن حمزة عن المدائني وغيره، فجمعت معاني ما ذكره في ذلك كراهة الإطالة.
فقوله: فجمعت معاني ما ذكره في ذلك دليل على أنه جمع المعاني وحدها
ونشأها بالفاظه.

(١) الجزء ١٣، الصفحة ٣٩

(٢) الجزء ١١، الصفحة ٧٠

ومدخل في هذا الباب قوله : ونسخت منه من رواية السلكي وشيخنا به
فلان عن فلان عن فلان جمعت من روايتهم ما احتيج لي ذكره مختصرا لفظ
كامل المعنى .

وقد تردحتم عليه الروايات والاسانيد في بعض الأوقات فيضطر الى التفصيل
فيقول : أخبرني بخبره علي بن سليمان الأحفش قال : حدثنا فلان عن فلان ..
وأصمت الى ذلك مارواه الزبير بن سكار عن أصحابه وما اتفق الروايات فيه قد
اختلفنا لسبب كل خبر الى روايته .

ستخرج من كل ما تقدم أن أخبار الأعيان كان هو المخرج يشوهه بأعطاه ،
وإذا لم تكن الأخبار من انشائه ينسب على ذلك في مواطن كثيرة من كتابه ،
فإذا مرونا بقوله : هذا لفظ يزيد الملهي والأحفش ، أو إذا مررنا بقوله : والعط
لعمري ، أو : وأعطاه ، علمنا أن الأخبار التي يروونها إنما رواها بأعطاه ،
وكذلك إذا قل : وسحب من كتاب كذا ، وجمعت من كتاب كذا ...

برائة ذمّة أبي الفرج

سواء كان كاذباً أو لا أحاديثي رواها، ولو أخرج له أنه كاذب لم يروها الذين
روى عنهم، وإنه كان يحرض الحرس كله حتى يراه لدمه فيها.
قال في محض رواياته: (١)

«أخبرني عمي عن سعد بن شبيب عن جرير بن موسى عن أبي الفرج قال: سألت
أبا بكر السدوسي عن هذين البيتين.

وحرر عاصي بآية مبرور للبيبي أد ما صيف نقي المراسم
فهدى شهور الصيف عما قد أصعب ثم لموى رومي بسبي المراسم
هذان: هم جميل، ولم يعرف المحمل، وهدى معهما عنهم قال: «معهم» ونشدني
«وحرر لأخوتي أن الموت خائف» وفي النفس صاحب أيتك كما هي
وفي بلساني مؤثر ككها في بيت يوم، إن شئت ما هي
وفاء له دار عيشه نرسه وفي عشب نسوي مكانه ثيابه

روى عن عمه حماداً مثل هذا الخبر ثم قال:

«وأما أبا بكر لما وقع إلى من أحاربه (أي من أحار بحوث بني عامر) حملاً
مستحسناً، متبرئاً من عبده، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أحباره بلساني
بعض يروى إلى غير، ونسبها من حكيك عنه إليه وإد قديم هذا الخبر بطلان
رث من عيب طاعن، ومتنع للعيوب

فهذه خبره تماماً على مقدار ورعه في إرواءه، قال نفسه من شدة هذا

لورج لانفك تحفته مائة من العبد ، به لايك إحسن نعمة ، و تحب عيب
الطعنين ، وهذا كله من صفة شدة توبيه .

وإذا تحدثت إليه على مقدار شهوة به نيل محبة بين في ربه به نيل من
وشدة انوف ، فلي لا أحد حرك يده وهم طلي تصوير مثل شدة شدة :

قال في آخر ربي محمد يحيى من ربه الكوفة ركن آخر من كتاب له شعر
وفيه مائة من ولده : و آخر من كتاب في مائة من ربه مائة من
العاس من محمد من أبي محمد ، و كان في مائة من ربه مائة من ربه من في
الصدف وشدة التوفيق مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
عاشاً كثيراً مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه

التمت بحب كل ركن من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
محمد من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
وكانت حلاوة في ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
فأبو أمير مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
الصدف وشدة التوفيق مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه

ومن حركه على ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
لرواه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه

وآخر في محمد من العاس الرطبي مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه
وهذا تنبيه لا يلحق إليه إلا كل صافي ، موقوف

وآخر أن نستطيع تصوير كبره لأصدده من صفته في الكلام كآتي :
ذكر في أخبار مروان من أبي حنيفة مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه مائة من ربه

(١) جزء ١٨ صفحة ١٣

(٢) الجزء ٧ صفحة ٢٢

أحمد بن أحمد بن ثوابه كلاما جرى بن إسحق وبين إبراهيم بن أبيه شيء
من الدرعة والحلة لأحاجة إلى ذكر أصوله ، وبعد أن ورجع من الكوفة قل : (١)
والن تدفع الحقائق بالآثار كالأدب ، ولا يربط خطأ صواب ولا خطأ اسداد
وكفى من تصح عن إسحق بن أبي رافع بن أبي رافع لا يكاد يعرف منها صوت
ولا يروى منه إلا السير وله كلامه في بحسب الحق فطرح وعمل على مذهب
إسحق ، وانقضى الصبح لأراهم بدت مع نقباء مدته ، كما يصحح الأطل مع
نعله ، فعدت عن ذكره لا أحذر لا لأهمه يقع لي ولكمها أحذر يدين لهم
التحمل وحسن وتنص من است لا يحق وشبهه ونحوه من قوله أنه لم يكن
يقضي على مثله لأحد ولم يحرف من . فاستمرت دت وفارجه ، وأتممت من
أحمد بن رافع بن صحيح وما جرى بحري منه كتاب من جبر مستحسن
وحكاية تاريخه دون ما يجري بحري التحمل ، وقد مضى في صدر الكتاب من
أحمد بن رافع بن إسحق إليه رقة ونحوه من صدر ما بقي من طالان غيره .
فلا سر إلى هذا الموق في نفس أحمد ، فلا يصح لي بحسب الأحاديث في
تدين وبها آثار التحمل والحق والتم والتم ونحوه .

وقد بلغ من حرصه على حقيقة أنه كان يهتم بها مدة مائة على نحو اهتمامه
بها في حياته ، وأمل في ذكر عماره له في الفصل الذي بعده لأعني الحذف ،
دائلا على ذلك (٢) ، فابن أبي رافع :

وأول من دوت له صيغة منها عمر بن عبد العزيز ، فإنه ذكر عنه أنه صمغ في
نعم إمارته على خير سمعه حين يذكر سعاد فيها كذا ، فمضت عرفت أشاعر القائل
به وقد كرت حبه ، ومضت أشرف فإنه ، وثبت ، كما وقع لي ، فإن مررتي بعد
وفي هذا شأنه في موضعه ونحوه من أخبار ما مضى لي ، وإن لم يقع لي ووقع

إلى بعض من كتب هذا الكتاب ، فمن فوجى حقوق سببه أن يتكلم بإنشائه ولا
يستحق ثوابه ، فليل ، فقد ورد إلى مؤلفه تحية تشتمه به واعتبراته في
هذا الكتاب فليكن من غير نصب ولا كبر ، وإن حارب ذلك مؤلف سببه ، وإذا
نسب إليه ، وعينه عنا ، سقط مع عند ربه بر شانه .

قد كتب هذا الكلام فليكن له لا لأحد من على مقدار عبادة في
المرح بالحقيقة ، وعلى تحية غير في كل مكان . وقد فاته ذلك . وقد كتب إلى
من يكتب كونه بعد موته رجاء أن يسم له في هذا الكتاب

نقد أبي الفرج للرواة

من شده مبدئي في الفرج الى الصدوق، وحرصه على التوثيق كان، نقد بعض
ارواه الذين يقدرون لاجل احوالهم ورواه عن تلميذهم، لما كان يتقلد الاحوال
على سلاسلها.

تعرض كثير من لاس احراز احواله ولا سيما في تلميذ خليفته، واولاده واولاد
اولاده واول في صدر هذا الفصل (١).

منسوب الى الخلفاء من لافاني والمصنف بهم لافاني لافاني ولا حقيقة
لاكثره، لاسيما ما حكاه ابن حريز في هذا، يدعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وذكره في هذا، كان راكبا على حصان عروجه.

ثم ولي بن حمزة من جهة، واحدا بعد واحد حتى كان ذلك عنده ميراث
من موارث الامامة، ركن من ركن الامامة لا بد منه، ولا معدل عنه،
نحو خط مشهور، ويجمع جمع حصص بين، فاما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا
ثم يراه من كل احد بعد له ورواه في انه عثر، والتمت وقد ركب ناقه
وتمت حيا، لانه في رواية ولا كان بعد له في رواية اخرى، فلو كان ما كان
تستعمله من نصيب وحياء ودين حريز لا بد له من نصيب وطريق وترجيع
يسر ورواه بصوت، ولدي صحاح من ذلك عن روه هذا الشاهد ذكر منه ما
كان من نصيبه لاحقا بحيد الفناء، قريبا من صنعة الاوائل، وسالكا مداخلهم،
لما كان حريز، سجيته، وجامع منه ما اتصل به خبره يستحسن ويعتري بحريز
هذا كتاب وما تضمنه.

بني ، مولی من فطس : مات في وهو في عكر لويد من يريد ، وثنا معه ،
فطرت حين خرج بعشه الى سلامة من ، حرية يريد من عدد ايت ، وقد
أصرت اسس عنه بصرون بها ، وهي آحدة محمود من روهي نكي في وتقول :

قد نغمري ثنت ايبي	كأخي الله الوحي
وحيي الله ماتي	ت أدنى من صبيمي
كله أصرت رحا	حيا ، فاصب دموعي
قد حلا من سيد كا	بنا عبر مصيبي
لا نهدا إن حاشنا	وهمما بحشوع

فل كردم : وكان يريد أمر في أن يعاينها هذا الصوت ، فمها إليه ، فمدته
به ومعه ، فل : فله ركب لا يد من ريد و عمر شاه من جردن في فميصين
وردا من عشرين من يدي سريره حتى خرج من دار الويد لأنه نولي نمره
وأخرجه من داره الى موضع قيرد .

88

من هذا كله ما كان في بعض لأخبار يفة اروم ، وفي بروايت
بعض نقولها ، وان حرد دنة أكثر برواه الذين كد هم وقد عرس به في
مواضع كثيرة من كنه ، فله : كنه على يحي ايبي (١) قول في صدر كلامه :
به مولی بي نيه ، دكر قول ان حرد دنة وقال : ودكر ان حرد دنة انه مولی
حراة و اس قوله كما يحصل لأنه لا اعتماد به على رة دنة ولا دنة .

فانصرف الى مقدار بدقيقة في روست ، رة اعلم على يحصل من حرد دنة
، كنه في اذهب به يث قوله في رة من ابروايت ميده على بطلان هذا القول
وقد كان تطيع باستغني عن الاستشهاد بقوله و كنه لا يريد ان يعوت اقريء
شيء من احتاي بروايت صالحة في تتماش عن حقيقة .

ومن لدن شئت في روايتهم وطعن عليهم حسن فقه تكلم على ان صاحب
الوصوه (١) قال : وشه قبيلا ضعيفا ، لم يذكر له إسحاق إلا دوين ، كلاهما في
حقيق ثقيل الذي معروف بالحدوري ، ولا ذكر له غير إسحاق سواه إلا
ما هو مرسوم في كتاب الحسن ، وهو ان إسحاق ، قال له فيه شيئا لا أصل
له وفي كتب حشيش وهو رجل لا يحتفل ما قوله ببرويه .
وهذا دليل على انه لا يعدل لأحد إلا عن الكتب .
وكذلك فإنه كان محتات في بعض الماطن من كنهه ان الكافي يقول :
واعمل هذا من أكابر الكافي (٢) .
واس عرشي الاسان على كل لدن كان مضموع وإله عرشي . به على انه لا
يعد روات رواه على علام .

(١) ج ٣ ص ١٩

(٢) ج ١٠ ص ١٠١

نقد الرواة لأبي الفرج

وكذا غيره من طائفة من رواد فلكان في القرون السبعة، والمصنف كان
 قد دلت في مثل هذه الروايات على ما لا بد من كونه على أبي الفرج :
 وحسب رحمه الله، فوجدته بعد أبي الفرج في موضع من كتابه، كقوله في
 حواشي نهضة : « طاب له رده هذا، وسيد آخر حرد مع سائيه في
 موضع آخر، ولم يزل »

وقال في موضع آخر : « حرد في موضع مع حرد، د كات سائر آخر
 وتعمد، « ثم ناقض أبي الفرج ذلك، « لا صوت، « أنه في نسخة وتسمون
 وما قال لا أن لك، « سقط منه شيء، « أو أن يكون، « بيان من باب ما به،
 « ثم »

« ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »

« ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »
 « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم » « ثم »

كذب الناس ، لأنه كان يدخل سوق لور في وهي غامرة ، ولذا كانوا
ملوثة بالكتب ، يشتري شئ كثيراً من الصحف ، ويحملها إلى بيته ، ثم تكون
روايته كلها منها .

هذا هو النجس ، يسبح صاحب الأدب حميداً سنة في ذليل كذبه ،
ويتع فيه الصدق وشده ، يوفى على قدر الأمكان ويحدث عنه في البحث عن صحيح
الأخبار والروايات والأحداث ، ويشتري منها من كل عهده ويحاسب رواه على
الكاذب والخطأ والباطل ، ويؤاخذ به بكل محمل وحمق وسب وشتم وتحويل ،
فيحكي أحد القوم فيقول فيه أنه " كذب الناس " ، وإن كان يكذب عنه بغير موجب
من موطن هذا الكذب ، هذا هو الكلام الذي لا يرضى به مطلق ولا حقيق ولا
وجدان ، كان يجب على الذين فقدوا تاملهم وسبح الكذب فيه أن يأتوا بالحجة
على قولهم وأن يثبتوا إلى المواضع التي طارت عليها آثار كذب حتى يطاردهم
في مقادير قولهم ، أما أن يحرفوا بحكمهم بحرفة وهم في الكذب ، بل يحججه
لأنهم لا بالحجة ، فلا يستطيعون فهم حكمه بحرفه غيره ، في حمدين سنة ،
فصلاً عن أن يعمدوا من هذا المحل لا يجوز من كتب من فيه لا تصاب .

نسبوا إلى أبي عرج أنه كان يدخل سوق لور في وهي غامرة ، ولذا كانوا
ملوثة بالكتب ، يشتري شئ كثيراً من الصحف ، ويحملها إلى بيته ، ثم تكون
روايته كلها منها .

على أن أخرج من الأمانة ما كان يسبح من كتب وجمع منه
يقول : وسجحت من كتب كذا ، وحممت من كتب كذا ، وما أكثر شدة
هذه ماله في عهده ، وكان يستطيع أن يحد لأشده إلى هذه الكتب في كان
يسبح منها أو يجمع وكما يفعل شيئاً من ذلك في الأمانة .

وود تحده في بعض المواضع يقول : وسجحت من بعض كتب أو حممت من
بعضها ولا يذكر أسماءها ، ثم إن يسبح منها أو يجمع دون الإشارة إلى ذلك ، وبعد
ممر نزهة عنه صدقه وأمانته وشدة توقيه ، وفي برو في عهده حديثاً أو حديثاً أو

حكاية دون ذكر الأسماء وما حلا لأحبار أي كان سمعوا عن بعض أهلها ،
مثل عمته أو عمه أو حده لأنه يحكي عن محمد بن نوانة .

هـ ينقل ابن نوانة مخرج الأحبار وروايت والأحداث وحدها ، وإلا حدها
مألة على ورعه في العقل ، وليس من الأصناف في شيء أن يحسه حقه ، وأن يقول
بغير علم صحيح فيه حمدين منه أنه كذاب .

عد شعر بقيمة كتابه ، وحسن نفعه أنه أي حبيبها من غير نصيب ولا
كدح ، من المدن أن ناسه إلى الكذب بعد ذلك ، فثنا لغيره كتابه بالأرداد
شعور ، فحاشاه ، فقد روى لنا من روايت والأحداث الأحبار ما حدها معتقد
، فليس في المصور أي كان عيش فيها أهل هذه روايت والأحداث والأحبار ،
و قد في الأصول آية بين ثبات المصور أي كانوا يعيشون فيها ، وبين المصور
في يعيش فيها وصمد إلى شائع متشابهة في حياته ، فسجد ل ماعجره من الماعز
وإطاعه ولائته في هذا مذهب كانوا يعجرون عنه في القديم ، ولولا أن نوانة مخرج
وناسه لذهب عما تلب المصور ولا مهتدي إلى شيء من مظاهر الحياة فيها ، فقد
وصف في كتابه حياة بني تميم وبني العباس ثم ذهب نحو قيمة وهو العباس وبني
كتاب الأغاني الذي صور حياته ، فأبراب أفكري وحده هو ثرونا في المستقبل
كما أصبح الميراث الذي خاضه لنا علمونا وذاؤنا ، في الحضي زوتنا في حاضر ،
ولولا هذه الموارث الفكرة لما كان ما شئت في هذا العصر ، فيحقق ابن نوانة
كله أن نقول في رجل حلف أن يصحبه ويرث ذي إنه كذاب .

على أن لم مهتدي في قصده هذا إلى مظاهر صدقه وشدة توفيقه ، فاد بحشاش في
فصل الآي عن تجميعه في حماره شعر ، بقوة هذا الصدق وشدة هذا توفيقه .

تحقيق صاحب الأمانى

إذا تصديت للكلام على تحقيق صاحب الأمانى لروايته وحياته وحبسه
فني لا تصدى لذلك إلا لشأن هذا الموضوع الخليل ، فقد وجدنا أن الامم
في دراسة التحقيق في كتاب الأمانى بعيننا على أن نقدر هذا الكتاب حق قدره ،
إذا نه ستمر ما أمور فيه لا يحيد ، هل ، قد ، شق تحقيق لذي ثقل هذه الأمور
ووجهه ، بل وصف دخل اشك على قلوبنا ولا نجد كتابا معني .

سقت الإشارة إلى أن بعض رجال الأمانى ، أرمج مثال محمودي والطبري و
الأثير وغيرهم نكلمو على بني أمية وفي من ناحية حياتهم أعمه كالتأريسة
والفتوح وبعري وغير ذلك ، أما أم الفرج فقد نقل أخبار حياتهم خاصة .

و من حيث من ذهب دولة بني أمية وواحد دولة بني أمية ، وقد بلغ دو
الأمم من أمم والحضارة والسكان كل مبلغ ، وقد ذهب دولهم ، ولكن إذا
نظرنا في كتاب الأمانى ، نجد من در طبع في أمم ولهم وندروا أثر هذه
الأمور هتدنا إلى من الأمانى في ذهب دولهم ولكن لا نستطيع أن نعلم
على هذه الأمانى إلا ما وجدناه من رويته الأمانى ، وقد روى في حمله هذه
الروايات أن إبراهيم أبو صبي سبأ الرشيد قد سب له نوع في الحمة لا يمت فيه
إليه توجه ولا بسبب يحده فيه بحرية ويحونه ، وقد لا يحور أن يدرجه
إدراجا ، إنما يلزمنا نشره ونكتب الرئي فيه ، فمعي ذلك أن الرشيد كان يعرف
في لاهو عرقا ، معني ذلك أنه لم نك عليه أية دون وندروا ، قد كانت الحياة
تمضي على هذا الشكل فلا تدري كيف تدوم دولة أو يستمر سلطان .

فإن أردنا أن نعرف شأن حجر أبي الفرج ورواه وأخباره برهنا أن ينبغي
بتقدير تحقيقه وأن نتابع على مدارج من هذا التحقيق .

هل كان أبو الفرج يحصل ما يرويه ، وأن يحصل في هذا المصنف معناه التخيير ،
وهي إعطائه أي استعماله في قوله ، فكثير ما نحوه بقول : وفلان قد لا يحصل
ما يرويه ، ونحن في هذا المصنف استعمال التحقيق بدلاً من التحقيق .

هل كان أبو الفرج يحقق أخباره وأخباره ورواياته ، لا يريد الاستقصاء في
هذا الباب ، وإنما الذي أراد عرض مدارج ليس عبر ، وهذه المدارج من تحقيق أبي
الفرج تصور ما طرأ في هذا المعنى ، فمحيط بسير ما يعتمد عليه في دراسة
كتب الأئمة .

نجد في بعض الأحاديث رأي حجر أبي أحمد ارواه (١) مثل حجر ورواه من
بحر من مريد من أبي الأزهري ، له صلة بخاربه مغنية كان هوها ، يمد من الحكم
فأما فرع من هذا الخبر قال :

واحتسب أن هذا المصنف ، ولكن هكذا ، حجر ، به اس أي الأزهري .
ثبت في هذا خبر ، ولكنه لا ينبغي أن يندرج على صريح خبر في باقي المصنف فيه
على أن رأي ، وبعد عطف من أخباره وأخباره ، ورواه أبي إسحاق ، ولا ينبغي
إلى تحقيقه . .

وقد يرى تشابه هذا الخبر في بعض موطن من تشابه ، وليس مصطفاً إلى
حصولها ، وحديث مذهب موطن واحد أو موطن حتى يشأنا رأي عام
في هذا المصنف .

فإن هذا الخبر يرواه عن حصة في أخبار ابن فصار ، قال أبو
الفرج : (٢)

(١) خبر ١١ - صفحة ٩٩

(٢) خبر ٢ - صفحة ١٦٠

ومن طيب ما ثلث به جحظة وتنادر عليه به وأراها مصنوعة له مرة يوم على
أبيه ومعه علام يحمل قطرميد سيد وحواميرحه مذبوحة مسحوبة فقل : الحمد
لله الذي راني إلى قدس موالي ياكل لحم الخواميرات ويشرب هيد القطار ميدات.
بروي هذا خبر للمادرة فيه ، فهو يشرب في آخر ولا يذكر حجة على حاله.
أي كذا في مذكر هدى آخرين ولا ترى في حجة إلى التوسع في هذا المحل
لأن عيني الإشراف لي أوضح أتي لا تظهر عدياً آخر يحقق .
وإذا كان أبو المرح لم يحقق في مص الأحرار ، فهو لم يحقق في مص الأشعار ،
فه يروي هدى البينين . (١)

أني أرفق وه يرفق معي صاح مستنكب دميث يوم لوح
دن مسبق فوق الأرض هيدته كان يدفعه من قدم ناراج
وقول : أشعر لأوس بن حجر ، وهكذا رواه الأنصبي .
أخبرنا بذلك برندي عن أبي شيبة ، ووفقه بعض الكوفيين ، وسير هؤلاء
رويه العديد من الأوص .

نسب البينين إلى شعر ، ثم نسب إلى شاعر آخر بحسب ما سمعته من أرو ،
ولاشك في أن محمدي هذا الأمر من المبالغة ، على قدر ما يحرس عليه .
والك محمدي الأمر من حبه تلبية معاً في تحقيق ، فإن لكل شاعر لغة
خاصة به ، ومفردات وحده ، هي التي تظاير حقيقة شعر ، وهذا نسب شعر إلى
شاعرين يعيشان في عصر واحد ، رغم الأمر أن شاعرين لغة شاعرين أو أسلوبها
أو دهر ، وأبو المرح لم يكلف نفسه شيئاً من ذلك في تحقيق هذين البينين .
على أنه إذا لم يحقق في هذين البينين ، فقد حقق في شعر آخر بعض
التحقيق إذ قل : (٢)

(١) جزء ١٠ صفحة ٥

(٢) جزء ١١ صفحة ٩٩

خبرني هثم بن محمد الحراني قال : حدثنا أبو غسان دما عن أبي عبيدة قال :
 تشدني ثوب الزعراء ، ورحل من بي قس من ثمة صرفة من العبد .
 تكأني كبره كأنه صبح . وعيت سدي ن صدر لي حور .
 قال : فحدثت من ذلك وثقت به ثامعرو من أمان وقت له : ثني كتب أرويه
 يريد من حكا الشقي ، وتشد به ثوب الزعراء ، صرفة ، وفرد لي ثوب عمر واث ثا
 برءاء في من يريد من حكا . ويريد مولد بحيد اشعر ، وقد يحور أن يكون
 ثوب زعراء صفا .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما نصن أن ثا زعراء صدق فيها حكا ، لأن العلماء
 من رواه شعر روه يريد من حكا وهذا غير في لا يحصل ما هو له ، ولو كان
 هذا شعر مشكوكا فيه أنه يريد من حكا وليس كذلك . كان معلوما أنه ليس
 أطروقه ولا موجه في شعره على سائر ربو ولا هو أنه مشها بذهب طرفة
 وعظه . وهو يريد تشبه وله في ممة عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن
 حكا ومن عمه عبد الرحمن بن شهاب بن أبي عاصي ، ومن قال أنه يريد من حكا
 ابن شهاب قال بن عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه فيه وفيه يقول :
 ثم ذكر الأبيات ، وقال بعده :

فما تمام قصيدة التي نسب إلى طرفة في ذكر منه مختاره يمد أن مردول
 كلام طرفة فوقه :

تصالح من لاقيت لي ذا عداوة . صراحاً وعي بين عبيك منزو
 زالك إذا لم تحو أ مرأ هزوته . ولست لأتهوى من الأمر الهوي
 لي آخر الأبيات ، ثم يقول :

وهذا شعر إذا تأمله من له في العلم أدنى سهم عرف أنه لا يدخل في مذهب
 طرفة ولا بقاربه .

وهي هذا القول شيء من التحقيق ، إذا لم يكن كاملاً على الوجه الذي زیده

في هذا المصنف أنه لا يخلو من حجة أدبية فيها مفتح ، لأن شعر حرفة يحذف من الشعر الذي ذكر .

ويقرب من هذا النوع من تحقيق شعر لآبي وقد استند ثوابه إلى شعر في تحقيق شعر من الأمور .

قال السمعيل وrote السبب (١) : كذب عده يوماً في جناح له ، وأحال صبره فيه ثم قال : السمعيل ، طالع والله ما شئت منير المؤمنين علي في هذا المصنف ، قلت : ومن كان يصدق ، قال : نوي ، وكان مذهب مذهب ، كندانية وقول بامه محمد بن الحنفية ، وله في ذلك شعر كثير ، وقد روى بعض من تصحيح روضة أنه رجوع عن مذهبه ، وقال مذهب الإمامية وله في ذلك :

كلمت باسم الله وrote أكبر وثقت أن الله يهوى ومفر

وما وجد في ذلك في رواية محصل ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ، لأن هذا شعر ضعيف ، يبين اتوابعه ، وشعره في قصائده الكيسانية مدين لهذا حذرة ومثابة وله روى ومعنى أيضاً ما ذكر عنه في غيره . فقد ناله الشعر في هذا المقام على تمييز شعر من أمور المقام .

وأخر ما شهد به في تحقيق شعر حذرة لآبي (٢)

أم سلام ما ذكرتاك إلا	شرقت بالدموع مني لما في
ثم سلام ذكرتك حيث كنتم	أب ربي وفي أسات راو
ما قلني بحول بيت أبي	مستحقة تنوق كل مـ
حذراً أن تبين دار ما يمي	و بصبح الدعي طبع سراق

روى ثوابه هذه الأبيات ثم قال :

ومن من روي هذه الأبيات عند رجوع من أبي عمر الحنفي في

(١) ج ٧٠ صفحة ٥

(٢) ج ٧٠ - صفحة ١٣٦

سلامة النفس ، وليس ذلك له ، هو الوليد صحيح ، وهو كثير ما يذكر سليمان
هذه في شعره ثم سلام ، وسألتني لأنه لم يكن يتصنع في شعره ولا يبالغ في قوله
منه ، ومن ذلك قوله فيها :

ثم سلام ، و قيت من الوجوه غشيرة اندي قيت كفت
فأنتي ما وصلت صاماً عجماً وشعيرة مشجدة ماود شجار

وهذا النوع من التحقيق لا عار عليه ، لأنه لا إلى هذه الشعر ، فأوليد
مذكر ، ثم سلام ، وسألتني في شعره ، لأنني لم أكن أرى في شعره تحوي على هذا
الامر ، ثم ان رجع لمزيد من شعره على الشعر ، فيه لا يتصنع ولا يبالغ في قوله ،
وكما كان يحوي في شعره فكان يحوي في قوله ، فمقدروى نو مرج
في بعض الايام من كونه انما من بعد مراجع من مقامه الا ان حارر شاعرها
حارر فيها ، ثم رشيد من بعضهم وهو يوشح من فروع في بحر والاله ثلاثة صوت من
جميع الامور ، فاجمع على ثلاثة اصوات .

احتمل ان يروى في الاصوات الثلاثة ، وذكر ان حارر هذه لا حارر ان من
الثلاثة الاصوات حتى ابرهه اوصلي في شعره ارحي وهو من حبيب ثقل اني
إلى حيث ، ودعوا رسولاً ، ابرهه ، الا تحب لرسول
وقال نو مرج هذه لا حارر على عا ، فشت في بعض الاصوات اني
تحيرت ، ولم يسبق ان من الثلاثة الاصوات حتى ابرهه اوصلي ، ثم امدد في
التحقيق ، فبين الاصوات اي من احارر شت في بعض الاصوات ، فقالت :
والذي ذكره نو محمد يحيى من عبي نصح عبي وبطل على ذلك تبين ما بين
الاصوات في ذكرها والاصوات الاخرى في حوده ، فسمعة ورفاها و حكم
مبادها ومفاسمها وما من من اعمل ، وان الاخرى ليست مثلها ولا فربها .
ثم بين الاسباب التي من احارر اني ابرهه اوصلي ، فقال :

وآخرى هي أن محطة حكي عن روى عنه أن فيها صوتاً لأبراهيم الموصلي ، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات لارشيد وكان معه في اختبارها جماعة من جامع وفليبيج والعوراء ، وأيسر حديثهم دونه ، إن لم يقته ، فكيف يمكن أن يقال إنها ساعدت إبراهيم على اختيار الحس من صنفته في ثلاثة أصوات اختبرت من سائر الأنبياء وفصّلت عليها ، ثم يكون لو فعلاً ذلك قد حكي لأبراهيم على نفسها بالتقدم والحدق والرئاسة هو كذلك عندهم .

فوهر الأمر في هذا التحقيق أنه ينبغي عن ابن جامع وفليبيج أنها ساعدت إبراهيم الموصلي على اختيار الحس من صنفته لأنها لو فعلاً ذلك لحكي لأبراهيم على نفسها بالتقدم والحدق والرئاسة .

وبكمية م يكتب عجزاً الذي وبما تأتي بحبر يؤيد ، وقد جاء مثل هذا التأييد في ذكر المائة أصوات المختارة (١) إذ قل إبراهيم الموصلي لأنه إسحق وقد سمع ابن جامع : كيف رتب ابن جامع ربي ! فقال له : ربيتك ولا شيء أكبر عندي منك قد صغرت عندي في أسماء معه حتى صرت كلاً شيء .

ثم يخرج أبو الفرج من تحقيقه بهذه المبيحة القاطعة :

فإبراهيم 'محل ابن جامع هذا المحل مع ما كان فيها من المماثلة والتماثل ، ثم 'تقدم على أن يختارهم هو معه صوتاً نفسه يكون مقدماً على سائر الأسماء ، وإطلاقه هو وفليبيج عليه ، هذا خطأ لا ينبغي .

ومن تحقيقه في أسماء الخبر الآتي ، وهو 'بشأن لدرته في الدرس سكرتون أمراً من الأمور ولا تكون بحاجة على إنكاره ، وهذا ما يدل على مبلغ عذته بالحجج في التحقيق .

قل أبو الفرج في باب 'عاني خلفاء وأولادهم وأولادهم (٢) :

(١) آخره ١ صفحة ٥

(٢) آخره ١ صفحة ١٢١

ومن الناس من يشكر أن تكون عمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ويقول انها
أصوات بحكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت ذرئته بالصنعة وصدق الغناء
ومهرية وتمكن منه ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حل
من الحالات اشهر باخفاء ولا أعرف به ولا أعلم به ولا حاس من يقدرك ذلك
عه ويؤدبه وإنما هو شيء محسوس المحسوس بسنة اليه .

هذه رواية من فكر أن تكون عمر بن عبد العزيز صنعة في الغناء وهذه هي
الرواية المحمودة لها : وروى من غير وجه خلاف ذلك وأثبت الصنعة إليها وهو
أصح لقواين لأن الذين أنكروا ذلك لم تأبوا على دكارهم بحجة أكثر من هذا
الطعن والدعوى ، ومما موه قد يذهبهم أحسن رويت .

ثم شرع أبو الفرج في رواية الأخبار التي تؤيد هذا الرأي ، قال :
أخبرني محمد بن حنف وكيع والحدادين بن يحيى عن حماد بن اسحق قال :
حدثني أبي عن ثوبان بن اسمعيل بن حميع عن سباط بن بونس الكاتب عن شهدة
ثم عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معد عن ثوبان بن عمر بن عبد العزيز طارحه
حده في :

ثوبان صاحب رز سعاد .

وهو يكتب هذا خبر فأنه خبر آخر فقال :

وسحب هذا خبر من كتاب محمد بن حسين الكاتب قال : حدثني ثوبان بن يحيى
رؤفان غلام أبي هند بيل وصاحب محمد بن ثوبان . قال : حدثني محمد بن بونس
قال : حدثني هـ ثوبان ، رواه قال : ثم ولد المعنصم ، قال : حدثني عديبة بن المهدي
قال : حدثني عاتكة بنت شهدة عن ثوبان بن عمر بن عبد العزيز طارحه
عبد العزيز حده :

عديلة سعاد	عادت اعلت سعاد
كثرا عوتت فيها	وأنهي عنها عادي
وهو مشغوف اسعدى	قد عصى فيها وارا

قل كردم : وكان عمر أحسن خلق الله صوتاً وكان حسن القراءة لقرآن .
 يستخرج مما تقدم أن أبا الفرج عزم له حيران في صمعة عمر بن عبد العزيز :
 حبر ينكر أصحابه هذه الصمعة وحبر يؤيدونها ، فعدل عن حبر المجرّد من الحجة
 إلى الأُحْدَار ، وبُيُودَة بالحجج ، وهذا يدل على أنه لا تقل لأُحْدَار على غلّاتها
 وإنما يأخذ منها ما يُدنه الحجج ويطرح منها ما حرّده من هذه الحجج .

٨ ٩ ٨

وكما كان يحقق بعض الأُشْعَار والقصائد ، فكذلك كان يحقق بعض الأُحْدَار
 قال في أُحْدَار دَحْن ثُمَي (١) :

أُحْدَاراً مُحَمَّد بن حَلَف بن أَسْرَدَ بْنَ قُل : حدثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي
 عثمان بصرى قال : قال دَحْن : دَحْن على القصد بن يحيى ذات يوم ، لما جلسنا
 فام يوماً إلى وقفت ، فأخذ يدي ومضى بي إلى مسطرة له على الصرقي ودعا طعمه
 فأكلنا ، ثم صرنا إلى الكرب ، وبدا نحن صكّدت إذ مرت بنا حارّة سوداء
 حورية ثُمَي :

أُحْدَارِي وَصَيْبِي كَيْفَ مَاشَتْ وَكُونِي

أَبِ وَأَبِ بَحْيِي وَأَبِ لَمْ نَحْرِي

وطرب وقال : أحسنت ، دَحْنِي ، ودَحْن فمر بطعام فقدم اليها فأكلت وسقاه
 أقداحاً وسألها عن مواليها فأخبرته فماتت وشترها فوجدتها من حسن الناس عداً
 وأطيبهم صوتاً وأملحهم طبعاً فذلتني عليه مدة وناساني فكتبت اليه :

أَحْرَحَ السَّوْدَاءَ مَا كَانَ فِي قَسَتْ لِي مِنْ شِدَّةِ الْحَبِّ

فَإِنْ يَدُكَ لَا دَامَ لِي مَتُ مِنْ الْأَعْرَاضِ وَالْكَرْبِ

قل : وما قرأ ترغمة ضحكك وبث فتعاني ووصلني وعاد إلى ما كانت عليه

من الأسس .

قال مؤلف هذا الكتاب :

هكذا أخبرني المرزبان بهذا الخبر وأظنه غلطاً لأن دُحمان لم يدرك خلافة
الرشيد وإنما أدركها إبنه : ربيع وعبد الله . فمأثرت يكون الخبر لأحدهما أو
يكون لدُحمان مع غير العصل بن يحيى .

وقد بلغ من محققه أنه كان يفتبط الأَصمعي في بعض الأحوال ، فقد روى
في حذر ليلى الأحيائية حذر دحوظها على الحجاج وعطاء الحجاج إليها ثلاثمائة
دينار ثم روى حذر آخر فقال (١) :

حزري الحسن بن علي قال : حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المغيرة
قال : سمعت أبي يقول : سمعت الأَصمعي يذكر أن الحجاج أمر لها بمئزره آلاف
دوم وقال لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم أصبح الله الأمر ، فحملني إلى بن
عمي ، فتبته بن مسلم ، وهو على خراسان يومئذ ، فحملها إليه ، فأجازها وأقبلت
راحمة تزيد الدابة ، فلما كانت بالري ماتت فموتت ههنا ، هكذا ذكر الأَصمعي
في وفاتها ، وهو غلط .

وهذا تصحيح المخط .

قال نوافل مرج : وقد أخبرني عمي عن أخير سبل لأصحابي عن حمزة عن
إبراهيم ، وأخبرني الحسين بن علي عن ابن مهدي عن ابن أبي سعد عن محمد بن
الحسن السجستاني عن بن الخصب الكاتب واللفظ في الخبر للحزبيل ، وروايته
ثم ، أن ليلى الأحيائية قُلت من سمر ، فموتت بكرة بكرة ومعها روحها وهي في
هودج لها فقت : والله لا أرح حتى أسدته على بكرة ، فحمل روحها بجمعها عن ذلك
وتنزل لأن نتم به ، فمات أكثر ذلك منها تركت فصدت كمة عليها فموتت بكرة
فقت سلاماً عليك يا بكرة ، ثم حوت روحها إلى اقنوم فقت : ما عرفت له كدبة
قط قبل هذا ، قلوا وكيف ، فقت الحسن القائل :

ولو أن يبني الأحيالية صاحب
 استحدثت تسلم المشاشة وترى
 وأعبط من يبني بالآله
 بني ودوني رنة وصه — منح
 الماحدي من صاحب القدر صالح
 لا كل ما فرت به أمين صالح

ثم باله : لم يسمي علي كفاً ، وكاتب إلى صاحب القدر مومة كاملة ، ومما رثت
 اليهود وأسطرانه فرعب وطارت في وجه الحن ، ومما فرمى يدي على رثها ،
 ثبات من وقتها اندفعت إلى حننه ، وهذا هو الصحيح من خبر وفها .
 لا يرى شأن كبير في هذا الخبر ولكن الذي يهمنا فيه كثير ، فإن أنا
 الفرج عدل عن رواية الأصمعي إلى روايت نائية أكثر أسبغ ، فعملها : طرح
 الرواية الأولى ، وهذا دليل على ميله إلى التحقيق .



ولا بأس أن ننقل الآن إلى طرد آخر من رواياته نرى فيها آثار الحيرة
 والارتباك والتقص .

يقول في خبر محبون بني عامر (١) :

هو على ما نقوله من صحيح نسبه وحديثه : قيس ، وقيل مهدي ، والصحيح قيس
 ابن الملوح إلى آخر خبر .

وبأن يبحر آخر يؤيد هذه التسمية فيقول : وأخبرني الحسن بن علي قيس :
 حدثنا أحمد بن زهير قال : سمعت من لا أخصبي يقول : اسم المحدث قيس
 ابن الملوح .

فإذا فرغ من تصحيح نسب انتقال إلى الخط في حقيقته ، ومما بدء استقصاءات .
 وأخبرني حبيب بن نصر أبيي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري إلى أن ينتهي

إلى آخر الأسانيد فيذكر هذا الكلام : سأل بي عامر طمناً بطلان من محوون
بي عامر في وحدث أحداً يعرفه .

ثم يستمر في التحقيق فيقول :

وحدثني عمي عن : حدثنا أحمد بن الحرث عن : حدثني عن ابن ذئب قال :
قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً قال : أوقد فرغنا
من شعر العقلاء حتى روي شعر المجنون ، إسمه كثير ، فقال : ليس هؤلاء أعني
أما أعني محوون بي عامر ، الناس الذي قتلهم الغش ، فقال : ههنا ! هو عامر أعني
الكباد من ذلك ، إما يكون هذا في أبيه الصنف قبورها ، الحقيقة عقولها
العشيمة رؤوسها ، فأما رار فلا .

ثم روي عن الأصمعي أنه سأل بي عامر : سمعت الأصمعي يقول : وحدثنا ما
عرف في الدنيا قط إلا باسم محوون ، محوون بي عامر ، وابن العبرية ، ههنا
وصعبها الروه .

ثم روي جبراً آخر بنقص هذا الخبر فيقول بعد الأسانيد على إسان حمد
عبد الحارث بن سعيد : سمعت علي بن عامر في بيت المجنون وأنت في البيت في البيت .
ثم روي جبراً آخر بنقص الخبر الآخر فيقول : وحدثني عمي عن بكراني
قال : حدثنا ابن أبي عمير عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : حدثت ابن
حديث المحوون وشعره صممه في من من أمية كان يهوى امرأة عم له وكان كرهه
بظهر ما يده ويدها ، فوضع حديث المحوون وقال لأشهره التي رويها الناس للمجنون
وليس بها شيء .

هذا أحسن أن يحسنه على ذلك كله فقد انه روي في بعض الأسانيد أخباراً
متناقضة ، يدفع بعضها بعضاً ، ثم يفرغ من رويها كلها ولا يرى له ريباً قطعاً ،
وبعد أن يفرغ من هذه البراهين المتناقضة يدفع في أخبار محوون بي عامر كأنه
حقيقة من الخفايا ، بل يكون اندفاعه في هذه الأخبار دليلاً على اعترافه
بالمحوون ، ثم يرجع إلى الرواية المتناقضة فيقول : واخبرني عمي عن الكراني عن

العتبي عن عوانه به قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، ويسأل في بني عامر
صل ولا نسب ، فسئل من دل هذه الأشعار فقال : هي من بني فية .
ثم روى عن الحارث فيقول : قال الحارث : ما ربه من شعراً مجهول
عائل قبل في لبني الاسود الى المجنون ولا شعراً هذه - دله قيس في أمي إلا
يسوه لي قيس بن دريج .

ثم عصي في هذه المتناقضات ، وكأنه قد حار في أمره فلا عرف له إلا هذا
المخرج فيقول :

و نادى كرمي و قد إلى من أحوارده حملاً مستحسنة ، متبرئ من العهد بها ،
وأن أكثر شعراء المذكورة في أحباره يسها بمص روه لي خبره ، ومساها من
حكيت عنه اليه ، وإذا قدمت هذه الشريطة رئت من عيب طعن ومتبع يعيوب
وإذا وجد مثل هذه الخبره في حبر مجنون بني عامر فما هذا إلا لأن الرويت
قد خالفت ، فلم يجدوا أخرج سبيلا لي التحقيق ، فترك المتناقض على علانه ، وروى
أخبار المجنون كما سمعها كأنه اسم غير مستعار ، له حقيقة ، وعلى كل حال فانه حاف
العهد فتراها منها .

وأنعجب شيء في هذه المتناقضات أن ما أخرج روي عن الأصمعي فيقول :
وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا الربيعي وأخبرني الجوهري عن عمر
ابن شبة اسمها الأصمعي يقول وقد سئل عنه ، شيء عن المجنون : لم يكن مجنونا
ولكن كانت به لؤثة كلؤثة أبي حبة العمري .

ثم يروي عن الأصمعي نفسه حراً آخر بنفس الأول فيقول : وأخبرني هاشم
ابن محمد قال : حدثنا الربيعي قال : سمعت الأصمعي يقول : رحلان ما عرفنا في الدنيا
قط إلا باسم مجنون ، مجنون بني عامر ، ابن أمية ، فهي وصفي الرواة .

يروي أبو الفرج عن الأصمعي خبرين متناقضين ، يعرف الأصمعي في الخبر
الأول بحقيقة مجنون بني عامر ويقول فيه أنه لم يكن مجنونا ولكن كانت به لؤثة ،
وسكر في الخبر الثاني حقيقة المجنون ويقول أنه وصفه لؤثة ، ومحمد في الخبرين
الرواة أنفسهم في الأول هاشم بن محمد وأرباعي وفي الثاني هاشم بن محمد وأرباعي .

كل هذا لا بد منه عليه نو افرح فكان همه رواية الأحبار من مصدرها كما سمعها .

ويدور من هذه الأحبار التي تهاجر عن آثر الخير والارثاء والتماقص ، اعترضتها حمار عربية كانت حيرة في الفرح بها شدة من حيرته الأولى ، ولا بد لنا من ذكر الخبر الآتي حتى ننظر في رأي صاحب الأتاني فيه (١) .

خبر محمد بن يزيد بن محمد بن إسحق عن أبيه عن جده إبراهيم قال : سألت أرسيد أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب لأخبرني به بخوارق وإخواني فإذن لي في يوم السبت قال : هو يوم أسئله ، فإله فيه عا شئت ، قال فأتيت في يوم السبت بمنزلي وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي فإله احتجبت إليه ومرت بوابي فأتيت الأنواب وتقدمت به إلا بأذن علي لا أحد فإله أنا في مجلسي والخدم قد خفوا بي وجوارق يترددون بين يدي إذا شئيت شي من هبة وحمال ، عليه حمان فصران وفيضان بعمن ، وعلى رأسه قدسوة لاطئة ويده عكارة مفعمة بمصه ، وروحه مستفوح منه حتى ملأ البيت ولذر وداحلي مدحوله علي مع ما تقدمت فيه عيط ما تداحني قط مثله وعممت بدارد بوابي ومن حجي لأخذه فسلمت عليّ بحسن سلام فرددت عليه ومرت بالخوس فجلس ثم أخذ بأحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سل ما بي من الغضب وطنفت أن علماني نجروا مسري بادحلم مثله علي لأدسه وصرقه فقلت : هل لك في الطعام فقال : لا حاجة لي فيه ، فقلت : هل لك في الشراب فقال : ذلك الميت ، فشراب رطلا وسقينة مثله ، وقل لي : يا إسحق هل لك أن تقي لنا شيئاً من صنعتك وما قد تفتت به عند الخاص والعام فإلهي قوله ثم سمعت عليّ أمره فأخذت العود فحسنته ثم صررت فعبت فقال : تحدث يا إبراهيم فإله فإله ما رصي بما فعله من دحوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن عليه

حتى سمى ولم يسكني ولم يُشعل بحاطني ثم قال : هل لك أن يريده ، فندمت
وأحدث العود ففريت فقل : أحدث يا ناسحون فأتممت حتى مكثتكم ونصبت فحدثت
العود ونصبت ونحطت وثمت ما عينته إياه فيما تاماً ما تحفظ مثله ، ولا تم
نقاء كما تم به بين يدي حذيفة قط ولا غيره أموله لي : أكافئك ، فطرب وقل
أحسب بآصيدي ! ثم قال : أتأذن بعدك بالعم ، ففدت بشاك ، واستصعدت عذقه في
أن يفتدي بحصري بعدما سمعه مني ، فأحدث العود وحسه وحسنه فوالله لخلقه ينطق بلسان
عربي لحسن ما سمعته من صوته ثم تنى .

ولي كبد مقروحة من بيبي لها كبداً است بدت فروح
أناها علي الناس لا يشتروها ومن يشترى دأ عمه صحيح
أش من الشوف الذي في جواني أنيل نصيص بالشراب حرم
قال إبراهيم : فوالله لقد طبت الحيطان ولا ثوب وكل ما في البيت بحبه
وفي معه من حسن عذائه ، حتى حلت والله أبي أسمع عظامي وثديي بحويه ، وثقيب
مهونا لا نستطيع الكلام ولا الخواب ولا الحركة لما خالط قلبي ثم عني :

ألا بحمامت أنوى عدن عوده فاني إلى صوتك حرس
ومدن فلما عدن كدن عتدي وكذب بسراري لمن شين
دعون بتردد الهدير كأنك تسعين حبيب أو من حنون
فم رعيي مشبه حرمك سكين ولم تدمع لمن عيون
لم أعرف في هذه الايات حساً يدب إلى إبراهيم ، والذي عرفته بها الحمد من
الحرب من بسحر خفيف ومل وكاد والله ، علم الله ، عني أن يذهب طرباً وإرياحاً
بسمعت ثم عني :

ألا ناصباً مجد متى هجبت من نجد قد رادني مسراة وحداً عني وحد
أكبت كما يسكن الحرس صيانة ودبت من الحزن بترح والحمد
أئن هتمت ورفه في رونق الصبحي على عصص عصص السمات من رند
وقد رعمو أن لمب إذ نأى بعد وإن الثأني بشقي من الوجد

كل نذوبيا فسمي يشف ما سا على أن قرب الدار خير من البعد
ثم قال : إبراهيم : هذا الفناء الماخوري فخذ ، وانح نحو في عنائك وعلمه
حواريك ، فقب : أعدته علي ، فقال : أنت محتاح ، قد جدته وقرعت منه ، ثم عاب
من ابن يدي فارتفعت وقتت إلى السيف غرخته وعدوت نحو أبواب الحرم فوحدتها
مغلقة وقتت للخورى : أي شيء سمعت عندي ؟ فقلنا : سمعنا أحسن غناء سمع قط
فخرجت متجيرة إلى باب الدار فوجدته مغلقاً فسأت الدواب عن الشيخ فقال لي :
أي شيخ هو والله ما دخل إليك اليوم ؟ فحدثته ، فرحمت لا تأمل أمري قد هو قد
هتف من بعض حوام البت : لا بأس عليك يا ناسحق ، ما أليس . وأنا كنت
جلست وحدثت اليوم فلا أرى فركت لي الرشيد وقتت لأطرافه أبداً بطرفة
مثل هذه ، فحدثت إليه فحدثته ما حدثت فقال : ويحك تأمل هذه الآيات ، هل
تحدثها ، فأحدثت العود أمتحتها فإلهي راحة في صدري كأنها لم تزل ، فطرب
الرشيد وحس يشرب وم يكن عزم على الشراب وأمر لي بصلة وحملا ن وقال :
الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك تحدثها وقرعت منها ، فبنته أمتعا نفسه يوماً
واحداً كي تمتعك .

٨٨ ٨٩

وإمد أن روى هذا الخبر العرب ، وأمله أعرب حوار الأعالي ، عدت عليه
الخبرة في أمره فقال :

هكذا حدثنا ابن الأثير بهذا الخبر وما أدري ما أقول فيه .

على أي لم تحدث لابن الأثير ذكر آ في الأنساب ، وقد يجوز أن تختلط أسماء
الرواة في بعض الأحيان على أي المرح ، فيضع اسماً موضع اسم ، غير أن الأمر
ليس بذي شأن عظيم فبهم خير منه ، ولكن خبره أي المرح لم تطل في الأمر
فقد خرج من خبره فقال :

وأمل إبراهيم صبح هذه الحكاية يتفق بها أو صنعتت وحكيته عنه ، إلا

ان يحير أرباب الأسماء ما حق منه ما حدثني به أحمد بن عبد العزيز جوهرى وأحمد
ابن عبيد الله بن عمر قال : حدثنا عمر بن مشقة قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم بن موسى
عن أبيه قال : سمعت لحنياً فأعجبني وجمعت أصعب شعراً فعدد ذلك علي ورأيت في
المنام كأن رجلاً يقبلي فقال : يا إبراهيم "بياتك شعر عذائت هذا الذي تعجب به ،
قلت : نعم قال : فإن أنت من قول دي الرمة حيث قال :

ألا اسمعي يا دارمي على سلى ولا رال مهلاً بحر عذائت افطار
وإن لم تكوي سبر شسام بقعره تحرق بها الأدل صيفية كدر
قال : فأنقذت ونا فرح شعراً ودعوت من صرب علي وعينته فدا هو فوق
ما خلق الله فها علمت ذلك وعملت هذا المعنى في شعر دي الرمة تهمت عليه وعلى
شعره فصمت فيه أخا ما حوربة .

هذه أخبار شبيهة بشيء ما عرفت الكؤود كانت تعترض في الفرج في طريقه ، لم
يكن على أنام صاحب الأسماء عبد باجاً إليه في حل أصل هذه الأخبار ، ولهذا
دركته الأخيرة في أمره فلم يدري ما يقول ، ولكن هل نستطيع نحن في هذه الأسماء
حل بطائر هذه المعسل ، على أنه لا شأن لي في هذا كله وإنما معنى الإشارة إلى
تحقيق في المرح ليس غير ، فقد بعرضه خبر غريب من هذا الشكل ، فلا تصدق وإما
يخبر فيه ولا يدري ما يقول ، وإن كنت لا أرى في الخبر غرامة عظيمة ، فإن رجال
اعن ، وإبراهيم بن موسى في الطبقة الأولى مهم . يعرفون فيهم في بعض الأحيان ،
فيصيحون في حالة سمعها : العيون ، فيعوض عنهم شيء شبيه بوحى ، وقد كنت
جالساً إلى شوقي في يوم من الأيام فرأيت هذه العيون العيون ، فكان يسمع تحدثنا
بأدنه وكان ذهنه يشتغل بأمور ثابته ، كان يشتغل بالشعر ، فلا يصدق أن إبراهيم
كان في مثل هذه العيون ، روى هذه الحكاية ، لا يبعد أنه اهتدى إلى الأصوات
وأرته عينه ما أرته كما أنه لا يبعد أنه سمع هذه الحكاية أو سمعت وحكيته عنه ،
على نحو ما قال أبو المرح .

أما الخبر الذي وآه أبو المرح أشبه ما حق وليس فيه شيء من المبررة ، فقد

تنب أن كثيراً من علماء الرياضيات تشكل عليهم في بعض المرات مسائل رياضية فيأمنون وذهابهم تليح ، فبشتغل عقولهم بحلها في اليوم ، فدا تقبوا اهتدوا إلى حلها ، ومن هذا القليل ما حكى عن إبراهيم من أنه اهتدى إلى شعر بني به في يومه .

وكيف كان الأمر فقد دلنا الخبر المتقدم على أن أبا الفرج لا يقل إلا حار عن عائلتها ، فإذا أدركه خبر غريب حار في أمره في السوء وحاول المروء من هذه الحيرة ، وحسبه حيرته هذه فأنها مفتاح لتحقيق ، ثم نجد في هذا التحقيق على قدر الامكان فيبتدي إلى حل ، وسواء كان الحل صحيحاً أم كان خطأ انه على كل حال عي فيه بالتحقيق وحسبه هد ...

ومن لا حار الفرسية شعر الآتي ، فإن أبو الفرج : (١)

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن محمد الموفلي قال : حدثني أبي عن العلاء الشدادي قال : كان الوليد رديفاً وكان رجل من كلب يقول عقائمه مفاكهة ثموة فدخلت على الوليد يوماً وحدث الكلب عنده وإذا بينهما سمط قد رقع رأسه عنه ، فإذا ما يدولي منه حبر أخضر ، فقال : ادن سلاء ودوت ، ووقع الحيرة فدا في السمط مورة إسان وإرا رائق والنوشادر قد حملاني حصه ، فحفته بطرف كأنه يتحرك ، فقال : يا علاء ! هذا ما نبي لم يبعث الله نبياً قبله ولا يبعث نبياً بعده ، وقلت : يا أمير المؤمنين اتق الله ولا يفرأ هذا الذي ترى عن دينك ، فقال له الكلب : يا أمير المؤمنين ألم أقول لك ان العلاء لا يحتمل هذا الحديث ، قال العلاء : ومكنت آدمياً ثم حسنت مع الوليد على بناء كان بناء في عسكره يشرف به والكلبي عنده اد رل من عنده وقد كان لوليد حمله على ردون هملاح أشقر من ثوره ما سحر حرج على ردونه دوت فمضى به في الصحراء حتى غاب عن المسكر ، فثا شعر الا وأمراب قد حاوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتاً وردونه بفاد حتى أسلموه وبلغني

ذلك، فخرحت متعمداً حتى ثبتت أولئك الأعراب وقد كانت لهم آيات بالقرب منه في أرض الجراء لأحجر وبها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل قالوا: أقبل علي، على بردون فوالله لكانه دهن يسيل على صدره من فرأته، فمضينا لذلك، إذ انقض رحل من السماء عليه ثياب بيض فأخذ يصعقه فاحتله ثم بكسه وصرب برأسه الأرض فدفن عنقه ثم غاب عن عيوننا فاحتلباه خثماً به .

هذا هو البحر الغرب ، وقد روى أبو المرح دون تعليق ، وهذا بحر في البحر الأول المشاكل له فقال : هكذا حدثنا ابن الأثير بهذا البحر ، وما تدري ما قول فيه ، ولم تظهر حيرته في البحر الثاني ، وإنما كان البحر الثاني قد روي في البحر السادس والبحر الأول قد روي في البحر الخامس ، فقد يجوز أن يكون رأي في المرح فيه مثل رأي في الأول ، ولهذا سكنت ولم يفصح عن رأي .

ثبتت مدح من تحقيق صاحب الأغاني يختلف عن المدح التي عرفت منها ، من ذلك تحفيقه بالخط ، فقد قال في محاطة (١) وقفت بين إبراهيم بن المهدي وبين اسحق : وأما محاطة التي كانت بينه وبين اسحق فقد مضى في بحر اسحق مما طرف ونذكره هنا مما أحرق بحري بحس إبراهيم وقيام حجته أن كانت له ، وعذر فيه عيب عليه لأنه بذلك حقيق ، فمن ذلك : بحث من كتاب أعصابيه أبو العبد العباس بن أحمد بن ثوانة رحمه الله بخط اسحق في فرطاس وفي أعرف خطه ، وحوار لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف ، وأظنه خطه ، لأنه لو كان خط كاتب لكان أحود من ذلك الخط .

هذه أمور صغيرة في ظاهرها ، ولكن لها شأن في التحقيق ، فمن شده ساء أي الفرح بحده يعني بكل شيء ، حتى بالخط ، فيرى فيه اسلاً لتحقيق يرجع إليه

ولولا هذا الاسم الشديد لما نثار الى مسئلة الخط ولا كات هذه المسئلة نهما
في خلال قراءتنا للخبر أو الرواية أو الحديث .

و قد فرغنا من أسلوب تحقيقه بالخط ، فلهذا الى سبب له آخر في التحقيق
من ديث قوله : (١) "خبرني عمي قل : حدثنا الحسن بن عليل قل : حدثني محمد
بن عمرو الأنباري من أبناء حراسان قال : لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب
أن يوحه على رأس العباس . قل : عني إبراهيم بن محمد بن قيوته ، فوقف على
طرف الأيون وقال : اسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له
المأمون : لاسم الله عليك ولا حطاط ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم ، فقال له
إبراهيم : عني رسلت يا أمير المؤمنين . ففقد أصحبه ولى ثأري ، وفقدته تذهب
الحفيظة ، ومن مد له الاعتزاز في الأمل مجتبه في الأمانة على التلف ، وقد أصبح
ديني فوق كل ديب ، كما أن عمرو فوق كل عمرو ..

فما وصل أبو عرج الى هذا المقطع من الكلام قال : وقال الحسن بن عليل
في خبره : وقد أصحبت فوق كل دي ديب ، كما أصبح كل دي عمرو دونك ، فإن
تصاف وحققت ، وإن تصف وفضلت ، قل : وأطرق مدياً ثم رفع رأسه فقال : إن
هذه شررا علي بنك ، فالتفت فاذا المعتصم والعباس بن المأمون ، فقال يا أمير
المؤمنين : أما حقيقة الرئي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به
وما عشا . إذ كان ما كان في . ولكن الله عودك من العفو طادة جربت عليها دافعا
ما يخاف مما رجو ، فكهار الله ، ونسم المأمون وقيل على "مما" ثم قال : إن من
الكلام ما يفوق اللو ويقلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، فلهذا من عمي حديثه
وردوه الى مكر ما ، فلهذا ردا به قل : نعم : صرنا الى اسادة وارجع الى الألس
فلن ترى مني ابداً الا ما يحب ...

أما محمد بن أبي عرج ما وصل الى هذا الكلام وقد أصبح ديبني فوق كل ديب

كما أن عموك فوق كل عمو ... قطع هذا الكلام ثم رواه على وجه آخر فقال: وقال
الحسن بن علي في حيزه: وقد أصبحت فوق كل ذي داب، كما أصبح كل ذي
عفو داب. .. فإن قطع الكلام الأول وروايتي على وجه ثان منسوبة للتدقيق وعبارة
التحقيق، كل هذا يدلنا على اهتمامه بالذي سماه: التحصيل.

وقد يستدل على صحة الشعر باسم المكان، من هذا القبيل آخر الآتي^(١) رواد
عن أبي عبيدة عن أبيه بعد الأسانيد قال:
دخل عميا كثير يوماً وقد أخذ طارف ربطته وثقي طرفها لآخر وهو يقول
هو والله شعر الناس حيث يقول:

وحسرتني أرت نباء منزل للبي داب الصيف في المرسيا
هذه شهور اصيف عني قد انقصت فما للوى رمى بليلى اراميا
وبحر ربطته حتى سمع الياء ثم بولي عنا وبحرها ويقول: هو والله شعر الناس
حيث يقول:

وأنت الذي ان شئت كدرت عيشي وانت شئت بعد الله أنعمت مايا
وأنت الذي ما من صدق ولا عدا يرى بعثو ما أنقبت الا رنى يا
ثم يرجع اليك ويقول: هو والله شعر الناس، فقلنا: من تعي ما أنكر: وقال
ومن أعني سوى جميل، هو والله شعر الناس حيث يقول هذا. . .
وبعد أن انتهى أبو الفرج من هذه الرواية قال: ونباء حصة منزل أبي عذرة
وليس من منازل طامر، وإنما يرويه عن المجنون من لا يعلمه.

فاستدل بكلمة نباء في هذا الشعر على صحة نسبته إلى جميل، لأن نباء منزل
من منازل قوم جميل.
ثم يستدل في بعض الأحوال بالشعر على صحة رواية من الروايات قال في بعض
الأخبار^(٢):

(١) الجزء ٧، الصفحة ٨٩

(٢) الجزء ٢، الصفحة ١٨١

أخبرني محمد بن الحسن عن عمه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :
كان الوليد بن عتبة قد استعمل أربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على
الحلى بين الحيرة وطهر الحيرة ، فأحدثت الحيرة وكان أبو زيد في ثقل
شرح بهم برعيه ، فأبى عليه الأوسي وقال : إن شئت أن أريك وحدك فعلت والا
فلا ، فأتى ثور بن الوليد بن عمة فأنطأ ما بين القصور لجر من أشأم إلى القصور
لجر من الحيرة وجعله له حمي وأخذها من الآخر ، هكذا روى ابن حبيب .

وبعد هذه الرواية روى أبو الفرج رواية أخرى فقال : وأخبرنا بن عبيد
المرير قال : حدثنا عمر بن شبة قال : كانت الجنيبة في يد مري بن أوس فلما
قدم الوليد بن عتبة الكوفة امرأها معه ودفعها إلى أبي زيد ، روى صاحب الأعيان
هذه القوائين ثم قال : والقول الأول أصح وشعر أبي زيد يدل عليه في
الوليد بن عتبة يمدحه :

أمر نبيك يا ابن مري	ميرك من أبلح لها الديار
أصبح لها نارق ذات ثور	ترعى القف منها والعرار
محمد الله ثم فتي قريش	أبي وهب غدت بطناً غزارا
أناح لها ولا يحمي عليها	إذا ما كنتم سنة جزارا
ومن طاب مداه إلى المعالي	وطحطحتا بقطعة القصارا

ومن أهم ما نروى من الصحيحة كان إذا روى أحد الرواة شعراً بشك فيه
ذكره وقال : ولم أجده في رواية صحيحة ، فقد ذكر قصيدة لحنن أبشكري
المشهوره ونولها : (١)

ان كنت طادتي فسيري
نحو العراق ولا تحوري

ولقد دخلت على القضا
السكاف الحسناء تر
ودعنها فتصدف
وتنهب فتعنت
ودت وقال يا محبة
ما شئت جسمي غير حمد
ولقد شربت من مد
وقد شربت لجر صميم
ولقد شربت لجر صميم
فاد سكرت فاني
واد صحت فاني
يرت يوم صحت

ة اخذت في يوم الصبر
فل في الدمقس وفي الحرير
مشي القطة إلى المدير
كنت نفس طي هير
ن ما بحسبك من حرور
نك فعدني عني وسيري
مة الصغير والكبير
ن الاثا والذكور
ن صحيح والاسير
ن احورق وندر
ن الشوية والنير
ن قد له فيه نصير

قل : ومن الناس من ردت في هذه القصيدة .

وأحبها ونحيي ونحبها ونحيي

ولم أحده في روية صحيحه .

لا شك في أن البيت الذي رده في هذه القصيدة هو من روح القصيدة
مسم، ولكن أبا المرح لم يحده في رواية صحيحه فسته على ذلك ، وهذا دليل على
حسن التدقيق وشمخيص فقد كان يمكنه أن يثبت بيت ولا حرج عليه في ذلك
والكه لم يحده في رواية صحيحه لما أحب إنسانه دون الإشارة إلى ذلك .

* *

و لأن مصر في أسلوب من تخفيفه بخلاف عن الأساليب متقدمة .
روى الآيات لآية في أخبار مروان بن أبي حفصة (١) .

(١) جزء ٩ ص ٥٤

قل لمن صدت طائبا	وماى عك حائنا
قد بلغت الذي أرد	ت وإن كنت لأعنا
و عرفتنا بما أدهب	ت وإن كنت كادما
و فعل لأن ما أرد	ت وقد حدثت ناء

وقال :

قال : إن الشعر لا يستحق ولم تحده في مجموع شعره .
ثمى هذا أنه لا يمكنني عجز د القول وإنما يكلف نفسه عناء البحث والتفتيش
في طبع ديوان الذي ينسبون إليه شعراً ما حتى شئت في هذه النسبة .
ومن هذا النوع رواة الآيات (١) .

ومقالها : ما سمعت نعت محسنة
دار الذي أعطى موثق عمده
فمن طهرت نعتها من مثله
قال : مد هذه الرواية :

شعر خالد القسيري ، وأما ما يرويه إلى عمر بن أبي ربيعة ، ثم يذكر
الرواية في أن هذا الشعر لحاله ، قال :

أخبرنا محمد بن حبيب وكيع قال : أخبرني عبد الواحد بن سعيد قال : حدثني
أبو شعر محمد بن خالد السجستاني قال : حدثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن
قال : سمعت أبي يحدث قال : حدثني مسمع بن مالك بن مخزوم السجستاني قال :
ركب خالد بن عبد الله وهو أمير الحرس وهو يومئذ بالكوفة إلى صيغته التي يقال
لها : المكرخة وهي من الكوفة على أربعة فراسخ ور كبت معه في رورق وقال لي :
نشدتك الله يا ابن مخزوم هل سمعت أسيراً يصيح مكية يصيح :

ومقالها : ما سمعت نعت محسنة
أخبرنا : هل تعرفين المعرصة

قال : قلت نعم ، قال : الشعر والله لي والثناء لفريض مكة .
قال أبو العرج : وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي
ربيعة التي رواها البديون والمكيون ، وإنما يوجد في الكتب المحدثنة
والاسادات المنقطعة .

وهكذا نراه يرجع إلى الدواوين لبحثها عن صحة اسمه .
ولا بأس بأن نستمر في هذه الاستقصاءات ، يقول في إحدى روايته بعد
الأسيد (١) : إن الرشيد كتب في إتمامه أربعمائة بيت إلى مدينة السلام
فوافها وأهق قدومه في وقت يخرج الرشيد إلى أري لحاربة أشدار هرام
فأهق أطرس ستم ، فأقام أربعمائة بيت إلى أن دخل الرشيد ، فقام قدم دخل
عنه بالحيرة أناة وهو الموضع الذي يعرف بأسمانية ، فعاش في أول عتائه نحو أربع
شعر قاله هو أيضاً في الرشيد ، مدحه به وذكر خروجه إلى أطرسستان وهو :

لَا إِنْ حَزَبَ اللَّهُ لَيْسَ بِمَحْزَرٍ وَأَنْصَارُهُ فِي مَعْمَةِ السَّحَرِ
أَيُّ شَيْءٍ أَنْ يُعْصَى لَهْرُونَ أَمْرُهُ وَهَبَتْ لَهُ طَوْعًا بِدَافِعِ
إِدَارَةِ السُّودَانِ وَاحْتِوَايَتْ إِلَى هَارِبٍ مِنْهَا فَيَسَّيْ عَمَّجَرِ
لَطَاعَتِ لَهْرُونَ الْمَدَاةَ لَدَى الْوُغَى وَكَثُرَ الْأَسْلَافُ شَدْرُ هَرَامِ

قال أبو الفرج بعد هذا :

ويذكر إبراهيم بن المهدي أن الشعر للزبير بن دحمان وهذا خطأ الشعر لأنني
المنتهية ، وهو موجود في شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

وإذا فرغنا من هذه التحقيقات كلها ، وقد اطلعنا على أساليب ، جنما هذا
الكتاب تحقيقات يرجع فيها أبو العرج إلى ما سمع في عصر : المأثرة ، مقليه ،
فقد تكلم على سبب شعر الثمن من الشعر لا كثر (٢) وعلى إدخال عدي بن زيد

(١) الجزء ١٧ الصفحة ٧٤

(٢) جزء ٢ صفحة ٣٣

إليه في المصرية وروى حراً في هذا المعنى عن الزبدي الكلبي جاء فيه : وقال محمد
ابن عبيد الله في خبره عن الزبدي الكلبي : فرجع النعمان من وجهه وقال لعدي
اشني الليلة إذا ساهدت ارحل نعد علي ، فثبته فوحده قد أس المسوح وتنصت
وترهب وخرج سائحاً على وجهه . فلا يدري ما كان حاته ، فنصت ولده بعده
وسوا بيع وصوامع ، وبت هدت النعمان من اسدر لدير الذي ظهر الكوفة
يقال له : در هدد ، وما حسن كسرى النعمان الأصغر لها ومات في حسه ،
رهنت هدد ومسب اسوح وتقت في ديرها مترهه حتى ماتت فيه فدفنت فيه .
قل أبو الفرج بعد هذه الرواية : إني ذكرت الخبر الذي رواه الزبدي على ما
فيه من التحيط لأنني إذا كنت ناقصة ذكرت ما يروى في معانيها . وهو خبر
مخط ، لأن عدي بن زيد إنما كان صاحب المعاني من اسدر وهو المخطوس ،
والنعمان لا ذكر لا يعرفه عدي ولا رآه ولا هو جد النعمان الذي صحبه عدي كما
ذكر ابن زهد ، وقد ذكرت نسب النعمان أيضاً وحمل هذا النعمان الذي ذكره عم
النعمان من اسدر الأصغر من اسدر لا ذكر ، وتنصت السائح على وجهه ليس
عدي دخله في المصرية ، وكيف يكون هو المدخل له في نصرانية وقد صرحه
مثلاً للنعمان في شعره ، خمسة مع من صرحه مثلاً له من المور السائمة .
ومن هذا شكل تحقيق آخر في نسب التراب بن عبي بن عبد الله بن الحرث
بن أمية لأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف وهم الذين يقال لهم العللات .
وقد ذكر الزبير بن بكار عن عمه أن الثريا هذه إنما هي أخت محمد بن عبد الله
المعروف بأبي حراب العبلي الذي قتله داود بن علي ، فرد أبو الفرج على هذا
القول فقال (١) :

وهذا غلط من ابن زبير عدي ، وثبت أن تكون بنت عبد الله بن الحرث
شبه من أن تكون تحت لذي قتله داود بن علي ، لأنها ردت أغريص أبي

وعلمته النوح بالرائي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرة ، وإذا كانت
قد رنت الغريص حتى كبر وعلمته النوح على قتل الحرة وهي وقعة كانت بعقب
موت معاوية فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة ، وبين ذلك وبين من قتله
داود بن علي من بني أمية نحو ثمانين سنة ، وقد شبت بها عمر من بني ربيعة في حياة
معاوية ، ونشد عبد الله بن العباس شعره بها ، وكيف تكون أخت لذي قتله
داود بن علي ، وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي امرأة كبيرة ، وقد اعترف
الزبير أيضاً في خبره بأن عبد الله بن الحرث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير ،
وقول من قال إنها بنته أصوب من قول من قرأها عن فله داود بن سبي ، وهذا القول
الذي قدنه قول ابن الكلبي وثني اليعطيات ، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن
الحرث عن المدائني عن أبيه طائفة ، قال : وحدثني به جماعة من أهل نجد
نسب قريش .

التراحم في الأغاني

أبدأ في هذا الفصل بالكلام على الحاجة الأولى من أسواق التي عرفت على
ذكرها في هذا الكتاب ونسبها تراحم طبعات من الشعراء والمفكرين وغيرهم، وقد
كنت قد رافيتي في هذا التراحم فقد رافيتي فيها وصف هبات شعراء وملازمهم
وما كانهم ومشاربهم وغير ذلك، إني لا أرى فائدة في الاستقصاء وإنما أرى
أن في ذكر أعطاء من وصف طبقات وملابس والمتكلم مقبلة، في هذه النماذج
صورة كافية.

ورب قائل يقول: وما فائدة الهبات في التراحم، لاشي يحلو من فائدة، فإن
نا، المرح ما تكلم على معنى ابن بحر (١) فقد عن إسحاق أنه كان قليل الملاسة
للناس، فأدخل ذلك ذكره، فما يذكر منه إلا عاثر.

وممن لا يدري ما كان قليل الملاسة بس، وإنما بدا في الترجمة
بسمها ما قال إسحاق: وكان معه أي مات بها خدام، وبه يمشي خلفه، ولا يحاط
الناس لأجل ذلك، عرفنا سره في دولة مستنه له من.

كثيراً ما ذكر أبو عريخ الهبات في تراحمه، حتى هبات قدماء الشعراء، فمن
طرائف الأمور أن نعرف هيئة شاعر من قدماء الشعراء في الجاهلية (٢) ويقال أنه
تول من قل الشعر من رار وهو أقدم من امرئ القيس، ولقيه امرؤ القيس
في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه في طريقه وسخته العرب:
عمر صائغ، بوه في عربة وفي غير أرب ولا مطلب.

(١) جزء ١ صفحة ١٥٦

(٢) جزء ١٦ صفحة ١٥١

هذا الشاعر اسمه عمرو بن قبيصة ، كان شاعراً جميلاً ، حسن الوجه مديداً القامة ، حسن الشعر ، وكانت ساداتا قدميه ووسطاه متصفقتين وكانت عينه محبالة ، معجباً به ، رقيقاً عليه .

وقد نفس في ذكر هيات ، وبلغ من نفسه أنه كان في بعض الأحيان يذكر طول الشاعر ، أبو ريد الغافني وهو ممن أدرك الأهلوية والإسلام كان طوله ثلاثة عشر شبراً وكان ممن إذا دخل مكة دخلها منكراً لجماله (١) .

وكما وصف جمال شهاب مراحه فقد وصف قبحهم وكثيراً كان دميماً قبيلاً أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحاً (٢) .

ولم يقتصر في تراجعه على وصف هيات الرجال وحدهم وإنما وصف النساء أيضاً ، من ذلك وصفه لمرأة الميلاء قال (٣) : وكانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن حسماً وسميت بميلاء ، أي بدوية في مشيها ، وقيل بل كانت تدعى أميلاء ، وشبهه بمارحان وسميت بذلك ، وقيل بل كانت مفرمة ، أي شرب وكانت تقول حديد مثلاً وأردد فارغاً ، ويرى أبو الفرج أنها سميت الميلاء لميلها في مشيها .

وقد نجد في بعض المواطن من الترحم وصف هيئة من الهيات لا يكاد نجد مثله في هذا العصر ، من ذلك وصف هيئة دي ر مة (٤) .

كان مدور الوجه ، حسن الشعر ، جمدها ، أقي ، أنزع ، خفيف العار ، كان ، حسن الصحت ، منعوها ، إذا كلك كلك نبع ماس ، يضع أسانه حيث يشاء . وقد رأوه صبيحة شيخاً حناً ، سقطاً مسافراً اجتمع الناس مرة (٥) وحلفوا عليه وكان دميماً ، شختاً حتى قالت له : اسمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه ،

(١) ج ١١٠ صفحة ٢٧

(٢) خر ١١٠ صفحة ٥

(٣) خر ١٦٠ صفحة ١٢

(٤) خر ١٦٠ صفحة ١٠٨

ووصفه آخرون فقالوا : كانت كدار اللحم ، مروجاً ، قصيراً ، وكان أمه
ليس بالخس .

وقد أنشغلنا إلى الكلام على بعض الناس أصحاب الترحم وريهم لا يرى
بأساً بأن أذكر شيئاً من أوائهم في دورهم ، فإنه كان يأكل ويشرب في آية
الفضة والذهب من عطاء المملوك وبيته وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

إن عبارة مثل هذه العبارة تعرض علينا صورة من صور البيئة التي عاش فيها
الثائفة ، وهي بيئة حضارة ، فداقنا بين بيئة الثائفة وبين بيئة أصحاب المم في
هذا العصر ريثما أن الذين يستطيعون أن يأكلوا ويشربوا في آية الفضة والذهب
في أيام هذه المملوك وأنشأ المملوك ، فمضى هذا إن الثائفة كان يعيش عشرة
المملوك في عصره .

وكما ذكرنا آخر الماصي على رأس بعض المتقدمين ، حتى في الحاشية ، في وريهم ،
فقد بدأ آخر الآي على الناس في ربيهم ، فابن سريج الذي كان أحسن الناس
سواء كان مسلماً ، فكان باسم حجة مركنة ، معى هذا أنهم كانوا يتأقون في أربابهم ،
حتى في صدر الاسلام ، فإن ابن سريج غنى في زمن عثمان بن عفان .

وكذلك شاعر أبو ذؤلمة ، فقد كان رجلاً جميلاً وكانت له حجة يرسلها
فصرب منكبيه . وقال اشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب .

فري حجة كان منتشر في عصر من مصور ، وهو صدر لاسلام ، بعد أن بدأ
شعر عقادير مثل هذه الأخبار الصغيرة في التراجم ، فإنها مادة ترجع اليها في
تركيب عصر من المصور من بعض نواحيه ، إما من ناحية الأثر ، وإما من ناحية
التألق في أوائ السفرة أو غير ذلك .

فلنستعرض في الاطلاع على هذه الأثر ، فقد كانت إحدى حوري الرشيد
تجلس بين يديه وعليها قميص مودوسر وبيل مودوده وفسح مودود ، كأنها
ياقوتة على وردة .

وحتى الموصي كان يلبس ثياباً وحف أحمر ويمتصص بمصانة صغراء ويشد
وسطه بشقة حمراء من حرير .

بترامى لها في هذا كله دوقه في لأريه . ترى نساءه الأثوان في باس إحدى
حواري الرشيد وفي لباس يحنق الموصلي ، وهذا حمار كثيراً ما يمشي بها رجل
العرب لأنها يوصح لها صورة عصر من المصور .

ولم يقتصر أبو الفرج على ذكر ثياب الخنثيين من الرجال والنساء ، وإنما وصف
أزياء طبقات ثانية ، فهذا قاضي القضاة محمد بن أبي دواد كان يدخل إلى الوثني
بسواده وطوبلته .

وإنا نجد في حلال وراثة لأخبار الأرباء في راحة حمار تلوي اسمع .
من ذلك ما رواه أبو الفرج (١) قال :

وحدثني محمد بن يحيى عن رجل قال : حدثني شيخ من بني عيم بحرامه لقال :
حاه شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رَبِّتْ نَا جَعْفَرُ فِي أَمَامِ	كَسَانِي مِنْ خُرْ أَدْرَاعِهِ
شَكُوتُ إِلَى صَاحِي مُرْهَا	وَقَالَ سَتَوْنِي بِهَا السَّاعِ
سَيَكْسُو كِبَالَا حَادِ الْخَفَرِي	وَمِنْ كَعْفِهِ الذَّهْرُ تَفَاعِهِ
وَمَنْ قَالَ لِلْجُودِ لَا تُعَدْنِي	فَقَالَ لَنْ أَسْمَعُ وَطَاعِهِ

وقال عبد الله لفلانمه : ادفع إليه دُرّاً مني خُر ، ثم قال : كيف لو نرى
حتى المسوحة بالذهب التي شربها شبنمة ديار ، فقال له الشاعر : بني دعني
أعني إعفاهه خرى ، فلم يأتى هدر خنه في المنام ، فصاحت منه ، وقال : بعلاه
دفع به حتى الوثني .

هذه أشكال من ملابس بعض الشعراء والمغنين وزينتهم وهياكلهم غير عادية في
ترجم الأعرابي وقد مر بأشكال ثمانية من ملابس خدمه في حلال حماره .
قال أبو الفرج : (٢)

وقال محمد بن برزغان : حدثني بعض كتّاب سلطان أن الرشيد هب ليلة

(١) خبره ١١٠ صفحة ٦٥

(٢) خبره ٥ صفحة ٢٩

من نومه فداء بحجر كان تركه في القصر سود قريب من لأرض فركبه وخرج
في دواعة وشي متناً نعمة وشي ، ملتحداً ، نار روثي ، بين يديه زمرته خادم بيص
سوى الفرائشين ، وكان مسرور مرعاني حرباً عليه لكانه عنده ، فلما خرج من
باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ، قال : ردت منزل الموصل
فمضى ونحن معه وبين يديه ، حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، خرج فلقاه ، وقبّل
حجر حمارة وقال له : يا أمير المؤمنين : في مثل هذه الساعة تطهر ، قال : نعم ،
شوق طريقي ، ثم رل حرس في طرف لانيوان ، وأجلس إبراهيم ، فقال له إبراهيم ،
ياسيدي . أنشط لشيء تأكله ، فقال : نعم ، خاميز ظلي ، فأني به كأنما كان معداً
له فأصاب منه شيب يسيراً ، ثم دعا بشارب حمل معه ، فقال الموصل : ياسيدي ،
وُعَيْت . أم بعيت مأوى ، فقال : بل الخواري ، خرج حوري إبراهيم ، فأخذ
صدر الانوان وحاميه ، فقال : بصرى كاهن ، ثم واحده ، فقال : بل تصرب لثان
الثان ، وتعني واحدة فو حده ، فعملت ذلك حتى مر صدر الانوان وأخذ حاميه
والرشيد بجمع ولا مشط شيء من عشرين إلى أن عت صبية من حشيشته :

مورري ريد ود أعيت فوادحه إقبس ادا شئت من قلبي بمقباس

ما فجع بأس في عيني وستمحهم ادا نظرت فلم أبصر في الناس

قل : فطرب لغنائها و مستعاد الصوت مراراً وشرب أوطالاً ثم سأل الخارية
عن صناعه ، فمسكت ، فاستدأها ، فتعاسب ، فأمرها فأقيمت حتى أوقفت بين
يديه ، فأحمره شيء سر به إليه ، فدعا بحمره ، فركبه وانصرف ، ثم اتفأ إلى
إبراهيم فقال : ماصرك أن لا تكون حليعة . فكادت نفسه يخرج ، حتى دعا به ودناه
بعد ذلك ، قل : وكان الذي حمره أن الصنعة في صوت لأخته عاقية بنت مهدي
وكانت الجارية لها وجهت بها إلى إبراهيم بطارحها ، ففار الرشيد .

وهذا نوع آخر من ملابس الرشيد في الصيف .

قال أبو الفرج : (١)

فخبرني حبيب بن نصر اهل بيته قال : حدثنا سفيان بن محمد بن موسى قال : حدثنا
 صالح بن علي ، يعني الانعم ، عن ابراهيم بن موسى قال : وكان صالح حازه قال :
 بينا انا عشيبة في مري دناي حادم من خدم رشيد ، فاستجني بر كوت خربت
 شبيهاً بالراكض ، فلما صرت الى الدار عدلت في عن المدخل الى طرف لا اعرف
 فالتفتي بي الى دار حديثة البناء ، فدخلت محملاً واسعاً ، وكان الرشيد بشري اصحون
 الواسعة ، فاذا هو جالس على كرسي في وسط دكان فمجلس يس عنده احد لا
 خادم يسقيه ، واذا هو في اسننه نبي كان يلسم في الصيف : علالة رقيقة متوشح
 عليه نار رشدي عراض اعد ، منسرح ، فله رآني هشت في وستر وقت يوم ويلي !
 اني اشتبهت ان احسن في هذا صحن ، ثم شفق لا اليوم ، واحسن الا يكون
 مملي ومعاك احد ، ثم صاح بالخدام ، فوافه مائة سيف ، واذا هو بالاروقة مستقرون
 بالاساطين حتى لا يرم ، فلما داهم حوا اجميعاً فقل : مقطوعة لار هيم ، وكان هو
 قول من قطع انصافات ، فالتفت ففقد في لي كناه وحبه ما غرت منه ودهم ودفق
 بحوالي طراني ما قدرت ، قل وفعلا وحدثت في ذلك ونشفت ورحوت خائره في
 عشتي ، واما كذا في حاه مبرور الكبير فقام مقامه الذي كان اذا فمه
 عم الرشيد به ريدت يسره شي فافواه ايه يديو فاني في اذه فقه حقية ثم
 نحي ، فاستشاط عصه وحررت عساه وسمعت في حاه فقل : حاتم صبر على آل
 بي بني طاب ، والله لا اقمهم ولا افس شيمهم ، ولا فعلن ولا فعلن ، فقلت :
 اما الله يس عند هذا احد يخرج غصنه عليه ، احببه والله سيوقع في يدك عبي :

نعم عوناً على الموم ثلاث	ممرات من بعد ثلاث
امده زرع فقه عذر	لا يطا ككهن حياث
فدا ما ولت كهن حوار	عطر ثيصر و حوه حياث
ثم فيها لك السرور وما طيع	ب عشت لا الحياث الاث

قال : وبيك سهي ثلاث لا اتم هم ، فشررت ثلاث متناعة ثم قل : من دعيت
 ولما قلت : ثلاث ، ممرات من بعد ثلاث قال : هت وبيك ثلاث ، ثم قل لي : عن

فلما عيسته قال : حث عني بأربع خمة العشر ، ففعل ، فوالله ما استوفى آخرهن حتى مسكر ، فنهض ليدحد ثم قال : قم يا موصلي فالتصريف ، يا مسرور ! أقسمت عليك بحياتي وبحقي الأشيعة إلى مرله بمائة ألف درهم لا أستأمر فيها ولا في شيء منها ، ، خرحت وبنه وقد نمت حوي ودركت ما ملأ ، ووفيت مرلي ، وقد سبقتني المائة الألف الدرهم إليه .

والوليد بن يزيد كان عليه في بعض الأحيان حمة وشي ورداء وشي وحف وشي وفي يده عقد حوهر .

وقد نحتتم أحرار المال و ملاس في بعض الأحوال في آن واحد (١)
لما قدم الرشيد برؤفة تشده عند ملك من صالح الهاشمي قصيدة كلثوم بن عمرو المتأني التي أولها :

ماذا شجاك بخوارين من طلل ودمنة كشفت عنها الأفاصير

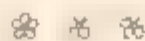
يقول فيها :

هذه يمينت في فراء صائلة	وصارم من سيوف الهند مشهور
ان كان ما دوواك ومارقة	وعصاة دينها الدوان والزور
فان ما لدي لا يستحق اد	حث الحيد وصمها المضامير
مستنط غرمت الغلب من فكر	ما بينين وبين الله معمور

وقال الرشيد : لمي هذه ، فقال : لرجل من بني عتاب ، يقال له عمرو بن كلثوم قال : وما يمنعك ان تكون مات ، فأمر باشخاصه من رأس عين ، فوافي الرشيد وعينه قبض عبط وفروة وحف وعي كتفه ملحمة حبة نغير سراويل ، فلما رفع الحرة قدومه أمر رشيد أن يفرش له حجرة ويقام له وطيفة ، فعموا ، وكانت المائدة اذا قدمت اليه أخذ منها رقاقه وملحاً وحلط بالتراب فأكله بها ، فادا كانت وقت يوم ٧ على الأرض والحجم يتعقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره فأمر بطرده .

ومن هـ النوع احر الآتي . (١) قل أبو الفرج :

أخبرني أحمد بن عثمان قال : حدثنا علي بن محمد التوفي قال : سمعت أبي يقول :
كان المهدي يعطي مروان وسما الخاسر عطية واحدة وكان سر أبي باب المهدي
على البرذون ، قيمته عشرة آلاف درهم ، والبرج والحجم المقدودين ، ولده احر
والوشي وما أشبه ذلك من الثياب العالية الاثمان ، ورائحة مسك والناعية والطيب
تموج منه ، ويحيى مروان وعليه فرو كمش وقبض كرايس وعمامة كرايس
وحق كمثل وكساء عليط من الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلاف حتى يقرم
إليه ، فاذا قرم أرسل علامه فاشترى له رأساً ، فكله ، فقيل له : راك لا تأكل لا
ارؤس في الصيغ واشتاء ، فلم تختار ذلك ، قل . نعم ، ارؤس أعرف سعرة ،
ولا يستطيع الغلام أن يمسي فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ،
ان مس عيباً أو أداماً أو حداً وقف عليه ، فكل منه لو أن ، كل عيبه لو أن
وذهب لو أن . وعلصحته لو أن وأكفى مؤنة طبخه ، فقد احتضمت لي فيه مرافق .



ليس عاقي في هذا الفصل لاستقصاء في ذكر التراجم في كتاب الاثافي وإنما
عاقبي ذكر عايج منها لسيرة صفها على وصف الهيئات والمآكل والمشارب
والملابس ، ولا أحب أن أعلق هذا باب دون الاستشهاد بفصل من المصنوع
يشتمل على أكثر مما ذكرت ، وهذا رحماً إلى ترجمة إسحاق بن إبراهيم (٢)
وحد في من الخصائص ما لا يحصى كثيراً مثله في كتب التراجم ، فكان أبا الفرج
يصف إسحاق الوصف الذي ينسبه اليه كلب ، وهو ينسبه اليه الذي لا يزيد على

(١) الجزء ٩ الصفحة ٣٧

(٢) جزء ٥٠ صفحة ٩ :

مقدار جسمه ولا ينقص عنه ، وهذا هو فن التراجم ، وقد نجد كثيراً من
 أصحاب التراجم في القديم إذا مضى لهم قول في بعض الشعراء أو الكتاب وغيرهم
 كان قولهم عاماً يطلق في كل واحد من الشعر ، والكتاب ، أما أبو الفرج في ترجمة
 إسحق بن إبراهيم وفي بعض تراجمه فإنه كثير التدقيق في الوصف بحيث لا ينهي
 القاري من قرأه ترجمة لا وصفها مائل مبيح ، وظل أن ذكر شيء من ترجمة
 إسحق بن إبراهيم بلغ دليل على ما ذكرت ، وهذا بعض نص هذه الترجمة :
 وموصفه من العز ومكانه من الألب ومجمله من الرواية وتقدمه في الشعر
 ومراتبه في سائر الحسن شهر من أن يدل عليه فيها يوسف ، وما العبد فكتاب
 صغير عجمه وذو ما يوسمه به وإن كان لغالب عليه وعلى ما كان يحسه فإنه كان
 له في سائر ذو به نظير ، وكما ، ولم يكن له في هذا طهر ، فإنه لحق عن مصر
 فيه وسبق من بني ، وأحب به من جميع طرقة وأودعها ، وسهل عليهم سبيله وأرها
 وهو يمام أهل صديقه حميماً ورؤسهم ومعه به ، يعرف ذلك منه الحس وأدام
 وبشده به أبو من وأما في على به كان كره الناس له به وشدهم بفضله لأن
 مدعى إليه أو يسمى به ، وكان يقول : بوجدت أن تصرف كما أراد مرشدي أن
 أعني ، كما قال إسحق بن يوسف ، يعني شمر مفرح ، لا أطبق أكثر من دهر ،
 وأني من العناء ولا بد لي من يد كربي إليه ، وكان الزموني يقول : لولا ما سبق
 على أسنة الناس وشهر به عندهم من الفناء لوليت القضاة بحضرتي فإنه أولى به وأعف
 وصدق وأكثر ديباً وأمانة من هؤلاء القضاة ، وقد روى الحديث ولقي أهله مثل
 مات بن نيس وسفين بن عبيد ، هشيم بن بشر وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية
 حمير وروح بن عمار وغيرهم من شيوخ مرق والحجاز وكان مع كراهته للفناء
 نص حقيق أنه وشدهم بخاله به على كل أحد ، حتى طلى جواربه وغلمانته ومن يأخذ
 به منسباً به متعصداً له فصلاً عن عجم وهو لذي مدح أحاسن العناء وطرائقه
 ومير ، تميزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده

العامّة

ذكرت في فاتحة القول أنّا إذا كنّا نقرأ الأعاني الوقوف على شيء أكثر من الشعر ، وأبعد من الأحبار فقد ضعنا في هذا الكتاب لأنّ الحياة التي تداع بها أسرارها مديدة الآفاق ، ولقد شعرت من اليوم بهذا الضياع ، رحمت إلى دفاتري لأجمع منها ما يصور لنا طائفة من الحياة في فضاء عصورنا فإزدحمت عليّ المصوّر حتى أدركتني الخيرة في الأحبار ، ما أكثر ما حلّ التي دخلها أبو الفرج في كتابه حتى سألت نفسي هذا السؤال : هل مر عليه شيء لم يذكره .

لم أفرح بأحبار أحدهما ، والأمراء ، وسماء ترحي بأخبار العامة ، لأنّها لا تعرف عنهم شيئاً ، فقد دوّن بعض المؤلفين سير أعاظم الرجال ، وأهملوا حياة الناس حتى كادت أحبار العامة تذهب عنا فلا يزال بعضنا يسأل بعضنا : كيف كان الناس يعيشون في تلك العصور ، كيف كانت مجتمعاتهم ونسبهم ورتبهم وملاهيهم وما كانوا ومشاربهم ، كيف كانت مدارسهم ، وإخلاصة كيف كانت حياتهم .

وصف ما أبو الفرج أشياء كثيرة من هذا النوع بحيث إذا أردنا أن نجمع عناصرها نستطعم أن نركب من هذه العناصر نصراً ، رمته أو حياة محدثيها ، غير أنّي لا أرمي في هذا الكتاب إلى التعرّض لكل ما وضعه أبو الفرج في أعاليه ولا أؤجّح وضع فهرس يجمع موضوعاته ، فقد ذهبت عني أشياء كثيرة في الأعاني لم نشر إليها في هذه المصوّل ، وأما الذي أرمي إليه جمع صور قليلة تعرّض عيب حملة من توحى الحياة العامة أو الحياة الخاصة في عصر أبي الفرج وفي المصوّر التي قلها ، فإذا نظرنا في هذه الصور نخطئ بأمور غير دقيقة من أحبار الناس وأحبار الجناء في زمن بني العباس وبني أمية ، وحيث ندرّ - فصل كتاب الأعاني في هذه الضياء الذي ألقاه الينا .

أحب قبل كل شيء أن تشير إلى أحبار العامة التي نفقها أبو الفرج في أعاليه ،

لقد نتبع العامة في مذهب عقولها وتدابيرها ولغتها ومعتقداتها ونسبناها على الخاصة بحيث نستطيع الموارنة بين العامة في عابرينا والعامة في حاضرتنا ، فنصل الى تشابههم في جملة من أوجههم ولولا هذه الأخبار التي رواها أبو الفرج لما وجدنا الى معرفة هذا المشبه سبيلاً .

د أرد ، ان نعرف طرفاً مما يسميه في عصره هذا ، عقيدة العامة ، فليقرأ الخبر الآتي : (١) قال أبو الفرج :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مبرويه قال : حدثني عثمان الوري قال : رأيت الغساني يأكل خبزاً على الطريق ، فقلت له : وما تستحي . فقال لي : رأيت لو كسائي در فيها نفر كمت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي راء فقال : لا ، قل : فاصبر حتى أعلمت أنهم نفر ، فقام فوعط وقص ودعا حتى كثر راحم عليه ، ثم قال لهم : روي ما غير واحد أنه من مع سبعة نساء لم يدخل الدير ، فما بقي أحد الا وأخرج سبعة نساء يومئذ به نحو أونية أنه ويقدر حتى يبلغها أم لا ، فصاروا قال لي الغساني : ثم خرجت منهم نفر !

من هذا خبر يتبين لنا ان عامة عامة في كل دهر ، وقد تختلف مظاهر عقيدتهم باختلافات يسيرة وانما جوهر هذه العقلية يبقى واحداً .

وكما كشف لنا نوح مروج عن بعض عقلية العامة فقد كشف لنا عن بعض معتقداتها ومثل في كتابه مايلي : (٢)

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذ الموتة في كل سنة فأرادوا علاجه فتكلمت صاحبه على سانه وقت : كريمة بنت ملحد سيد الخن ، وان عاتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدت أكرم منه لموته .

فلا زال يشاهد في هذا الدهر نساء يعتقدون ان فلاناً تدسه حية أو تصحبه

(١) الجزء ١٢ الصفحة ٤

(٢) الجزء ٣ الصفحة ١١

حنية فإذا أصابه الضررُ تكلمت هذه الحنية على نفسه فقالت لأهلها ودهنه : لا تعدوه
لا تفعلوا به كذا .

واستقصى أبو الفرج في بعض أخبار ربيعة حتى وصف بدنيهم . ثم الناس
من يصلي ويصوم ولكنه لا يف عن مال حرام ، ومنهم من لا يصلي ولا يصوم
ولكنه لا يأكل مال الحرام وقد كان مثل هذه الخلقة في القدم فمدح في الأغاني (١) .
وكان لاس يرض ، وهو شاعر إسلامي من شعر الدولة الأموية ، صديق
من عمال بن هبيرة ، فاستودع رجلاً ، سكاكاً ثانياً ، فبدرهم واستودع مثلهما
رجلاً ثانياً ، فبما البسك في ما داره وتزوج به ، وثقة ، فحدثه عن ما يبدي
فأدى إليه الأمانة ، فقال لاس يرض :

لا لا يفركت دو سجده	بصل فما دالت بحج
كانت محبته حادثة	بصريح طوراً وبترجيع
وما للثقي رعب وحب	ولكن يعبر مستودع
ولا تفرق من أهل البيت	ون قيس شرب لا تقنع
ومندب علم عما قصد خير	ت إن كابد عدها بجمع
ثلاثون ألفاً حواها السجود	فدست لي هاهنا بجمع
بني الدار من غير ما ماله	فأبواب زرافهم حوج

وعلى الرغم من هذه العقلية ومن هذه المعتقدات ومن هذا التدين
كان أصحاب الطبقات الأربعة يدرسون العامة ويخافون سرهم ، وهذه قصة أبي يوسف
القاسمي وبن جامع أبي (٢) :

قال هرون : وحدثني أبي محمد موهبي ، قال : حدثني صاحب بن علي بن
عطية وغيره من رجال أهل العسكر قالوا : قدم ابن جامع وسمعه له من مكة

(١) جزء ١٥ الصفحة ١٦

(٢) جزء ٦٠ الصفحة ٦٦

على إرشيد ، وكان ابن جامع حسن السمعة ، كثير الصلاة قد أخذ السجود
 جبهته ، وكانت يتم بمائة سوداء على قلنسوة طويلة ، ويلبس لباس
 الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في ربي أهل الحجاز ، وبما هو وقف على باب يحيى
 ابن خالد بنتمس الأدن عليه ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى
 يأتون لهم أو يصرفهم ، فقبل أبو يوسف القاضي ما وجدته أهل القلائس ، فلما هم
 على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ، ثم قل له : أمتع الله بك ، فوسمت فيك
 الحجرة وافرشية ، قال : أصبت ، قال : فمن أي قرية أنت ، قال : من بني سهم قال : فأني
 الحرميين مدرك ، قال : مكة ، قال : ومن أبيت من ههنا ، قال : من عن شئت ، فها تحه الفقه
 والحديث فوجد عنده ما أحب ، فأنحى به ، ونظر إلى أسبها ، وقال : هذا القاضي قد أقبل
 على المغني ، وأبو يوسف لا يعلم به ابن جامع ، فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ، ثم
 قالوا : لا ، منه لا يعود إلى موافقة هذا اليوم ، فلم تفعه ، فلما كان الأدن الثاني ليحيى
 عداء عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلب ابن جامع ، فرآه ، فذهب فوقف
 إلى جانبه فحدثه طويلاً كما قدم في المرة الأولى ، فلما انصرف قال له بعض أصحابه
 أم القاصي : تعرف هذا الذي يوافق ويخادع ، قال : نعم ، رجل من قرين
 من أهل مكة ، من عقه ، قالوا : هذا ابن جامع المغني ، قال : أناقة ، قالوا : أنت
 الناس قد شهروا موافقته ، وأنكروا ذلك من فعلك ، فلما كان الأدن الثالث جاء
 أبو يوسف وعرض عليه فتشكه ، وعرف ابن جامع أنه قد أُنذر به ، فساء فوقف ،
 فسلم عليه ، فرد السلام عليه أبو يوسف فمر ذلك الوجه الذي كان به ، ثم انحرف
 عنه ، فمعه ابن جامع وعرف الناس الغصة ، وكان ابن جامع جهوراً فرفع صوته
 ثم قال : يا يوسف ! ما لك تحرف عني ، في شيء تكره ، قالوا : يا ابن جامع
 أمي فكرهت موافقتي لك ، فسألت عن مسئلة ثم اصبح ما شئت ، ومال الناس
 فأقبلوا نحوهم يستمعون ، فقال : يا يوسف ! لو أن أعرايياً خلفاً وقف بين يديك
 فأنشدك بحمد وعلمة من سابه وقف :

يدار مئة ما علباه فاسد أقوت وطال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأساً ، قال : لا ، قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الشعر قول ، وروي في الحديث ، قال بن جامع : فأتى بنتاً : هكذا ، ثم
اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف رأيتك زدت فيه أو نقصت
منه ، قال : عفا الله ، عفا من ذاك ، قال : يا أبا يوسف أنت صاحب بيتنا ما زدت
علي أن حسنه ، بأعاطي ، حسن في السماع ووصل إلى القلب ، ثم تخفى عنه ابن جامع .
وهكذا محمد القاصي ، يوسف ، وهو من هو . بحسب العامة حسناً ومدارهم
على أناسهم في أخبار حرية حضور نحر يدل على أن قاصي القصيدة يحيى من كنه
كان يسمع الفتاة في دار المأمون ، ولا يبالي .

ولم ينحس القصيدة وحدهم شر العامة وإنما خشي هذا الشر الشعراء أنفسهم .
قال أبو الفرج : (١)

أخبرني محمد بن جعفر قال : حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حريز عن
محمد بن أبي المتاهية قال : لما قال أبي في عتبة :

كأن عتابة من حسنها دمية من فتنت فيها
يارب لو أنسيتها بما في حمة المرءوسه نسها

شتم عليه المصور بن عمار بارتدفة وقال : بهاون ماحية ويتبدل ذكرها في
شعره بمثل هذا التهاون ، وشتم عليه أيضاً بقوله :

إن أملك رأيت حسنة من خلقه ورأى جمالك
لقدأ بقدره نفسه حور الخفاف على مثالك

وقال : أبصور الحور على مثل امرأة آدمية ، والله لا يحتاج إلى مثال ، وتوقع
له هذا على السنة العامة ، فلقى منهم بلا .

وهكذا كانت عامة تنسبط على قصائد وعلى الشعراء ، فيصطرون إلى مداراتهم .
وقد وقع إليا شيء من ممة العامة ، من هذا القبيل ما قلته شيخ من أهل

أبو الفرج
الاصمعي

بغداد (١).

قال أبو عاتية: أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأييده كانوا شعرا ، كلهم ، قال : فإني نحن كذلك إذ قال رجل لأخيه عليه مسح : يا صاحب المسح قبيح المسح ، فقال لما أبو عاتية : هذا من ذلك ، ألم نسموه بقول : يا صاحب المسح قبيح المسح ، وقد قال شعرا وهو لا يعلم ، ثم قال الرجل : نعم إن كنت تريد أن تحب ، فقل أبو عاتية وقد أحر المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له : فقال إن كنت تريد الربحا .

الآن هذه الآية لم تكن من كلامه . قدس هذا النوع من الشعر بمقاييس تقاس عليه ، وهذا قد بين هذا طرر من كلامه وهو عبي . وبين الطرز الآتي من لا عبي وهو موي أدركنا صحة ذلك ،
قال معبد (٢) :

رسل إلي الويدى يريد فأنصب إليه ، فبني يوماني بعض حرمات الشام إذ دخل بي رجل له هيئة ومعه عمار له ، فطلي واشتغل به صاحب الخاتم عن مسأله . فقلت : والله أن لم أطلع هذا على بعض ما عندي لا كوني عرجا . فاستدبره حيث رأيته وسمع مني . ثم رنمت قائما إلي وقال لعمري : قدموا إليه ما عهد ، فصار جميع ما كان بين يديه عندي ، قال : ثم سألتني تسير معه إلى منزله فأجبت ، فلم يدع من البر والاكرام شيئا إلا فعله ، ثم وضع السيف ، فقلت لا بي تحسن . لا حرج لي ما هو حسن منه ، وهو لا يرايح لا تحفل بما يرى مني ، فمد طاب عليه فمرى قل : سلام ! شيخا شيخا : فإني شيخ ، فمد ربه هنيئ إليه ، فأخذ الشيخ مودته مدفع بعني :

سهر في القدر وبلي علوه ، جاء القفل كاه وبني علوه .

سهر : اسعد البحري ، بلفظة أهل الشام ، قال : جعل صاحب المنزل يصفق ويتسرب برحله طربا وسرورا ثم غاد :

(١) الجزء ٣ الصفحة ١٤

(٢) الجزء ١ الصفحة ٢٦

وترمي حبيبة الدراق وحبي حبيبة لا أراها

الدراق : اسم الخوخ بلغة أهل الشام ، قل : فكأن يخرج من جلده طرباء
قل : واسللت منهم فانصرفت ولم يعم ما لي . ثم رأيت مثل ذلك اليوم قط عاء
صبيح ولا شيخاً أحبل .

هذه هي من لغة العامة وتعبيرها في تلك العصور ، وقد يحتاج إلى آخر الأخبار
في كلامنا على تصوير قلة دوق أهل الشام في الماء ، إلا أن ذكر الخبر في هذه
الموضع لئلا يترى فيه طرزا من أعالي العامة .

وقد يهتان يعرف أن لغة العامة قد فسدت وسقطت من اللحن وما وثق بعض
العلماء كانوا يتأدون عبادتها (١) .

قال أبو العتاهية : كان رشيداً متعباً بعباده ملا حزين في الرلالات ، دار كس
وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم فقال : فولو من من الشعر ، عمو لهؤلاء
شعراً يفتنون فيه ، فقل له : ليس أحد أقدر على هدا من في متاهيه وهو في
الحبس ، فوجه إلى الرشيد : قل شعر حتى تسمع منه وهو دمر بطلاقي ، فعطى
ذلك فقلت : والله لأقبوس شعراً يخرجه ولا يدر به ، فعمد شعراً ودفعته إلى
من حظه ، فلاح ، فركب الحرافة سمعه إلى آخر الخبر . . .

كما أنه يهتان يعرف أن لغة الفارسية كانت شائعة في العامة في بعض مدي
كالصرة فمن رجع إلى أخبار من مصر (٢) وقرأ تعديت عبيدة من رداد إياه
وجد عبارات بالفارسية كان صبيان الصرة يدعونه في الأسواق ويقولونها له .

(١) ج ٣٠ ص ١٧١

(٢) أخر ١١ صفحة ٥

حياة الكتائب

لم تقتصر أبو الفرج في غانيه على تتبع أمور العامة ، وإنما عني باستطلاع أخبار
الناس في كتائبهم ، فوصف لنا من تعمروا وكيف كان المملعون يعاملون طلابهم
ويكافؤن سامعين منهم . وكيف كانت حياة الطلاب في الكتائب ، فمن طرئ
الأمور أن نعرف أن إبراهيم الموصلی كان مع ولد حزينة بن حارم في الكتائب .
ثم من طرئ الأمور أن نعرف في عصره كيف كان المملعون يعاملون الطلاب
في الكتائب ، وفي حرم من أحرار الأنبياء في نسب إبراهيم ، موسى (١) أن إبراهيم
أسم إلى الكذاب ، وكان لا تسمع شئاً ولا يراد بصرف ويحس ولا تنجح ذلك
فيه ، فهرب إلى الموصل ، وهناك تعلم . ثم صار إلى أرمي ونعم بها نصاً ومهر .
فاد طوينا هذا المصور أي تفصل بينا وبين إبراهيم ، موسى ، وثبتنا عصره
هذا وحده ، ثم هذه الشبهة لا يختلف في ربما عما كان عليه في الأزمان العبيد ،
فإن عهد كتائب ليس بعيد ، وكلنا نعلم أن الشيوخ في هذه الكتائب كانوا من
ثلاثين أو أربعين سنة يصرون الأولاد ويحسبهم وبن الأولاد كانوا
يهربون من الكتائب .

وهكذا فانه يستطيع أن يوازن بين عصرنا وبين المصور بعيدة بعض أخبار
معبودة ، لا بل يحصل سطور قبيلة في بعض الأوقات . نصفيها طعمة أو نحل اما
عصاة ، حتى كانوا يعيش في المصور مدره ، أو كأن أهل المصور ما به يعيشون
اليوم بين ظهراينا .

وقد كانوا يسمون المدرسة مرة كتاباً ومرة مكتباً ، وتعتبرن لابرالاب
مستعملين في يومنا هذا وكانت اخواري تحتص إلى الكتاب ، وكان الذي يدرس
في كتاب يطلق عليه في بعض الأحيان اسم المؤدب ، ومن أحبار الأعالي (١)
نه كان بالكوفة رجل يقال له عبيد بن آدم وكان يهوى حرية بعض أهل الكوفة
فما ظلم أمره ويبت خارية فأت حرطاً عليها وينفها حيرة فمات ، سفيق وهي صبيحة
فتختلف إلى الكتاب ، وكان يحيى إلى ذلك المؤدب فيحس عنده ينظر إليها .
فالهم في هذا الخبر احتوائه على إختلاف مات إلى الكتاب وعلى أسماء الذين
كانوا يدرسون فيه .

ومن روائع الأحبار في هذا المعنى ما رواه أبو مريح عن حذيل الميم ، قال (٢) :
أخبرني الحسن بن عبي قال : حدثنا محمد بن الميم عن مبرور بن وهب قال : حدثنا
عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني الفطراي عن عبي عن محمد بن حسن قال : كان
خليل المعلم بلقب خليلان ، وكان يؤدب الصبيان وبعد اخواري الفداء في موضع
واحد ، فمات من حصره قال : كنت يوماً عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه :
ومن الناس من يشترى لهو الحديث يضل عن سبيل الله فيفترط علمه ، ثم يلتفت إلى
صديقه ردد علمه :

اعتاد هذا القلب طمالة أن قربت لابن أحمله

فضحكت ضحكا مفرطاً لما فعله ، فالتفت إلي وقال : وبك ، مالك ! فقلت :
ضحكي بما تفعل ، والله ما سبقك إلى هذا أحد ، ثم قلت : أظن أي شيء حدث على
الصبي من القرآن ، وأي شيء نتق على أحمية ، والله إني لأظنك ممن يشترى لهو
الحديث ليضل عن سبيل الله ، فقال : زحواً لا تكون ذلك إن شاء الله :

وقد كان الصبيان يدرسون أيضاً في مساجد قال أبو مريح (٣)

(١) الجزء ١٤ الصفحة ٤٩

(٢) الجزء ٢١ صفحة ٨ :

(٣) الجزء ١٥ الصفحة ١٠٩

حدثني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حمزة عن الأصمعي عن حلف الأحمري
نه رثي السكيت بعدة الصبيان في مسجد بالكوفة ، والسكيت في رأي أبي الفرج
شاعر مقدم ، ثم بلغات العرب ، حبر ثأمر ، من شعراء مصر وأندلس ، من هذا
نعرف طبقة المؤدبين الذين كانوا يعلمون في مسجد .

وهذا خبر يدل على مكافأة السمع من طلاب تلك الأئمة ، قال أبو الفرج (١) :
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار بن يحيى عن : حدثني الحسين بن عبد الله بن
حبلة بن يحيى بن حذيفة قال : كان حذيفة ولداً ، وكان أبي شاعراً وكان الشيخ
يرق عليه ، فذهب فحدثني عبيد بن عدي ، ثم بشأه ، فأبصر في الكتاب
حدثني بعض ما يحدقه الصبيان ، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز ، فوقع على عبيد
الصبيحة لورده وذهب ، فقال الشيخ لولده : أنت لكر زرا من السلقان ، فإن
أعنتوني على هذا صبي وإلا صرفت بعض أوراقكم إليه ، فذهب وما يزيد ، قال :
تختلفون به إلى مجالس الأدب ، قال : فكنا نأتي به مجالس الأدب ونشعر نحن عما
يلعب به الصبيان ، فمات عبيد حول حبي ربع وحتى كان لهامه إذ رآه قال لمن
حوله : أوسعوا لهوي .

وهكذا يحدث حدث طلاب كانوا يحمون على الدواب وينثر اللوز عليهم .
فلنحضر الآن مجلساً من مجالسهم حتى نرى أسلوباً من أساليب دراستهم ، وعطاء
من هزله ، قال أبو الفرج (٢) :

وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمر قال لنا : كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد
ونحن نحدثه عن روائع الأدب والأخبار وكان يصحبنا
في من حسن الناس وحباً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف بطل أمره .
فصبر ما يوم من مجلس أبي الحسن انحد وحلينا في مجلس شاذل عما كتبه ،
ووصح المجلس الذي شهدناه فإدا بجارية قد إطمعت ، فطرحت في حجر الغنى رقعة

ما رأت أحسن من شكلها ، محتومة بغير ، فقرنها مفرداً بها ، ثم تحب عنها ،
ورمى بها إلى خاربة ، ثم بدت أن حرج خادم من لدن في يده كبريت ، ودخل
إليه فصمغ اتفق به حتى رحمناء وخلصناه من يده ، ففما نسوا الناس حلاً ، فلم
تباعدنا سألناه عن ارقعه فإذا فيها مكتوب :

كفى حرباً لنا جميع دابة كلانا بها نو ولا تنكلم :

فقلنا له : هذا ابتداء صريف فمائي شيء ، أحب أن ، قال : هذا صوت سمعته
بني فيه فيما قرأته في ورقة أحبت عنه بصوت مثله ، وسألناه : ماهو ، وقال
كتبت في الحواب :

أراغب بالخبور نوى وأحمل :

فقلنا له : ما وجدنا هذه حقت قط ، وقد كان ، معي أن يدخول معي في قصه
للدخول في حملنا ، وكذا نحن بوفيت حقت ، ثم نسألناه قصه ما ، حتى لم يدري
طريق بأحد ، وكان آخر عهد ، لا حرج معي :

فتحدثت حياة الطلاب أي وجهها ، أو المرح عن حياة طلاب في يوم هذا
إحتلالاً كبيراً ، فلا رهم بعد حروجه من معونه ، يتفكرون ما يكتبونه ،
ويصححون ، وقد قد إن نأمرح نقد في كتابه إلى مصدر الذي عاش فيه ، أو
إلى المصور في فيه ، وشهد كل ناحية من نواحي تلك المصور ، حتى كأنه حاقق
فيها لما في قولنا شيء من ساحة .

الملاهي

يخرج ما أبو الفرج من الكتائب والمساجد حيث يعرض علينا حياء يؤد بين
والعبيد والذات ، فيدخل بنا ملاهي اليوم ، فيربا كيف كانوا يقصون لهوهم ،
ويعرض علينا بعض أجناس شراهم وأنواع زينتهم وهيات جواربهم ، فكانه
ينقص لنا المصور بعض ، فلهذه تقاس تلك العصور .

قال أبو الفرج (١) .

فل بن حبيب : كان في الكوفة صاحب قبان يقال له بن رامين ، قدمها من
الحجار ، وكان من بسمع الماء ويترى المنيذ بأتونه ويقصون عنده ، مثل يحيى
ابن ربه الحارثي وثلاثة من ربه ، ومطيع بن نياس وعند الله بن العباس المقتون ،
وعون العبادي الحبري . ومحمد بن الأشعث الرهري المغني ، وكان بارلاً في بني
أسد في حبران إسماعيل بن عمر ، فكان إسماعيل يقشاه ونسب عنده ، ثم انتقل
من حواره إلى بني عائد فكان إسماعيل روره هناك على مشقة بعد ما بينها وكانت
لأن رامين حور يقال له : سلامة الرقاة ومعدة ، وريجة ، وكن من
حسن أسس عنه واشترى بعد ذلك محمد بن سديد سلامة الرقاة التي يقول فيها
محمد بن الأشعث :

تمسى سلامة الرقاة في كبدي صدع بقم طول الدهر والأمد
لا يستطيع صداع الغوم بشمه وكيف يشعب صدع احب في كبدي



فدا بطرنا في هذا الخبر صغير علمه كيف كان اساس بقصون في نكت لايم
لهوم ، واسماعيل بن عمار الذي وصف حوارى ابن رامين بعد آخر احمر شاعر
محصرم ، من شعراء الدوائين ، لاُموية والهاشمية ، وكان يرل مكوفة .
معنى هذا ان اللهو في يومهم سبيدة لا يختلف في شيء عن اللهو في أيامهم ،
كيف يلهو الناس في هذه الأيام ، أفلا يرى في مدنا كلها : في دمشق وبيروت
واقاهرة أما كن يشرب الناس فيها ويسمعون الغناء ، ولولا الخبر الذي رواه
صاحب الأغانى ، ولولا مثاله من الأحسر ، طاب جبارى ، لا يعرف كيف كان
يلهو الناس في أيام بني أمية وبني العباس .

✽ ✽ ✽

وهل عينا من حرج ان دحنا حنة من حانت نكت لأحقاق ، عدا رى وبها
جلس الشراب ونوع الزينة وهيشة الحوارى وهذا أبو الفرج بدحر سا
الحانة ، قال : (١) .

خبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثنا سليمان بن أيوب قال : حدثني
محمد بن عبد الله بن مائث الخراي قال : حدثنا إسحق قال : كنت مع ارشيد
حين حرج إلى الرقة فدحل يوماً إلى نساء وحرحت فضيت إلى تل عرار فرب
عد حمارة هناك ، فسقتني شراباً لم أر مثله حسناً وطيباً رائحة في بيت مرشوش
ورمحن عصر ، وبرت بيت لها كأنها حوط نان وحدثنا عنان لم أر أحسن مما قد
ولا أسيل جداً ولا عتق وحبا ولا روع طرفه ولا حس كلاماً ولا نتم تمام ، فأقمت
عندها ثلاثاً وارشيد بطسبي فلا يقدر علي ثم انصرفت ، فذهب في رسله فدحل
عنه وهو عصان ، فما رتبته حطرت في مشيتي وروصت وكانت في فصله
من السكر وغثيت :

ان قلبي بالتسل ، قل اعزاز
شادن يسكن الشام وفيه
بالقومي لبنت قس أصابت
حلعت بالمسيح ان تنجز الوعد
عند ظلي من الظباء الجوازي
مع دل العراق ظرف الحجاز
منك صفو الهوى وليست تجازي
وليست تجود بالانحياز

قل إسحق : فسكن عصفه ثم قال لي : 'س كنت ، وأخبرته فضحك وقال :
ان مثل هـ إذا الحق لطيف ، أعد عدا ، وعدة ، فاعجب به وتمرني ن أعيد
ليلة من أولها إلى آخرها ، وأحدها المنون مي حميما وشربنا إلى طلوع الفجر ،
ثم انصرفنا فصليت 'صبح وعت لما استقررنا حتى أتى إلى رسول رشيد فأمرني
«حضور» فركبت ومصيت فمادحلت وحدث اس جامع قد طرح عصفه يتخرج على
دكان في الدار لعنة اسكر عليه ، ثم قل : 'تدري م دعيا ، فقلت : لا والله ،
قل : لكي تدري ، دعيا سلب نصر ايتك ابرية ، عليك وعمها غنية الله ،
فضحك ، فمادحلت على الرشيد أخبرته بالقصة فضحك وقال : صدق ،
عودو فاي اشتفت إلى ما كذا فيه ، فارتعوني ، فعد فيه يومنا كله حتى
انصرفنا .

هذه حانة من حداث تلك الأرمال ، عرفوا شراها ووردها وجواربها ، وعرفوا
خيرها شربا شرباً وهو رقص الرجال ، فقد كان الرجال يرقصون كما يرقص الرجال
في عصرنا هذا . وفي حمار إسحق بن إبراهيم الموصلي أن إسحق قام في حصة الوثائق
فرقص طربا فكان أحسن رقصاً من كميثش وعند اسلام ، وكان من أرقص الناس
حتى قال الوثائق : لا يكمل أحد بدأ في صاعته كمثل كمال إسحق .

وقد كان يجري في حاضرتهم من لغات ما يجري في عصرنا هذا في أسواق
دمشق ، من ذلك أن أبا حية الميري شرب عند حمارة الخيرة فأنعجه الشرب فكره
به ما عنده وحب أن يدوم له ما كان فيه فسأل الخمر أن نبيعه بسبينة وأعطاها
أنه مدح الحبيبة وحماسة القود ، ففعلت وشربت إلى فصل السبينة وكانت كلها

سفته خطأت في الحائط فأنشأ أبو حية بقول (١):

إذا أسقيتي كوزاً بخط
وحطاي ما هذا لك في حدار
إلى آخر الأبيات .

وبحسب لازل نرى في سوق دمشق طائفة من الرجال يسقون الناس القهوة
في دكاكينهم ، وكل سقو صاحب دكان واحد ، حطوا في الحدار إشارة إلى
عدد الساقين .

وقد نرى مخرج من تلك الحداث لانس بأن يعرف من هم الذين كانوا يبيعون
الخمر في ثامها ، في حدار الخوصيش من اسقام وهو سيد بني سبه تسيطر هذا اسمها (٢)
وكان في بني صيرمة يهودي من أهل حمص ، يقال له : حبيبة من بني حمص ،
وكان في بني سبه يهودي من أهل وادي اقري يقال له حصيص من حمص وكانت
تأخر في الخمر .

فاليهود كانوا تمارأ في الخمر .

وقد يكون ذكر الخبر الآتي في أخبار الالهو لا بد منه لأنه مدانسا على تفننه.

في هذا الالهو .

قل أبو المرح (٣):

أخبرني حمصر بن قدامسة قال : حدثني حماد بن إسحق قال : كان أبي ذات
يوم عند إسحق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما جلسوا لاشرب حمل الغصن يسقون
من حصر وحاء علام قبيح أو حه إلى بني قدح بديد ، في أحد ورآه إسحق ،
فقال له : ليم لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي :

إصبح بديمت قداحا يسلسلها من الشعور ونسبها فوداح

(١) ج ١٥ ، صفحة ٦٢

(٢) ج ١٢ ، صفحة ١١٨

(٣) ج ٥ ، صفحة ٧٦

من كعب ريم مبيح الدل رفته بعد المجوع كسك أو كفتح
لا أشرب الراح الا من يدي رشا تقبيل راحته أشهى من الراح
وضحك وقال : صدوت والله ، ثم دعا بوصيفة كأنها صوره ، تامة الحسن
طبعة الحصر ، في ري علام ، عنهما اقية ومطاقة فقل لها : بولي سقى أبي محمد ،
فما رات نسقيه حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في داره اليه ، فحملت معه ،
ما شرب هذا نفع في اللهو ، قد كتفوا بالوصائف حتى نسوهن ربه الممان .

الدور

يستمر في هذا الفصل في شهود تلك العصور التي نفقها لنا أبو الفرج في أغانيه
ويحذر بنا بعد أن حرحا من ملاهي القوم في القديم أن يدخل دورهم فرى مواعدهم
وآوانهم وفرشهم وثيابهم ، وعلى هذا الشكل محيط بما سمي في عصرنا هذا بحبيهم
الاجتماعية في محام وحوها ، فقرر بمصلح الأتاني في هذا الباب .
قال أبو الفرج : (١)

أخبرني علي بن العباس قال : حدثني أحمد بن القاسم المري قال : حدثنا أبو
هفان قال : سألت الحسين بن الصباح عن حبره المشهور مع الحسن بن سهل في
اليوم الذي شرب معه فيه وبت عنده وكيف ابتدأه فقلت له : أبي شهبي لم أسمعه
منك فقال لي : دخلت على الحسين بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسمي من
المطر فرشاً رشا حسناً ، واليوم في حسن مطار وطيبه ، وهو حابس على سرير
أبنوس وعليه قبة فوقها طارمة دباح أصفر وهو يشرف على بستان في دره وبين
يده وصائف يترددن في خدمته وعلى رأسه علام كالديمار ، فسألت عليه فرد علي
السلام ونظر إلي كاستنطاق فأنشأت أقول ... لا بيت .

هذا شكل من أشكال دورهم ، أو على الأصح هذا ضرب من فرشهم وثيابهم .
سرير أبنوس ، وقبة فوقها طارمة دباح أصفر .

وراء وقف في حلال حمار الأتاني على لمط من الأقماع يدان على لون من
ألوان الحضارة . فني خبر من الأخبار يقول أبو الفرج : (٢)

(١) الجزء ٦ الصفحة ١٨١

(٢) الجزء ٦ الصفحة ١٢٦

أحترني خرمي من أبي الملا، قال : حدثنا الزبير بن نكار قال : حدثني عمي مصعب قال : سمعت رجلاً يحدثني بالكوفة ، قال : أرسفت إلى لويد حملة حمولة قوارير فرعونية ، وأمثالها قط ، فلما تمسبنا صساها ، شراب في ليلة أربع عشرة حتى إذا استوى القمر على رؤسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أي مبرة القمر ليسه فقد تمسبهم : في الحمل ، وقال بعضهم في مبرة كذا وكذا من منازل القمر وقال بعض حاشيته : القمر في الجفنة ، قال : قاتلك الله ، أصبت ما في نفسي ، لتشرعن الممنجة ، وقال مصعب فسأل أبي عن الممنجة ، فقال : شرب كانت افرس تشربه سبعة أسابيع ، فشرب تسعة وأربعين يوماً .

فأبديهم في هذا حرم قط القوارير فرعونية ، فانه يدل على نوع من آوائهم . —

فأما ما كتبه محمد بن ميم ، فقد وصف نواحي حرم محاسن حملة التي قال فيها مصعب : قبل بناء حملة ، وفرعه نحن ، ولولا حملة لم يكن نحن ميمين ، حصر هذا المحسن ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد لأنصاري وقد تو مبرها فاستدوا علم فادب لهم جميعاً ، فسألوها أن تفرغ لهم سبها ، وتجي لهم محسها ، فعملت ، ودعت باعود ففتت ، فاستجفت اقوم حممين ، وصنعوا بأيديهم وحصلوا بأرجلهم وحركوا رؤسهم ، وأحصر الغد فتغدي اقوم بأنواع من الأطعمة الحارة واردة ومن العصاكة الرطبة والياسة تمددت حملة بأنواع الاثيرة .

التي لم التفت في هذا حرم إلا إلى هذه الأطعمة ، فكأنما محسن في المحسن الذي كان فيه ابن أبي ربيعة والأحوص ، وكانهم يحلسون في محاسن في هذا العصر ، أفلا نجد على مواثد هذه لأنه الأطعمة الحارة والباردة ، والعصاكة الرطبة والياسة .

دخل ما نوال المرح دور الماس في كسيف كانوا ياكلون وشربون ويلبسون،
وقد قس في بعض أخبارهم الموصلي (١). فحري حساب من يحيى عن حماد عن
أبيه عن جده قل: ثبت حبوا له، ثم جده في منزله، فاستقرت له حتى جاءه،
وهو رأي احتشامي، كان محوسباً، فاحترته حسابي، وحال لي قصده فيه
فرحب بي وأورد لي جده حافي دمه ووكلني بي فحتته، فقدمت لي ما احتاج إليه،
فاما كان العشي فأتى منزله ومعه جماعة من عرس من عرس، فبات إليه فجلس
في مجلس قدمه لي ما فيه سيد وأعدت له فأكبه ور، حين جلسوا وأحدوا في شأهم
وحسبوا وعمدوا في أحد من أحد منهم فأنده، ونامت مونة إلى قصر ب وعيب
وعاموا كلهم بن وديو ربي وقالوا سخرت مناء نحن إلى تعليمك لنا أخرج منك يدا
فألق على تلك الحال يوم حتى بلغ محمد بن سيب بن علي حري، وهو سنة بن
فأحضرني وأمرني: (لزمته فقلت له: أيها الأمير، بي سب أنكسب ما فيه، وفيه
ألمده بذلك فبعثته وأرسل المود إلى الكوفة، فم تفع بذلك عبده وأخديته بأمرته
وسأني: من أين أنا، فالتصبت إلى الموصل، فلزمتني وعرفت بها ولم تر عبده
أثراً مكرماً حتى قدم عليه خادم من خدم المهدي فها رأي عبده ول له: أمير
المؤمنين أخرج لي هذا ميث، ودمعه عني، فها قدم الرسول عني المهدي مسألة عني
رني في طريقه ومقصده فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ككري فوصف لي له وأمره
المهدي بالرحوع إلى محمد وإشجاصي إليه، ففعل ذلك، وها، فاشجاصي إلى المهدي
خطبت عبده ودمعي.

وسواء كان المهدي له في المرح منزل رجل من العرس ثم كان
ممن رجل من العرب، وربي في هذا المهدي موافداً يوم كيف كان يصفي فيها
البيد ونساءها فهو كه وربي حين وأض من المآدب في هذا العصر لا تختلف في
شيء عن المآدب في تلك حصور، فلا نجد عليها أريد و هو كه والربح حين.

قلت قبل حين : ربما وقع في خلال أخبار الأثافي على لفظ من الألفاظ
بدلاً على لون من ألوان الحضارة ، وأقول الآن : ربما كانت هذه الألفاظ بدلاً على
حس من حس ثياب .
قارنوا المرح (١) :

حدثني يحيى بن محمد طاهري قال : حدثني نشو مولى أبي محمد بن رشيد
قال : اشترى في مولاي أبو محمد بن رشيد واشترى رقيقاً محمداً قد وصل إلى وكيد
له نحمي حراسي وقال له : المحذر هذين العلامين إلى بغداد ، إلى إسحق ابوصلي
ودفع إليه مائة ألف درهم وشهريه يسرجه وخدمه وثلاثة درج من قصبة ملوكة
طلياً وسبعة نخوت من رَحَ حراسي وعشرة أسفاط من رَمَصِر وخمسة نخوت وثني
كوفي وخمسة نخوت خز سوسي ، وثلاثين ألف درهم لعمقة وقال لرسول : عرف
إسحق أن هذين العلامين يرحد من حومة أهل حراسان ، وحجته بها إليه ليتوصل
وبلغها صوتاً ، واحتارها وكشف له في درج وقال له : كلما سلها صوتاً ادفع إليه
ألف درهم ، حتى تنصها مائة صوت . وقد سلمها لعمتين للذين بعد المائة ودفع
إليه شهري ، ثم إذا علمت ثلاثة بعد الصوتين فدفع إليه بكل صوت درجاً من
الأدرج ، ثم لكل صوت بعد ذلك نخوة وسففاً ، حتى يسعد ما بعثت به معك ،
فعمل .. إلى حراسان .

فالألفاظ التي وردت في بعض هذا الخبر لها صلة بأجناس من ثياب ، مثل البر
حراساني ورَمَصِر ولوثي الكوفي والخز السوسي ، فقد دلتنا على أنواع من
ملابس في عصر الرشيد ، ولئن لم نعرف أشكال هذه الأنواع ، فقد عرفنا أن
حراسان ومصر والكوفة واسوس كانت تشتمل على ألوان لحكة الثياب .



قد مررت بألفاظ صورت ما لونا من ألوان الحضارة المادية مثل هذه الألفاظ

القوارير المرعونية أو مثل ألفاظ ثانية مذكورها حدثت في حكاية ممد ما حرج إلى مكة في طلب لقاء العراض ، فمما رجع إلى المدينة طلب إيساء بحديثه بقصة جميل وبثينة فأبى شيخاً من بني حنظلة فأخبره الخبر وفي جملة هذا الخبر أن الشيخ أتى بي عذرة فسأته حاربه أن يدخل بيتها فلما دخل ثبته بصحبة فها هو شجر وقد حمله لرب ، واصفحة مصرية معصصة واقدمح مفعصص لم ير الشيخ إناء فط أحسن منه (١) .

إن المدا من هذا الشكل ممي ما نث منه بها لأهياهم كله ، لأنها من حصة تداء على وجه من وجوه الحفرة ، ومن جهة ثانية تدلنا على اتصال اللادء بعضها ببعض ، أو على المبادلة بالصناعات والأوتى وما شابه ذلك ، فقد تطالع في بعض الأحيان خبراً طويلاً لتهدي فيه إلى لفظ من الألفاظ التي ذكرتم ، لأن تشابه هذه الألفاظ إنما تكون مادة يرجع إليها رجال التأريخ أو رجال الروايات في تركيب تأريخهم وروايتهم ، فإذا أراد رجل من رجال الروايات أن يصف حاة من حداث تلك العصور أو داراً من دورها أو إذا أراد أن يصف قريش لدار وأوابها ، أو شرب الخانة وزينتها استطاع أن يجد في ألفاظ سريروس أو طارمة دباج ضمير أو أطعمة حارة وباردة أو كبة رطبة ماسية أو فوارر فرعونية أو حدة مصرية مفضضة أو زحراسي أو وني كوفي أو حرسوبي أو بر مصري مده ركب منها روايته ويؤامها ، ودلا من أن يستعير من هذا المصير مده فيه استعيرها من عصر الرواية إذا وجد إلى ذلك سبيلاً ، وحينئذ تكون روايته أوفى في القاب وأقرب من الصواب .

قصور النخلفاء

عرف في فصل الماضي شيئاً عن دور القوم في السنين القليلة وعن فرسهم
وشاههم وما كلهم ومسموف في فصل هذا شدت عن قصور خلفاء ، وعن من
لده في حجر وشتم ، نرى ، وكلهم في روضة الأعمى انكشفت باعظمة
شدت هذا الكتاب ، وليس بعيد أن تعرف كيف كانت قصور اخمين في دمشق
وبعد وقد درست هذه القصور وما سبق منها إلا آثار حصنها كتاب الأعمى ،
وإذا حصل ما عساه من هذا الكتاب أن افرس وروم في الذين كانوا يذنون
المسلمين ، الله .

قال أبو الفرج (١) بعد الأسانيد :

كان سبب بدء من ان يجر الكعبة ما حرقوا من أهل الشام ، حاصروا مجمع
أصواتهم فوق الحبل ، خوف أن يكون أهل الشام قد وصلوا اليه ، وكانت
بها صخرة ، ذات ربح شديد صلبة ورعد وري ووقع نرا على رأس ربح
ليطير إلى الناس ، وطارتها ربح فوقعت على نبتار الكعبة فأحرقتها واستطاعت
وقد ، وحيد الناس في إطفائها ، فبدررو ، وصححت الكعبة نهوت ، ومات امرأه
من قريش شرح الناس كاه في حدرها خوف من أن ينزل العذاب عليهم وأصبح
الناس يرمون ساحداً ، يدعوا ويقولون : اللهم إني لم أتعمد ما جرى ، فلا تهلك عبادك
مديني ، وهذه مديني من مديني ، فها تعالي الهارب من وتراجع الناس فذل لهم :
الله ، الله أن يهدم في بيت حركه حجر فيقول عن موضعه فيمديه ويصلحه ،
وثر الكعبة خراباً ، ثم هدمها مبتدئاً بيده وتمه القطة حتى نافوا إلى قواعدها
ودعا مبائين من القرس الروم فيناها .

من هديتين ، أن يروم نعملوا إلى احجار ، فمدوا مكة ، فرب ما صنع
شأن هذه الاحجار الصغيرة في توصيح ، ربحا .

وكما بنى القريش والروم الكعبة لابن الزبير ، فكذلك نجد أن معاوية بن أبي
سفيان (١) بنى دوره التي يقال لها : الرقط ، وهي ما بين الدارين إلى ردمه ،
أولها الدار البيضاء وآخرها دار الحمام وهي على يسار المصنعة من المسجد إلى ردم
عمر ، تحمل لها شائين فرساً من العراق ، فكانوا يدونها ، حصص والآحر
فقد زاد هذا الخبر في علمنا بأمور البناء ، فعلمنا ان مادة البناء كانت احص
والآحر في الحجاز .

لندخل الآن قصراً من قصور هشام بن عبد الملك (٢)

كتب هشام إلى الأمير يوسف بن عمر هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعد ، فإني كتبت
هذا فاست إلى حماد الراوية من يثيب به سير مروع ولا متعة ، وادفع إليه
خمسة دنانير وجملاً ثم يرباً يسير عليه اثني عشره يه في دمشق

سار حماد إلى يوسف بن عمر ، فسلم عليه فرد عليه السلام ورمى إليه هذا
الكتاب ، فقرأ حماد وأحدث الخليفة الدمار ونظارت وقد حمل مرحول ، فوصفت
رحلي في العرر وسرب اثني عشرة ليلة حتى وبيت هشام فاستدب فذلي ،
فدحت عليه في درقورا ، معروشه دار حام ، وبين كل راحنتين فسيب ذهب ،
وحيطاه كذلك وهشام جالس على طائفة حمراء ، وعليه ثياب حر ووقد
تصمغ بالسماك والعبير ، وبين يديه مسب معقوت في نواحي ذهب ، يه يسه ،
فتفوح ورائحه فسلحت فرد علي واستدعي ودنوب حتى قلمت راحله ، وإذا حارتان
لم أوقلها مثلها ، في أدني كل واحدة منها حلقتان من ذهب وهن وثمان توفدان ،

(١) الجزء ٣٠ صفحة ٨٣

(٢) الجزء ٥ صفحة ١٤١

فقال لي : كيف أتيت بخناد ، وكيف جئت ، فقلت بحرية أمير المؤمنين ، قل
أمدري في بعثت إليك ، قلت : لا ، قل : بعثت إليك لئيب خطر بدائي ، ثم قدر من
قله ، قلت : وما هو ، قال :

ودعوا يا صبح يوم خاتمة فبنة في عيهم — إلى ريق
قلت : هذا بقوله عدي بن زيد في قصيدة له ، قال : فأشدينها ، فأشديته :
مكر العادلون في وصح الصبح يح يقولون لي . لا أتستيق !
ود أصفد بعض هذه لأحجار إلى بعض عمناء أن البناء في الحجار في قول
لأمر كان بعض والآخرة ، فها فتعلم إلى دمشق وحدها دار الحليفة فيهم مفر وشة
بالرخام ، وبين كل رحمتين وصيب ذهب ، وحيطاه كذلك ، هذه هي فائدة أحجار
لأعني ، فها إذا تدمرها استصعب أن يجد فيها في بعض الأحجار سلسلة مطردة ،
كل حلقة من حلقاتها دورة مستقيمة بعضها .
وإذا أتتكم من دار هشام إلى إوان مسجده بن عبد الملك ، وهذه الساعات لا
لا تختلف بعضها عن بعض .

قال إراهم الموصلي : (١)

خرجت مع برشيد إلى الشام لما عر ، ودعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس
له أراهم منه ، معروشي بأنواع رحام ، فكل وشمري فكلت معه ، وحملت
تولي خدمته إلى العصر ثم دعا بأميد وشرب وسقاني معه ثم جمع عني خمسة وثم
من يديه وشمري إلى تألف دبر ثم قل : نظري إراهم كم من يدؤيتك إياه يوم ،
ودمتي مفرداً ، وآكلتي ، وحملت عليت ثياني من بدني ووصفك وأحسنت في
إوان مسجده بن عبد الملك ، فشرب معي ، فقلت : سيدي ما ذهب علي شيء من
تفضلك وإن نعمك عندي أكثر من أن تحصى ، وقلت رحله والأرض بين يديه !
هذه الخبر يدلنا على أن آثار بني أمية في دمشق بقيت على رمن بعض حدها .

بي العيس ، فشايع أن بي العيس ما دحوا الشاء درسوا آثار بي أمية ، وهذا
الرشيد يجلس في إيوان مسامة بن عبد الملك .

وكذلك انه ، أمون ، فانه ما دخل دمشق طاف على آثار بي أمية فيها .
فمتبع وصف هذه الآثار علما بحدودها ما لم يحده في بي أمية .

قال أبو الفرج : (١)

وحدثني حنظلة قال : حدثني محمد بن أحمد المكي المرتحل قال : حدثني بي قال :
دخلت لي علوية أعوده من غلة عتلتها ثم عوفي منها ، فخرى حديثاً بأمون ، فقال :
كذت ، علم الله ، ذهب دفعة ذات يوم ، فمعها ، فو لا أن الله نه لي ساعتي وذهب
لي حبيبي ، فقمت : كيف كان السب في ذلك ، فقال : كنت معهما خرج إلى شام
ودخلنا دمشق فعلقنا فيها ، وحمل بطوف على قصور بي أمية ، فبع آثارهم ودخل
صحناً من صحنهم فإدا معروني بأرضهم الأخصر كله وفيه ركة ماء ، بدحها ويخرج
مها من عين نصبت إليها وفي الركة سميت وبين يديها ستان على أربع رؤوس أربع
سروات كأنها قصات عقراص من النقاد ، أحسن ما رأيت من السروات قط فإدا
وقدراً ، فاستحسن ذلك وعزم على الصرح وقال : هاتوا لي الساسة طعاماً حقيقاً
فأتي به بين ماء وورد فأكلي ودعا بشراب وأقبل علي وقال : عبي وشطبي ، فكان
الله عز وجل أنساني الفناء كله إلا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم

سحق رجل زاهم لطفوا

فخطر إلي معصاً وقال : عبيك وعبي بي أمية عبي الله ، وميت ! فقمت
سؤلي أو سر بي ، ألم يكن ذلك وقت يذكر فيه بي أمية إلا هذا الوقت نمر نصري
فتجملت عليه وعامت في قدامط فقلت : نومي على أن تذكر بي أمية ، هدامولا كما
يررت عنهم بركب في مائتي علام مملوك وبعثت ثمنه فب ديار وهو له سوى
الحيل والصياح والرفيق وأنا عندكم أموت جوعاً فقال : أولم يكن لك شيء يذكر بي

به صفت غير هذا ، فقلت : هكذا حصري حين ذكرهم فقال : اعدل عن هذا
 وسمه على إرادتي ، فأنساني الله كل شيء بحسبه الا هذا الصوت :
 احبب ساق لي دمشق ، ما كان رضى دمشق لأهلنا ، بل
 فرماني بافدح فخطاني ففكر ، افدح وول في عبي الى لعنة الله وحر
 تسفر وقدم فركب ، وكانت والله لك خال آخر يهدي به حتى مرض ومات قل :
 ثم قل لي : ما أحمر الكبراي احسن أعني ، ثلاثة آلاف صوت ، أربعة آلاف صوت
 خمسة آلاف صوت ، ما والله أعني أكثر من ذلك ، ذهب ، غير به ، كاه حتى كأي
 لم أعرف غير ما عبيت ونقد ضحك به لم كان لي قلب روح ما تحت منه واحدة
 منها ولكنه كان وحلاً حلاً وكان في البحر بقية .

وعني هذا بحر في كل بحر مائة تمه ، له لأولى ، فإر واحد في الفصور التي
 طاب عليها ، أمون في دمشق لوبه أحمر ، ثم واحد في هذه الفصور ركة ماء ،
 وفي البركة صحت ، وحوله ستة ن على أربع رواه أربع رواب ، ثم واحد وصف
 هذه الرواب فكأنها قصص مفراص من القباب ، وهكذا ولا يكاد يخرج من
 بحر الى بحر الا واحد مبيتاً حديد ، يعين على تركيب ما صرني يحاول ركيها
 وقد نمت اب لاني هذه (أخبار صورة قصور بني أمية في دمشق ، فكأنات بعش في
 هذه الفصور .

وقد كانت بر منشرة في قصور بني أمية في دمشق ، وفي خبر من آخر
 لوبيد بن يزيد (١) أنه كان جالساً في قصره على شفير ركة مرصصة مملوءة خمرأ
 نسب ماكرة وكم بدور رجل فيه ، سباحه .
 وكما كانت برل مشونة في قصور مكديت كانت مشونة في الطارق في خارج

دمشق ، فقد ركب المأمون (١) دمشق يتصيد حتى سمع حبل الناج فوافى في
بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سرورات لم يرأحسن منها ولا نظم
فنزل المأمون وحمل ينظر إلى آثار بني أمية ويمعجب منها ويذكرهم .
وهذا دليل آخر على أن آثار بني أمية في الشام كانت على راس المأمون وكان
يعجب منها . —

أما قصور بني العباس في بغداد فموقع بين من وصفها ما يلي : قل بحارو (٢) :
مرت في ليلة ما مرت في قط مثله ، حيا في رسول محمد لأمة بين وهو حبيب
وأحدني ور كص في إليه ركعنا حين وابت في ر ه ه س يهدي على مثل حلي
وبراما وإذا هو في صحن م ر مثله ومدينه شمس شمس محمد لأمة بين سكار ،
فإذا به واقف ، ثم دخل في الكرخ والدار مودة بالوصائف سمين على أطراف
والسرايات ومحمد في وسط بر كص في كرخ حواء رسول الله : قوما في هذا
أما ما في الصحن فاروق ، صوكم مع سري في سمع وإيا كان سمع في صوكم
تقريباً عنه قل : فاصفيا فاد الخواري والحنثون بر مروب ومروب .

هدي دبير بساني وذكرها وكيف مدي بحاريس بساه

فأرأنا دمشق حنونا مع السري في وقبعه حذراً من أن يخرج عن طيفه أو
تقصر عنه إلى الفداء ومحمد يحول في الكرخ ما يسأله ، يدنو البيا مرة في حولانه
وبقاءه مرة ويحول الخواري بيننا وبينه حتى أصبحتنا .

ليس في هذه القصور ، قصور بني عباس في عدد ، إشاره إلى صحنون ،
والإلى شمس في وسط صحن ، وقد تحد الإشارة إلى صحنون في أحد راية
وفي بعض الأحبار أن ترشيد كان شمس الصحنون الواسعة وقد كان مرة حـ
على كرسي في وسط صحن وله صاح بخدام فو فدمائه وصيف ويد في الأروقة

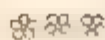
(١) حـ : ٩٦ صفحة

(٢) حـ : ١٦ صفحة ١٣

مسترون بالأساطين حتى لا يراهم . (١)

من هدايتي ان فنصور بي العباس في بغداد كانت تشتعل على صحن
ورقة وأساطين ، وتطل أن هذه الأحجار كلها لا نحو من مادة تمينا على معرفة
اليد وطوره في الحجر والشم والعراق ، فمن الحص والآخرة في الحجر ، الى
ارحام لأحضر وقصان الذهب وحيطان الذهب والبرل والبروات في دمشق
الى الصحن والأروقة والأساطين في بغداد.

هذه صورة من فنصور الخلقاء في عصر بني أمية ، لا أقول انها كاملة ، ولكني
قول انها كافية ، وعلى هذا النحو إذا بحثنا في كتب الأنبياء فاننا نستطيع أن
نستخرج منه مثال هذه الصور في أكثر آفاق الحياة ، فدا احتجعت اننا طائفة
من هذه الصور استلما أن يحيط بعض الاحاطة بموضوعات الأنبياء الباهرة في
صفي الكتب .



الحياة الاجتماعية

الاندية والمطاعم والخانات والقصاص والمصورون

رُيد بالحياة الاجتماعية في هذا المقام كل شيء بدل على محضات الناس في عصورنا
البعيدة ، وعلى لهموم في هذه المجتمعات وعلى نسوقهم ومطاعمهم ومصدقهم وبحاس
سماهم وحراسهم ومصورهم ، مما أشار إليه "نوالفرح عرصا" في قصائدهم "حسره
التي نشرت في كتاب الأثافي ، فلم يلقى هذه الأحرار نصيبا وكسافي هذا مصر
إدراكها وصمما مصها إلى بعض استعلا أن نجد في خلالها أفقا من آفاق
الحياة الاجتماعية .

أين كانوا يجتمعون . قال ابن سريج (١) :

مررت بيمض أندية مكة وفيه جماعة ، فحضرت فقلت : كيف أحورهم مع
أبي وما أأفاه ، فسمعتهم يقولون : قد جاد ابن سريج ، فقال بعضهم من لم يعرفني
ومن ابن سريج ، فقال : الذي يعني :

أهل هاجك الأظلمة ن إدجاوزن مطلجا

قال ابن سريج : فلما سمعت ذلك قويت نفسي واشتدت مُنتي ومررت بهم
"حطرت في مصفااتي ، فلما حاديتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي ثم قالوا لأحداهم :
امشوا معني يحي .

وبعد هذا الخبر نجد خبراً هذا نصه :

قال ابن سريج : دطلي فتية من بني مروان ، فدخات إليهم وأبني ثوب حجار

الطلافة الخفية ، وهم في اعوجى ولوثى رفلون كأنهم الدايبر الهرة فنية ، ففنيهم وأنا
محتقر نفسي عديم خيالي وهو :

أبا لفرح لم تظعن مع الحمي زيلب بتقسي على النأي الحبيب المغيب
توحك عن مس التراب مصدة فلا تبعدي اد كل حي سيمط
تصاوا في عبي حتى ساويهم في عبي لما ريتهم سايه من الاعظام لي ،
ثم عبيهم :

ودع لبابة قبل أن ترحلا واسأل فان قلله أن تسالا
فطروا وعظموا ويوصعوا لي حتى صرت في عبي كبريتهم لما ريتهم عليه
وساروا في نفسهم كثراتي ثم غنيتهم :
ألا هل هاحك الأظما ن إذ جاوزت مطامح

فطروا ، ومثلو بين يدي ، ورموا بحلابه كلها عني حتى مطا ولي بها فتمسلي
عبي بها نفس الخليفة واهم لي حول ، ثم رفعت طرقي إليهم بعد ذلك .
فمدان احمر ن بصعد - حياة الاحمعية في الاحجار على نام بي مروان ،
فقد كات على يمينهم ندبة ، يحتمون بهم ، ويسمعون امه ، إن كلة ندبة مثل ل
صرا من احيداه الاحمعية ، بها مثل ل اب اس كانوا يحتمون في
مخيمات سر دورهم ومسارهم ، وإد احيداه ان اصد إلى عبي من معرفة تلك المجتمعات
فدسمع ما قلته نو اخرج (١) :

كان عبد الحكيم عمر و من عبد الله و سهوان الخجلي قد اجد بيتا ، جعل
فيه شعر تحب و ردا و عرفات و دغار ، من كل عدا ، و جعل في احدار و نادا
من جاء ساق ثيابه على و تد منها تم جر دفترا فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب
به مع بعضهم .

هذه السطور اعطيله نعييا عن كتاب ، وفيها وصف ناد من مدينتهم في الحجاز

فيها وصف اللعب في هذا النادي ووصف أنواع الكتب التي كانوا يطالعونها في النادي
هذه الكتب تشتمل على كل علم ، ثم فيها ذكر لأوباد التي كانوا يعتقدون ثبوتها
عندها ، فإذا شئنا أن نكتب مادة من أندية عصر ، في دمشق ، فوجد في هذا النادي
: أكثر مما وجدناه في أندية مكة ، ومنه نكتب الطقات التي تختلف إلى ماد في هذه
العصر ، فتكون هذه الطقات رفيع من طقات تختلف إلى ماد فيه كتب تشتمل
على كل علم ، هذه السطور المليئة عرست ما خياله الاجتماعية في أحد عصور
المعينة في أكمل معارص ، ووصفها ، وقد أنشأ نوري بن حيدر في هذه
الأنتم وبين حياهم في تلك الأنتم وجدنا نحيهم الاجتماعية كاملة من مص
الوجود ، حتى كأنهم يعيشون في عصر ، هذا .

وإذا جرحنا من هذه الأندية ووجدنا أن تحول في الأسواق فندرك في
هذه الأسواق من متعة الحياة الاجتماعية .

لاشك في أنه مهما أن يعرف هل تشتمل أسواقهم على مصاعم أو على الفساد
وكانوا يسمون الماد في تلك العصور : أحداث .

يحدث في رحمة سائب حائر المعنى (١) أنه كان باحراً موسراً يبيع الطعام بمدينة .
إني أقف على هذه المارة لأحيرة وجدده وتعدل عن كل ما جاء في رحمة
فإن قوله : يبيع الطعام في المدينة يدل على أن المدينة كانت تحتوي سوقاً على طعام
وحدث عن رمن مداوية ، والطعام تدما على حياة اجتماعية ، فإذا شئنا أن نركب
عصر مداوية من ناحية الاجتماعية وجدنا في مادة الطعام التي هتدت إليها في
الأنثاني عناصر هذا التركيب .

وإذا أضفنا إلى هذه المارة عماره نائية وقعت إيسا في رحمة سمعيل بن يسار (٢)

(١) الجزء ٧ الصفحة ١٧٩

(٢) الجزء ٤ الصفحة ١١٨

اكتشفت له احياء لاجتماعية من ناحية بطاعة انكشاف كاملا ، فقد جاء في ترجمة
 إسماعيل بن يسار انه كان طيبا مليحاً مدبراً لطالاً مبيعاً اشعر ، وود الى عند ادب
 ابن مروان وعاش عمراً طويلاً الى ان أدركه آخر سلطان بني أمية ، ولم أذكر هذا الكلام
 الا للدلالة على العصر الذي عاش فيه وهو عصر واثق بن مروان ، اما العادة التي
 تحملها فهي قول بني المرح : والله سمى إسماعيل بن يسار الساساني لأن به كان
 يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتره منه من أراد التعريس من المتحجبين ومن لم يندم
 حاله استطاع ذلك .

وفي حجر آخر انه اقرب بذلك لأن به كان يكون عنده طعام العرسيات ومصادره
 بدأ فمن طريقه وجده عنده معناه .

فهذا الخبر متعمم للذي قلناه فكما عرفنا أن الأسوة كانت تشتمل على الطعام
 فقد عرفنا أنها كانت تشتمل على رجل يصنعون طعام لأعراس ويبيعونه ، وشبهوا
 من ذلك كله العرسيات وهي كلمة خصبة المعنى تدل على أفق خاص من آفاق الحياة
 الاجتماعية وهو أفق طعام الأعراس ، فإذا قابلنا بين ما يجري في عصرنا هذا من صنع
 طعام العرس في بعض مبادئ الكثرة ، وطعام شهوره وبين ما كان يجري في عصورنا
 البعيدة من هذا القيل وحده ، أن حياة لاجتماعية في الماضي والحاضر متماثلة في
 هذا الباب ، وبذلك يسهل مثل العرسيات أو مثل صنع طعام العرس ، وكانت
 احياء الاجتماعية عاصمة من بعض وجوهها ، فان عطا من الألفاظ باقي في بعض
 الأحوال صيغتها عندها فتكشف صحتها .

وفي حجر آخر أن إسماعيل بن يسار كان يبيع المسجد والعرش التي تتخذ للعرس
 فقبل له إسماعيل بن يسار الساساني .

فربنا كيف يتم بعض الأخبار بعضها ، فكما علمنا بشكل من أشكال أعراسهم
 من ناحية الطعام فكذلك علمنا بشكل من أشكال هذه الأعراس من ناحية المنجد
 والعرش ، فقد كان عدم رجل يهتدون هذه كلمة ، يهتدون طعام والمجد والعرش
 على نحو ما نشهد في هذه الأبيات ، فإذا قلت ان كتاب الأعالي يشتمل على نماذج
 من صور الحياة الاجتماعية فلا تخوف في قولي هذا عن الحق ، فكل نموذج من

هذه المادج مستقى مدته ، منفرد بنفسه ، مثل نموذج قصور احاماه أو مثل نموذج الكتابيب .

وإذا عرفنا أن الأسواق كانت تحتوي على المطعم وعلى رجال يهبطون للعرش الطعام والتجدة والفرش فقد يلزمنا أن نعرف أين كان نزل المسافرون والعرباء في مدينة من المدن .

نجد في بعض التراجم ، مثل ترجمة مكر بن المطاح أنه خرج بوسى الكاتب^(١) من المدينة يريد الشام نخرة ، فبيع الوليد بن يزيد مكانه بمائة رطل وهو في الخن وذلك في خلافة هشام والوليد يومئذ أمير .

ونجد أيضاً في أخبار عريب أهمية أن أناح به قدم بغداد قبل قرب دار صالح المسكين في خان هناك^(٢) . —

استمط من هذا أن التجار والعرباء والمسافرين كانوا ينزلون في حانات في دمشق أو بغداد وغيرها ، فافهموا في تلك الأيام كانت تسمى : احانات ، ولا يزال يرى في دمشق آثار هذه الحانات ، وقد كان يزلها من ثلاثين أو أربعين سنة من يجبتون من أرباب دمشق ، ونحوهم من بلاد أمد من الأرباب ، فيبيتون بها ويحملون فيها ما يشترونه من أسواق دمشق من المصانع ، إلى أن يعودوا إلى أهلهم وبلادهم وأربابهم ، ووجود احانات في دمشق في عصرنا هذا يمتثل لأدها حانات تلك المصور في دمشق وبغداد وست تعتقد أن بين الوعيل من هذه الحانات احتلاها عطيا ، أو أن كريف دينا كلة الحان على ناحية من النواحي (احتمالية في دولة بني أمية أو دولة بني العباس ، فالألفاظ هي التي تضيء لنا الظلمات في بعض الأحيان . يستمر الآن في تركيب المصور التي مصب ، فليس يقليل أن نعرف هذه الأشياء التي عرفها ، ونحب أن نعلم طائفة من ملاهي تلك المصور ، غير الملاهي

(١) الجزء ١٧ الصفحة ١٦٧ .

(٢) الجزء ١٨ الصفحة ١٩١ .

التي تكلم عليها في فصل ماس ، ثم كانوا يجتمعون في المساء أو في الليل .
المسرح في عصره ، ودور السبها هي التي تشغل الناس في الليل ، ويجدون فيها
ما يسلبون به حواسهم أو يهدون به قلوبهم ، وقتها كانت القصص هي التي تقوم
بمقام المسرح في يومنا هذا ، وإذا شئت أن تعرف شيئاً عن طبيعة هذه القصص
فلتقرأ الخبر الآتي (١) ، فقد مرّ شاعرنا في المدينة وسمعه يقول في قصصه : من
سام رجياً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرًا في حذات صحبه ألف فرسخ وعلّشوه
ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوتهم ومقاصده عشرة فراسخ في مشقه ، فتمت
بشار إلى قائده فقال : بشت والله الدار هذه في كانون الثاني .

القصص كان مستفيضاً في تلك الأيام ، والظاهر أن الناس كانوا يقبلون
إلى الناس ويدعون إليه شيئاً كما يدع الناس في يومنا إلى أصحاب المسرح ، قال
شعب : قدم علينا فمس آوى في قصص في رفقته وهاهنا فمر ، خرجوا وأحرموا
من الشجرة بالتدبير فاف . . . إلى ركهوه غناء إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان
ابن عفان وقال : إن مولاك هذا قد ضيق عليّ معيشي (٢)
وقوله : قد ضيق عليّ معيشي يدل على أن الناس كانوا يدعون إلى الله من شيئ
من المال يعيش به .

وإذا خرجنا من دور قصص وحلانا في الأسواق سمعنا فيها أصوات الخراس
على نحو ما كان يجري في دمشق من عهد قريب ، في حجر من حجر سميد بن حميد
وهو كاتب شاعر مرسل حسن الكلام ، فصيح ، يحد هذه العبارة (٣) : وحمل
الغنى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الخراس .
وكذلك يحد في أخبار بني نواس الخبر الآتي : كان خراس درب أعوان يقال

(١) الجزء ٣ الصفحة ٣٠

(٢) الجزء ١٧ الصفحة ١٦

(٣) الجزء ١٧ الصفحة ٥٣

له المارك وكان يلبس ثياباً لطيفة سرية ويركب حماراً ويطوف عليه السوق بالليل
ويكرمه بالنهار فإذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من بعض التجار وكان يصل إليه
في كل شهر من السوق ما يسمه ويفضل عنه (١).



أحمد على قدر الامكان في أن تصل بعض هذه الاحداث ببعض حتى تكون
الصورة التي أعرضها متسقة ، فبين الاندية والطاعم والخانات ودور القصص
والحرس في الليل شي من التناقض ، فإذا وقع نظرنا على هذه الصورة منقطعاً
نرى فيها عود حسن حياة الاجتماعية ، يوضح لنا بعض التوضيح كيف كانت الاندية
التي يحتضنون فيها الخانات التي ينزلون فيها وكيف كانوا يصعدون طاماماً على اسهم
وورشها ، وكيف كانوا يمشون حواظهم في ايل تسلياً لا عداً فيه ولا شرب
يحتضمون إلى قس وبر ومن حبه لا هم ، ويبتعدون هدمهم ، ويهدون في بعض
الحالات عقولهم وقلوبهم ، وكيف كان حراسهم يطوفون في الليل فيرفعون أصواتهم ،
هذه كلها صور صفة إحد كما لا يخفى من ربه ، فإنا نجد فيها مادة للروايات
التي بها نرى ، ومعتقدات ، حتى يكون الحاضر متصلاً بالماضي فلا تفصل بينها هذه
الصور والطائفة ، أعور ما نرى في هذه الصور ، حجب هذا الترخيع وهذه المعتقدات .
ولا بأس بأن أحتج هذا الفصل بخبر عربي يدل على شيء ما كان يحظره ل
أحدنا ، هل كان يقع في خلد امرئ منا أن الاسواق كان فيها مصورون ، وقد
كان بالصوره رجل قال له حمدان الحراط (٢) فتحدث حماً لأنه كان مشهوراً عنده
فقال له : أنت بحد به حماً فيه صور طير تطير فتحدث له وحده به فقال له : ما في
هذا الخام ، فقال له : صور طير تطير ، فقال : كان ينبغي أن تتخذ صور هذه الطير
طائراً من الجوارح كأنه يريد ديدها ، فانه كان حسن ، قل له شيء ، قل لي ،

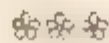
(١) جزء ١٨ صفحة ٦٣

(٢) جزء ٣ صفحة ٢٧

قد علمت ولكن علمت نبي عمي لا نصير شيئاً وتهده بالهضاه ، فقال له حمدان :
لا تفعل ، فإنت تدم ، قل أو تهددي أيضاً ، قل : نعم ، قل : فأي شيء تستطيع
أن تصنع لي إن هونتك ، قل : أصورك على باب دري بصورتك هذه ، وأحمل من
حلقك قرداً نكحك حتى يراك الحادر ولوارد . قل نشتر : اللهم اخره ، أنف
أمازحه وهو يأتي إلا الحد !



بدلنا هذا الخبر على أن التصوير كانت مستفيضاً في البصرة في أيام نشتر ،
فصورون كانوا يصورون الحيوان أو اسات أو الانسان على الزجاج بأيديهم ، ثم
يذهب من جهة ندية على مائع تصوير الهرل أو هرل التصوير من النفوس فان شاراً
الذي لم يسر من اسانه تحد ، لا كبير ولا صغير كان يحرف هذا النوع من التصوير
وكان هذا النوع أعظم وقماً في النفوس في نظره من الشعر نفسه .



خصائص أهل الحجاز والشام والعراق

وهذه باب حسن من أبواب الأعراف ، جمعت ما رآته وقد اختلفت في تصانيف
الكتاب ، وهذا قد دخل فيه خصائص صائفة من بلاد العرب ، كالحجاز والشام
والعراق ، وقد سمي أن تعرف خصائص كل بلد من هذه البلدان ، قالني عرفناه
من كتاب الأعراف أن ثياب أهل الحجاز غلاظ جارية ، وإذا قلنا : أهل الحجاز
أردنا بذلك عامة الناس لأحاديثهم ، إذ أنه مر بنا في بعض المصنفين أن سريج
ما دخل إلى قبة من بني مروان كانوا في قومي ونوحي ، رهبون كأهل الدماير
المرقلية ، وثنا أن سريج كان في ثياب الحجاز الغلاظ الجارية ، بقوله : في ثياب
الحجاز ، قول عام ، يراد به أهل الحجاز عامة ، ولو لا ذلك لقال : كنت في ثيابي
الغلاظ الجارية .

وهذه المأثرة ، على وحاتهم ، وصاحبها بعض التوضيح صورة ثياب الحجاز ،
والنهر الآتي يوضح لنا بعض عقليتهم .

قال أبو الفرج (١) بعد الأسانيد :

حاء مسندة الحياطة المعني إلى الأفلح المخزومي وكان يوصف بعقل وفضل ، قال
له : من أنت ، وإلى من عصي ، فقال : اليك قصدت من محاسن القريشيين
قلت : محكا اليك ، قل : فيد ، قال : كنت عند هذا الرجل ، وحضرت محامده
وقطاء الحبطين وصفراء العلقميين ، فتناولنا بينها رمل ابن سريج .

أيت شعري كيف أتى ساعة مع ما أتى إذا الليل حضر
من يذوق نوماً وبهدوء ليلة فلقد بذلت بأبوم السمر
فدت : بهلاً ، أيتها حبة إني تحاطبها تفر منها شر

فصيده جميعاً ، و ختلف في تصديره ، ففصل كل فريق ما إحداهما ، فصيدها
جميعاً ، فحكيم يسمي ويبدأ ، قال : فوجه ساعة ، وهذا الحذر د أرادوا
أن يحكموا تأملوا ساعة ، ثم حكموا ، ف حكم الحكم معنى حكمه كأن ما كانت ،
ففصل من فصله وسقط من أسقطه ، إذ تراعى الحصان به ، ففكره الأفلح أن
يرضي قوماً ، وسقط آخرى ، ففصل أسدده : صهي ، أت لي كيف كانتا إذ غتساه
وأشرح لي مدغمه فيه كما سمعت ، ون حكم بعد ذلك ، ففصل أسدده : أما حارية
الخطيبين ففصل كانت يوم - حكمه كما يكون الفرس المتيق بجامه ، ثم تلميه في همة لديه
ثم يحركه من حجر أعين والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل ، ولا فرغت منه
فأنت لا رن طين لي رأيت في نومي ، وأما صفراء الملقمين فأنها أحسن حلقاء
ونصيحهم ، و ، و ، و ، و ، والله ما سمعنا أحد قط فاتفق سبعة ولا دية ، هـ
ما عندي ، فالحكم أنت يا أخا بني محروم ، وقال : قد حكمت ما هم بمرلة المبين في أرض
وأهم ، تطارت تصرف ، ولو كانت في المدينة من عبيد ابن سريج حلف بكائناً ، قال :
فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه .

هـ رى في هذا خبر أن سديحة مطابقة المقدمة ، وفي المقدمة يقول صاحب
الخبر : وأهل الحذر إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، وهذا التأمل
يدل على لزوم التأمل والمكر ، وفي الخاتمة يقول : فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه
فبهذا رضى بالحكم من تأمل الذي أشار إليه ، معنى هذا أن الحكم قلب وجوه
أرني في الأمر فدائه وطلته على محرج يرصيه في الفريقان .
هذه حاسبة من خصائص أهل الحجاز العقيدية ، وفي خبر محمد بنوعاً آخر من

هذه احصائهم ، فقد قدم حرير المدينة واحضد له اهل المدينة ، ومعهم شمس
وقد تلح عليه شعب : يا اهل فقال حرير : (١) والله اني تر - وقصبي وحسباً وتر -
الأنهم حسناً ، فقد رمتي منذ يوم . قال : يا ويه شعبي وخير لك . فنه
حرير وقال : وبحك كيف دار ، قال : اي تملح شعري - وأحيد مقطعه ومديته
فقال : قل وبحك ، فاندفع شمس فنادى بلحن بن سريح :

يا أخت ناحية السلام عليك
وقل الرحيل وقيل عدل العدل

لو كنت أعلم أن آخر عهدك
بهم الرحيل فعدت مام ففعل

وطرب حرير وحمل رجب نحوه حتى تصق ركة ركة وقاب : نعمري ، قد
صدقت ، يا لا شعبي لي ، وقد حذتني وحذته ، أحسب والله أنه وصيه وكساده ،
قال روي هذا الخبر : فم ريثاً إيجاب حرير بدت صوت قل له بعض أهل
الجناس : فكيف لو سمعت واضح عداء ، قال : وبن له لأصما غير هذا ، ففعل :
نعم ، قال فأبن هو ، قلنا مكة ، قال : فليست بمفارق حجازكم حتى تلمه ، فقصي ومضى
معه جماعة من رعب في طلب شعري في صحبه وكبت هم ، فأنشد جميعاً قد هو
في وثية من قريش كأنهم لم . مع صرف كثير ، فذنبو ورحوا وسألوا عن
أخ حة ، فأخبرهم الخبر ، ورحوا بحرير وذنبوه وشروا بمكانه ونظم عبيد بن
سريح موضع حرير وقال : سل ما يريد حبيب عداء ، قال : تريد أن تقبلي
بلحن سمعته بالمدينة راعجي إيك ، قال : وما هو ، قال :

يا أخت ناحية سلام عليك
قل الرحيل وقيل عدل العدل

فعداه اس سريح وبه نصيب بوقع له وسك ، فواته ما سمع شمساً قط أحسن
من ذلك ، فقال حرير : يا أهل مكة ما أعطيتهم والله أن يرحلوا رعباً إيك إيقم
بين أظهركم فيسمع هذا صائح مساء كان أعطاه ما س حصة ونصيباً ، فكيف

ومع هذا يبى الله الحرام ، ووجهكم الحسان ، ووجهكم ، وحسن شارنكم
وكثرة فونكم .

حصان كل قطر لا تحصر ، هذا دلالة الأحرار المصية على ربه أهل الحجار
و على حسن ووجههم ورقة استنهم وحسن شرهم ، فقد بدأنا الخبر الآتي
على بعض عيونهم ، قال أبو العرج (١) :

حدثني الحسين بن لورق قال : حدثنا الزبير قال : حدثني أسعد بن عبد الله
ابن أبي إسماعيل بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال :
والله إني مع أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة في حواء له إذ جاءه كثير ، خيئه ،
فاحتق به ودعا بالعداء فشرعنا فيه وشرع معه كثير وحاء رجل قسم فرده عليه
السلام واستدبناه فد نصيب في ربه حميلة وقد وثق خج فدماً من أشأم ، فأكب
على أبي عبيدة ، فمات ، وماله ثم دعا إلى المد ، فأكل مع القوم ، فوقع كثير يده
وقوع عن الطعام وأقرب عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأنى ، فتركوه
وقد كثير على نصيب وقال : والله يا ناصح إن ثمر هبل أشأم عليك حميل ،
لقد رجعت هذه الكرة طاهر الكبر ، قيل الجيد ، فمات له نصيب : لكن أثر
الحجار عليك يا ناصح غير حميل ، والله لراشد أمة نص ، كثير حمولة

إلى ، رى في هذا خبر ما يدل على بعض أهل الحجار وحققهم ، وهذه أحكام
لا يحددها مصدره ، عامة ، وكلهم على كل حال لا يخفى من إصاها بعض الصلوات في
هذا المعنى ، وإذا مصينا في هذه سبيل فكشفت لنا حصانص ثابته لها صلة بطائع
القوم وأمرجه .

قال أبو العرج بعد الأسانيد (٢) :

قال عبد الله بن عمر المري : خرجت حاصاً قريب إمرة حميلة شككهم كلام

(١) ح ١٠٠٠ نسخة ١٠١

(٢) ح ١٠٠٠ نسخة ١٠٥

وفقت فيه ، فأديت باقي ما بقي لها : يا أمة الله أنت حاحه ! ما يحافين الله ،
فسهرت عن وجه بهر الشمس حسماً ، ثم قالت : تأمل يا عمه ، فاني ممن عناه
المرجحي بقوله :

أما طت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الحديد برداً مهلاً
من اللاء لم يحججن يمين حبة ولكن ليقتلن السريء المفتلاً
قال : فقدت لها : فاني أسأل الله ان لا يعذب هذا الوجه بالمر . قل : ولعل ذلك
سميد من السيب فقال : أما والله لو كان من بعض نساء العرب لقل لها : اعزني
قد حكت الله ، ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز .

بشير هد الحمر إلى طرف أهل الحجاز وقد بدا كان يقولون : صاعة أهل الشام
ودهاء أهل العراق وطرف أهل الحجاز ولا شك في أن معرفة هذه الخصائص
تعين كثيراً على تركيب عناصر روح الأمة ، سيما ما في باب من الأقوال من
النساء العربي نشأ في الحجاز ، وفي ذكر الحمر الآتي ما يدل على أن أهل الحجاز
مطلوبون على حب نساء .

خرج ابن عائشة المقي (١) من عند الوليد بن يزيد وقد عناه :

أبعدك معقلاً أرجو وحصناً قد أعيتني المعافل والحصون
فأطربه ، فأمر له ثلاثين أم درهم ومثل كارة القصار كسوه ، فبدا من
عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي النساء ويشرب
الميد فبدا من علامه وقال : من هذا الراكب ، قل : من عائشة المعني ، فبدا منه وقال :
جعلت فداك : أنت ابن عائشة أم المؤمنين : قل : لا ، فبدا مولى قرش وعائشة نهي
وحسبك هذا ، فلا عليك أن تكثر ، قل : وما هذا الذي أراد بين يديك من امان
والكسوة قل : عبيت أمير المؤمنين صوتاً فأطرنه فكفر وتر الصلابة وأمر لي بهذا

المال وهذه الكسوة ، قال : جعلت فداك ، فهل تمن علي بآب تسمعي ما
 سمعته إياه ، فقال له : وبلك أمثلي يكلم بمثل هذا في الطريق ؛ قال : فما صنع قل
 الحقي بالباب ، وحرك ابن عائشة بقله شقراء كانت تحته ليقطع عنه ، فهد معه
 حتى وأبى الباب ككبري رهن ، ودخل من عائشة ، فمكث طويلاً طمعاً
 في أن يصحح في صرف ، ولم يعمل بها شيئاً قل غلامه : أدخله ، فدخل قل
 له : وبلك من تن س ، عائشة عي قل : فأرجح من أهل ودي تفرى شهري هذا
 انده ، فقال له : هل لك فيه هو مع لك منه ، قل : وما ديت ، فن : مات دينار
 وعشرة ثواب تصرف بها إلى أهله ، فقال : جعلت فداك ، والله إن لي
 بنية ما في دنيا ، عداثة حقة من الورق فصلاً من الذهب ، وأنا لي زوجة ما عديها
 يشهد لله فيهم ، ولو شطيتني جميع ما مر لك به من مؤمنين على هذه حلة واعقر
 الدين عروك ، وصعب لي ذلك لكان أصوب شجرت لي . كان من عائشة بها ،
 لا يعني لا - بيه أو لذي قدر حليل من إخوانه . فتمحب ابن عائشة منه ورحمه ودعا
 والده . وكان في مر محلاً ، ففاداه عسوت ، وصارت له طر باشد بدأ وحمل بحزن رأسه
 حتى من أن سبه سيقصص ثم خرج من عداوه ورزأ شدة ، ولع أخيراً الوأيد
 من يريد من أن من عائشة عنه جعل عيب على حديثه ثم جد لوني به فصادقه عنه ،
 وأمر اطلب رجل فطلب حتى أحضر ووصفه حلة سنية وجمده في يدانه ووكاه
 بالسقي ، فبه رب معه حتى مات .

الرجل الذي يزهد في مائتي دينار وعشرة آثواب وله بنية ما في أدنها حاقفة ،
 وزوجة ما عليها قميص ، ويحرص على سماع الغناء لمطور على حب هذا العدا .

ولكن هذه الأحكام كما قلت ليست بداردة

ثم أهل أشد بعد وقع اليد من حصص نصيب في كذب الأغاني ككبره وقوة
 حياتهم على نحو ما جاء في الخبر المتعلق بنصيب وكثير ، وقد روى أبو أعرج خبراً

آخر في حقه فقال (١) :

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان وقد حال ما حاسبه معه على امره ،
 شاء قوم فوفعوا في سيد الله بن الزبير ، فخرج عروة فقال لا أدن . ان عبد الله بن
 الزبير ابن أمي وني . فداؤدتهم أن تهموا فيه فلا تأذوا لي عليكم ، فذكر ذلك
 لعبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : قد أحبرني لا أدن بما قلت ، وإن أحل لم
 يكن قتلنا هذه أعداؤه وكفه طلب امرأة وصلبناه فقتل دونه ، وإن الشاة قوم من
 أحلافهم أن لا يقتلوا أحدا لا شتمه ، فقد أدركنا أحدا فقتلناه وقد حاسبه من شتمه ولا
 تدحرج ، وقد أدنا لأحد و أنت حاسب فاعرف

وأما أهل العراق وهم أعداء بني من طائفة في حبر الذي صور صرف
 أهل الحجاز فان العراق بين من يقول لامرأة بهر وجهها الشمس حسبا : عروني
 وحدث لله ، وبين من يقول لها : نسأل الله أن لا يمت هذا لوجهك فانه هو
 فرق عرو فليس .

وقد تحدث حبراً في احبر الآتي ديلا على تفاوت لا ذوا بين المد و المد .

قال داود النقي : (٢)

كنا في حلقة ابن جريح وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك
 وعنده من عرويين دمرته ان تزل امي وقد اثيرت ثمر على صدره وهي رده
 الشطائر عندنا ، فدعاه ابن جريح فقال له : أحب أن تسمعني ، قال : نعم مستعجلا ،
 فأنح عليه فقال : امرته طاف ل عابا أكثر من ثلاثة أصوات ، فقال له : وحب ،
 فحدثت الى امي ، عني صوت الذي عده ابن جريح في يوم ثاني من ثم هي
 على حمرة العفة ، فقطع طريق لدهب و حاني حتى تكسرت المحرم وعده :
 عوحي علي فسمي حشر .

(١) ح ١٠ نسخة ٢

(٢) ح ١٠ نسخة ١

فقال : يا جريح أحسنت والله ، ثلاث مرات ، ويحك أعدده ، قال : من الثلاثة ،
فاني قد حلفت ، قال : أعدده فأعاده ، فقال : أحسنت ، فأعدده من الثلاثة ، فأعاده
وقام ومضى وقال : لو لا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وطرك ،
فأتت ابن جريح الى أمه فحدثته فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلت ، فقالوا : إنا أنكره
عندنا بالمراق ومكرهه ، قال : فما تقولون في الرجز يعني الحذاء قالوا : لا بأس
به عندنا ، قال : فما الفرق بينه وبين الضاء .

العاوية القيمة

في الافراح والاحزان

أحب بعد أن فرغ من الكلام على طائفة من خصائص التي تكشف لما
انفجعت عن بعض حالات العقول والظواهر والأمرحة أن أتعرض لوصف جملة من
المعادن في الافراح والاحزان ، وهذا كله يريدنا قدرة على تدقيق روح الأئمة
وبهمي أن أكرر في هذا المقام أن عيني بما هي القيمة على حسب الموضوعات التي حل
وها صاحب الاعاني ، فإن الاحزان اشتتة في تصاعيف كتابه نهدينا إلى كثير من
نواحي تأويلنا الاجتماعي العام .

من عادات تقوم في الماضي لروح أو الباحة على ابني قد سبط : (١) كان ابن
سريع أول من عدى أبناء المنقر بالحجر بعد طو يس ، وكان مولده في خلافة
عمر بن الخطاب وأدرك ربه من عدايته ورح عليه ، ومات في خلافة هشام ،
وكان قد أن يغني ، ثم لم يكن مذكوراً حتى ورد آخر مكة ثم فقهه مسرف
ان عقيقة بأندسة فعلا على في قيس وسع شعره هو يوم داخل في عريه وهو :
يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش الطاح

فاستحسن الناس ذلك منه ، فكان أول ما نذر به .

قال ابن جامع : وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوه أن نسكية
بنت الحسين عليها السلام بعثت إلى ابن سريع شعر مره أن يصوع فيه خداسا
به فصاع فيه وهو الآن داخل في عداته ، والشعر :

يا أرض وبحث كرمي أمواني فلفظ طمرت بسادني وحماني

فقد مده دنت عند أهل الحرمين على جميع ناحية مكة والمدينة وطائف .
قال : وحدثني ابن جامع وابن أبي الكيات جميعاً أن سكيبة بعثت إليه بمملوك
لها يقال له : عبد الملك ، وأمرته أن يعطيه البياضة فلم يرل يعلمه مده طويلة ثم توفي
عنه ، أبو القاسم محمد بن الحنفية عبده السلام وكان ابن سرنج عليلاً علة معدة ، فلم
يقدر على البياضة ، وقال لها عدها عند ملك : أنا أنوح أنت نوحاً تسيت به نوح
ابن سرنج ، قالت : أو تحسن ذلك ، قال : نعم ، فأمرته ، فراح ، فكان نوحه في
المدية من حودة ، وقتل النساء : هذا نوح عريض فلقب عند الملك المريض ،
ووافق ابن سرنج من علته مد يتيم وعرف خبر وفاة ابن الحنفية فقال لهم : لمن
ماح عبده ، قالوا : عند الملك ، علاه سكيبة ، قل : فهل جوار المس نوحه ، قالوا :
نعم ، وقد أنه بمصعب عديث ، خلف ابن سرنج أن لا ينوح بعد ذلك اليوم وترك
لنوح وعدل إلى ماء ، فراح حتى ماتت حياطة وكانت قد أحدثت عنه وأحدثت
أبيه فراح عليها ، ثم راح بعدها على يده من عند الملك ثم لم يبع بعده حتى هلك ،
قال : ولما عدل ابن سرنج عن لنوح إلى الماء عدل معه المريض إليه ، فكان
لا يفي صوتاً إلا عارصه فيه .

فالبياضة كانت مستعينة في تلك الحصور ، وكانوا يمشونها المس تعمي ، ولا
يرال شيء منها في أيام هذه في مصر ، بلاد العرب ، مثل القاهرة وكهفي القاهرة
لا ينوحون إلا في جناز الطبقات العامة .

وفي آخر الآي ما يدل على تأثير نوح في القدم ، قال ابن مبادر لمحمد بن عمر
أخبر ر. (١) : كنت أرى نساء تقيف ينحن على عبد المجيد بياضة على استواء
قلت : فما نحب ، قال : نخرج معي حتى أطارحك ، فطارحني القصيدة التي يقول فيها :
ان عبد المجيد يوم تولى هد ركننا ما كان بالمهدود
هد عبد المجيد ركني وقد كذ ت بركن أنوء منه شديد

قال : فما زلت حتى حفظها ووعيتها ، ووضعها فيها لحماً ، فها كان في الليلة التي
يشرح بها علي عبد المجيد فيها صلياً العشاء لآخرة في المسجد الجامع ثم خرجوا إلى
دارهم وقد صعد النساء على السطح يخفن عليه ، فسكنن سكناً هيناً ، فاندفعن ،
وهو نوح عليه ، فها سمعن أنان بلطمان وبصحن حتى كدن ينقلن من سطح
إلى أسفل من شدة ثمرهن عليه ، وبخائن عاتمة من ، وأصبح أهل المسجد
ليس لهم حديث غير فاء وشاع الخبر فاعبره وتحدث به الناس حتى قل من
محاسن إلى مجلس .

وكما دانا هذا الخبر على مدح النوع في المديح فقد دنا على أن نساء كمن في
المتأتم بعضهن وجوههن

أقد عرفنا بعض عاداتهم في الأحرار فليحدث عن عاداتهم في الأفراح ، مثل
أفراح الختان واشهد محسناً من تلك الهجاس .

قال عبد الرحمن بن ابراهيم بن هرومي : (١)

رسلتي نبي وأنا علام أناس عطاء بن أبي رباح عن مسئلة ، فوجدته في دار
يقال لها دار المثل ، وعليه ملحفة مضمرة وهو جالس على سرير ، وقد حبس ابنه
والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يفرق في الحلق ، فبهوت مع الصبيان فسمع
ناحور حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاء ، حاصته فقالوا : يا نبي محمد ، لو أدت
هذا فأرسلنا إلى الغرض وأن سريخ ، فقال : ما شئتم ، فأرسلوا بها ، فلما أتوا
معي وثبت عطاء في محبسه ، فمدخل ، فدخلوا بها بيتاً في الدار ، فسمعنا ، وأنا أسمع
فبدأ اس سريخ . فمقر بالدف ونعي شعر كثير

من هذا سببهم في الختان كانوا يدعون الناس إلى الأكل وإلى سماع
النساء ، ووركات هذه العادات كثيرة في دمشق ، وأحدث في عصرنا هذا سطر
شيئاً شديداً ، فالدق يخشون عن تأريخها لاحتجاجي لا مدوحة لهم عن الرجوع إلى
نساء هذه الأحرار حتى يصوموا معها بعض ، وأهل دمشق يسمون الختان : طهوراً

وقد استعمل هذا اللفظ في القديم مرادفاً لـ «خشن» ، وكثيراً بدلاً من الطهور كانوا يقولون الطهر . قال أبو الفرج : (١)

أخبرني حمفر بن قدامة قال : حدثني حماد بن إسحق عن أبيه قال : كان رباح بن عبد الله الحارثي أنحل خلق لله ، فأولم ولجئة طهر بعض أولاده وكانت الداس يحضرون ويقدم الصوام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتشفعاً منهم به ، وقدّم فيه قدّم حدي مشوي ولم يمرض له أحد وجعل يردّه على المائدة ثلاثة أيام والداس يحتدونه إلى أن انصفت الوجبة فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال : مرته طاق أن لم يكن هذا الحدي بعد أن دخل أطول عمره وقد حياة منه قبل أن يدعى وضحك الرجل ومعهما زياد فتناقل .

وكما كانوا يحتنون أناسهم فكذلك كانوا يحتنون نساءهم ، فقد حن رباح بن ثابت لأنصار بني مدته (٢) فأولم فاجتمع إليه أنصاره وأولمهم أهل مدينة وحضر حسان بن ثابت وقد كتف نصره يومئذ ونقل سمعه وكان يقول إذا دعيت فعرس ثم عذار ، فحضر ووضع بين يديه خنوع يس عليه إلا عند الرحمن أنه ، فكان يسأله : صوام يد أم يدين . هي بايد الثريد ، وبأيدس اشواء لأنه يهش هشا ، ولم يرل بأكل حتى جاءوا بالاشواء فقال : طعام يدين ، فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام شئت وسادة وأمسك الملاء وهي يومئذ شاة ، ووضع في حجرها مره وفصرت به ثم تفتت فكانت أول ما ابتدأت به شعر حسان :

فلا زال قبر بين بصرى وجنلق عليه من الوسمي أجود ووابل

قال : فطرب حسان وجهلت عيناه تشفحان وهو مصغ لها .

* * *

أفد حصرنا بعض محاسنهم في امباحة والاطام والحنان ، فله حصر بحاسنهم في الأعياد ، فمن طابنتهم في الأعياد رينة النساء وطهورهن للرجل ، قل أبو الفرج : (٣)

(١) الجزء ١٧ الصفحة ١٠٦

(٢) الجزء ١٦ الصفحة ١٣

(٣) الجزء ٧ الصفحة ٧٦

قال الزبير : وحدثني أيضاً لاساط بن عيسى بن عبد الحار المدي أن حميل
ابن معمر خرج في يوم عيد ، والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهم أبيض ، ويدون
الرجل في كل عيد ، وإن حميلاً وقف على شربة وأحبا أم الحسين في نساء من بني
الأحباب وهن بنات عم عبد الله بن قطة حتى شربه حراً فرأى منهن منظرأً ونجاسة
وشقاً بشينة فقام معهن ثم راح وقد كان معه فتبان من بني الأحباب فمد أن اليوم
قد عرفوا في نظره حب بشينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول :

عمل العراق وبيته لم يعجل	وجرت بواذر دمعك المهلل
طرباً وشاقك ما لقيت ولم تحف	بين الحبيب غداة رقة يحول
إن استطيع إلى شربة رحمة	بعد التفرق دون عام مقل

قال : وإن شربة الأحباب أن حميلاً قد سب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاه
إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه ، فكان يأتيها عند غفلات الرجال ، فيتحدث إليها
ومع أخواتها حتى نعي إلى رحلتها به يتحدث إليها إذا حلا منهم وكانوا صلاًفاً
غيراً ، أو قال : عيارى ، فرسده بحسنة نحو من بضعة عشر رجلاً وجاء على
الصهاء بقتله حتى وقف على شربة وأم الحسين وهم يتحدثانه وهو يشدهم يومئذ :

حلفت برب الرافصات إلى منى	هوي القطا تجزئت بطن دفين
لقد ظن هذا القلب أن ليس لأقياً	سليمى ولا أم الحسين لحن
فليت رجلاً فبك قد نفروا دمي	وهوا نقتي يا بشين لقوني

فديها هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسفت به وهو يقول :

إذا جمع الاثنان جمعاً رميتهم	بأركانها حتى نحلى سبيلها
------------------------------	--------------------------

وكان هذا أول سب لها جاء به وبني عيد الله بن قطة .



وإذا كانت زينة النساء مباحة في الأعياد ، فقد كانت محظورة في غير الأعياد

قل أبو المرح (١) :

حزبي الحامي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال ، حدثني طيبة
مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قت : أرسلني مولاي فاطمة في حاجة ، فمروا
برحبة القضاء فادا بضبيمة البسي ، خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس ، فأرسل
إلي فدعاني ، وقد كنت رطلت شعري وربطت في أطرافه من ألوان العهن ، فقال :
ماهد ، فقلت : شيء تملح به ، فقل يا حزبي ! فعبها بالسوط ، قال : فتناوت
السوط بيدي وقت : فمك الله ، ما بين أذنيك وبين سعد بن برهم ، سعد
يحلد الناس في الحاجة ، وأنت تحلدهم في الملاحاة ، وقد قال الشاعر .

حلل العادل سعد ابن سلم في الحاجة
وقضى الله لسعد من أمير كل حاجة

فات : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه وقال : حل لها .

* *

فادا أضفنا هذه الأخبار ، بعضها إلى بعض ، ثم ألغنا بينها وذاقناها تسيقا
استطعنا أن نهدى إلى صورة تكشف لنا القناع عن خصائص روحنا وأخلاقنا
وعادات وعمايدنا في الماضي ، فاحذر الأحرار بذلنا من جهة على رعة برأه إلى ارساة
والإنهار هدم ارساة وهدد داحل في طائعا ، ومن جهة ثانية بدما على لوقوف في
سبيل هذه البرعة ، وارجوع إلى هذه الأشعار كلها وإلى الأشعار المتصلة بها
بعيدا كما ثبت على كشف أخلاقنا القديمة وخصائصنا الماضية ، فإن هذه الأخبار
والأشعار مادة لمجد اسم بعض رجال الفلسفة في الغرب في تمحيص أخلاق الأئمة
التي يتعمون اليها .

ومن أطراف العادات التي ناهت إليها التحية بالرحمين وقد شتقوا من هذه

وكان بعض ولاية كوفة يذم الخيرة في يوم بني ثمية فقال له رجل من أهلها
 وكان عاقلاً طريفاً : ثعيب طدة بها يضرب المثل في الجاهلية والاسلام ، قال : وبماذا
 تمدح ، قال تصحح حوائها ، وطيب مأثها ، ونزهة ظاهرها ، تصلح للحف والظلف ،
 سهل وجبل ، وبادية وستان ، ور وبحر ، محل مور ومارهه ، ومسكنهم ومثواهم
 وود قدمهم ، صدحت الله ، محققاً فرحت مثقالاً ووردته ، مقلاً فأبدرت ، كثراء
 قال : فكيف تعرف ما وصفتها به من الفصل قال : بأن نصير الى ، ثم أدع ماشئت
 من لذات العيش ، فوالله لا تحور بك خيرة به ، قال : فبيع لنا صنيعاً واخرج
 من قولك ، قال : فعمل ، فصنع لهم طعاماً وطعمهم من حبرها ، وسمكها وما صيد
 من وحشها من طاء ، وسمم وثراب وجراري ، وسفاه ماؤها في قلالها ، وحمرها
 في آفيتها ، وأجلسهم على رقب ، وكان يحدها من افرش شياء صرصة ، ولم
 يستخدم لهم حرا ولا عمداً الا من مولديها ، ومو تداها من حدم ووصائف ووصفها ،
 كأنهم اللؤلؤ ، أمهم لفة ذهبها ، ثم عابهم حين وصفته في شعر عدي بن زيد ،
 شعرهم ، وعشى محمد بن لم حاورهم ، وحباهم رب حبيها ، ونفاه على خمرها ، وقد
 نيروا بها أكها . ثم قال له : هل ريتني استعت على بني ماريات وكنت وشربت
 واقرشت وشممت وسممت بغير ما في الخيرة ، قال : لا والله ! واعد أحسن صفة
 بالذات ونصرتة وأحسب نصرتة ، خروجه مما سمعته وروى الله لكم في الذك .

المرأة في كتاب الأعراف

نُتَقَلَ مِنْ أَفَقٍ إِلَى آخَرَ فِي كِتَابِ الْأَثْنَايِ إِلَى أَفَقٍ خَاصٍّ ، مِنْ أَفَقِ الْحَيَاةِ الْمَادِيَةِ إِلَى أَفَقِ الْحَيَاةِ الْعُشْوِيَّةِ عَلَى تَعْيِيرِ هَذِهِ الْمَقَادِيرِ . وَنَظَرًا إِلَى أَيَّامِهِ فِي طُرُقَةٍ مِنْ مَوْصُوعَاتِ الْأَثْنَايِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِتَحْقِيقِ مَعْنَى الْأَكْسَامِ وَالْأَهْلِ وَالْأَنْدُورِ وَفَرَسِ وَأَشْيَابٍ وَفُصُورِ أَحْدَاءٍ وَالْأُمْدِيَّةِ وَالْمَصْعَةِ وَحَبَابَاتِ الْخَصَائِصِ وَالْمُصُورِ وَحَصَائِصِ مَعْصِ لَدُنْ أَعْرَبِ وَمَعْنَى الْأَفْرَاحِ . لِأَحْرَبِ وَمَعْنَى ذَلِكَ ، لِأَنَّ كِتَابَ الْأَثْنَايِ يُشْتَمِلُ عَلَى مَوْصُوعَاتٍ مِنْ عَرَبِيَّةٍ شَكْلٍ ، مِنْ حِمْلَةِ مَوْصُوعَةٍ : الْخُرْجَةِ وَالْعَمْدِيَّةِ فِي الْمُصُورِ الْمَاضِيَةِ .

للحرية مظاهر شتى في كتاب لأبي نزي هذه مظاهر حرية بره ، وقد
 ظهرت هذه الحرية على أوجه كثيرة ، أعرض لطائفة منها على سبيل الاستمارة
 بمحمد في أحد دريد من الصمة (١) به مر صحت به عمرو بن ارشيد وهي
 منسأة ، أمرا لها وقد تبدلت حتى فرغت منه ثم نصت عنها نيساب وعتاب ودريد من
 الصمة براهها وهي لا تشعربه فأعجته فأنصرت الى رحله ونسأة تقول :

أَحْيَا عَصَاكَ وَأَرْبَعًا مِجَنِي
أَحْمَاسُ وَأَهَامُ الْغَوَادِ مَكِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا تَحْتَمَتُ بِهِ
مُتَدَلًّا بِدَوِّ حَوْسِهِ
مُتَجَرِّدًا بِصَحْبِ الْهَنْاءِ بِهِ

ولهم سي خنساس إذا عمن الجميع الخطب : ما حظي

فلما : وعاد صر ستم . وحدها ثقب غلب عليها ، فلما أصبح غدا على أيرسا
خطم إليه ، فقال له أيتها مرحباً بك بأقرة ! انت الكريم لا يظعن في حسيه ،
وسيد لا رد عن حاجته ، ومجد لا يقرع أنفه ، وقال أبو عبيدة خاصة : فكان
لا يظعن في بيته ، ولكن لمده ليرد في مهابا ما ليس لغيرها ، وانادا كركك لم
وهي قاعة . ثم دخل بها ، وقال لها : يا حبيب ، انك فارس عورن وسيد بني حشم ،
درديس القصة بخطاب وهو ممن نعمين ، ودرديس جمع قولها . وسالت : يا أبا
أرى بركة أبي عمي مثل عمي أرمح ، ويا كعبة شبح بني حشم ، وهذه يوم
له غد ، شبح إليه نوه وهو : يا نورة قد اتممت ، وأعلم أن يحب في غد ،
وقد . قد سمعت قولك وانصرف .

١/ يدل هذا الخبر على أن بركة كانت تحت حرية لروح حبي في الجاهلية ، وقد
حطام أحد استمره نهم في ذلك . فلما ن قنع واما أن نجيب ، وهذه حرية
ما هي رأس الحرب ، لأن رواج بني على الأكرام ، بما سواقه غير محمود ،
ولا رن ربي آخر هذه خبر في كثير من قري الشام .

وممكن حرية رواج في جاهلية وحاشاها ، وإنما كانت هذه الحرية في
الجاهلية ، كما هو مكانة حجاج في عصر بني أمية ، وعلى الرغم من شدة استعباده
كان ر حطب امرأة لا بد لأنها من أرحوم إلى رأبها في رواج ، فقد حطب
هدأ انت نعم ، من حارجه هارزي ، كانت روح عبيد الله من رند ثم رواج شر
ابن مروان وهذه قصة هذه الحطة (١) :

مثل حجاج ثابرة من بني مهدي لا شعري وهو قصيه إلى أسماء يقول له :
أنت فيحاني مع ملاه نهم المؤمنين سدي أن أقيم موضع فيه إنا أخيه بشر ،

لا تضحك الي وتوتى مبه مثل ما توتى من ولدي ، فسأل عبد الله عن تطيب نفسه ،
وقال عمر بن شبة في خبره ، وشاهدنا أنه لا يذم من اتفرقة بهم ويبيع حتى يؤدبهم
قل أبو ردة : فاستأذنت . وذن لي وهو يأكل وهدد معه ، ثم رأت وجهها ولا
كها ولا دراعاً حسن من وجهها وكعبها ودراسم . وحدثت تخفى : ربيع بين يدي .
قال أبو زيد في خبره : فدعاني إلى الطعام في أمهل ، وحدثت نعتي وتحدثت
وقلت : أما والله لو علمت ما حدثت له لبكيت ، فأمسكت يدها عن الطعام ، فقال
نعم : قد مضى إلا كل ، فقد ما حدثت له ، وقد رأت نعتي ما أرسلت به لك
في أر والله دموعاً قط سائلة من خاخر حسن من دموعها على محارها ، ثم
قال : نعم ، أرسلت بها إليه ، فلا أحد حتى شربها منه ، وقال نعم : إنه عبد الله
نمره فوبس ، بهي سديك من شرب ، نساه به ، وكان نمر لا يبر صفة ، فأنشأ
الحجاج فأنشأته حواء ، وهيئها ، قال : ارجع وحدثني عبي ، فرحمت وهي على
حاملها ، فلم تدخل قلب : قد حدثت نغير الرسله لا أولى . قال : كبر ما حدثت
قلت : قد حدثت خاطئ ، قل : على نساء ، قد رأت رعدة ، قلت : لا ، على من
هو خير لك مني ونعمته ما أمرني به الحجاج ، فقال : هو عبي سمع ما أدب .
وسكنت ، قال نعم : قد رصيت وقد روجته بها .

وشاهد آخر على هذه الحربة ما رواه أبو الفرج في روح عبد الله في عبيدة
قال : (١) لما مات عبد الله بن عبد الله رحمت هذه نغيرتها منه فقال عبد الله بن
حسن لأمه فاطمة : حصني عبي هذه ، فقلت : قد ردت نضع في همد ، وقد
ورثت ما ورثته ، وأنث ترب لا مال لك ، فبركها ومهي لي في عبيده في همد
خطها ، به ، وقال : في لرحب والسمة ، ثماني ، فقد روجت ، مكات : لا يرح
ودخل على همد وقال نبيه : همد عبد الله بن حسن ، خاطئ ، قلت : فما قلت له
قل : روجته ، قالت : أحسن ، وقد أحرب م صمت ، وأرسلت إلى عبد الله :

لا تخرج حتى يمدح على أحد ، قال : فبريت له ، فبات بها معرسة من أيدته ، ولا
تشمركمه ، فأقام سبعة ، ثم أصبح يوم سابعه عدياً على أمه ، وعليه رداء الطيب .
وفي غير ثيابه أي المرف ، فقالت له : يا بني من أين لك هذا قال : من عند التي زعمت
نفسها لا تريدني .

وودعنا أخبار طريفة في حربة الزواج ، أذكر منها على سبيل الاستشهاد
الخبير الآتي (١) :

كانت مسكينة عند عمر بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها بعد ذلك زيد
ابن عمرو بن سنان بن عمرو ، ثم زوجها مصعب بن زبير ، ولم يقل مصعب
خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغ من حقتك ثوب نبوت
إلى مسكينة بنت الحسين بن قطمة بن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفظها ، فأمرها
عن ذلك . قال : ثم ذهب يوماً سبعة حربة مسكينة ونهبت حتى كارت أصابعها
تتحفظ ، فقالت لها مسكينة : مالك وماك ؟ قال : أحب أن أرى في لدر حربة
بني أمية ، فذهب مولى شق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن
بن عوف ، فقل له إن لدي مدعيتك عنه قد بدا لي ، أنت حول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، قل خضع عدة من بني زهره وعتبان قريش من بني هاشم ، وغيرهم
يخوون من مسلمين ووثنيين وحلفاء ، ثم أرسل إلى علي بن الحسن وحسن بن الحسن
وعبرهم من بني هاشم ، وهم أحرار حنمعو وقالو : هذه السهبة يريد أن يروح
إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فو : فمدى سوهانهم واحتكموا وقالوا لا يخرج
مسكينة من دارهم ، فحذو وما في ذلك كلام ، فقال : صرروا بأصفي ،
فتصدروا وبنو زهره حتى تشحوا ، فشح بهم يوماً أكثر من مائة سنة
ثم قال سوهانهم : من مسكينة ، فلو أني هدايت ، فمدحوا بها ، فلو أني
هد من مبعث ، ثم حادوا كسار طاروني ، فسطوه ، ثم حموه ، فحدوا بحوايه

أو قال بزواياه الأوسع ، فالتفتت إلى بناته ، فقالت : أي سادة : رأت في الدار حدة
قالت : أي والله ، إلا أنها شديدة



لم تستدل بهذا الخبر على حرية الزواج ، فإن آثار الغنط صاهره عليه ، وكى
سكينة لما صنعت صمها هدام رده الزواج ، فقد ردت راحيم بن عبد الرحمن بن
عوف من أول الأمر وحمقته ، وأما ردت بهاء ، وبذل على دت قولها في
آخر الخبر : أي بناته أرأيت في الدار جلبة !

ولم تقتصر المرأة على حرية الزواج وحده ، وإنما ردت في أن يكون من الخلاق الم.
كان الخارحي ونمته محمد بن خير^(١) شاعراً وصبيحاً ، وكى ياسلين ، فقدم
لأهله في طلب ميراث له ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر خارجة من عرو
فأبت أن تزوجه إلا بعد أن يقيم معها بالحصرة ويترك حجار ويكون امرها في
امرفة أنها ، فأنى أن يعمل ذلك وقال :

رق الحرس وعاد سبه	طوارق الهم الذي يرده
ودكرت من لانت له كبدي	فأبى فليس تلين لي كبده
وأبى فليس ينزل بلدي	أبدأ وليس بمصالحني بلده
فصدعت حين أبى مودته	صدع الزجاجة ، دائم أبده
وعرفت أن الطير قد صدقت	يوم الكدانة شر ما تعده
فأسير فإن لكل ذي أجل	يوماً يحكي ، فينقضي عدده
ماداً تعاتب من زمانك أن	ظعن الحبيب وحل بي كده

وحاطب أبها يحيى بن يعمر في ذلك ، فقال له : أنها امرأة ررة عاقبة ، ولا

فتاب على منها بأمره ، وما سكت من رعدة ، وكلمها امرأة في حلقها شدة ، ولها
عبرة ، وقد بلغني أن لث روحين وما تراها تصير على أن تكون ثالثة لها ، فطار
في أمرك وشاور فيه ، فلما أن أقمت بالعبرة معها ، دفعت لك عن راحتيك ، اد
لأبحاورة يسها وسها ، ولا عشرة ، ون شئت مفارقها وإحراجها معاك ، فصار إلى
رحله مغموماً ، وشاور من عمه له يقول له ورار برعمرو في ذلك فقال له : ان في يحي
بن بعمر رعدة تروته وكثرة ماله وما ذكر من حمل ابنته ، وما يحب أن يفارق
روحيت وكانت أحدهما ممة عمه ، والأخرى من شجيرة ، فتعير معها ممة ، فعبرة
وتعير بحيرة ، فن رعدت فيه بمسكها وثقت بتكاث ، وإر رعب في العود إلى
بلده كنت ابناً حشداً حتى تنصرف معه ، ففكر لينته جمع ، ثم عد عارماً على
الرجوع إلى الحجاز .

وكما كانت المرأة تنفح حرها في رواج وعكر في أن يكون أمراً صلاق لها
فكذلك كانت تنفح حرها في التحدث إلى الرجال في بعض الأوقات ، فبينما الأخطل
حائس سدد مرته من قومه (١) وكان أهل البدو اد ذلك يتحدث رجالهم إلى النساء
لأروون بذلك شئاً ، وبين يده ما طيه شرب ، والمرأة تحبته ، وهو يشرب ، اد
دخل رجل ، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له : قم ، استحياء منه وأطال
الرجل أحبوس لي أن قول داب ، فوقع في له طيه في شرايه ، فقال الرجل :
يا أبا مالك ! لداب في شرايت . فقال :

وليس القدي : امود : سقط في حر
ولا مذباب تزعه أيسر الأمر
وكن قد هار رز لا تحبه
قلت : فقام الرجل ، فانصرف .

فدا دعما في هذه : هذه البليغة : حرية المرأة في رواج وصلاح ولاحم
إلى رجار وحده : أن المرأة العربية في القدي لا تفل شأناً عن أرقى نساء هذا

العصر في الأمة الحديثة من حيث الحرية ، ومن حيث برعه الى هذه الحرية .
ولا بأس أن نستمر في هذا حتى ننتهي إلى صائفة من عقائد برآه في
صورها الفائرة .

صحب بن محمد بشير روفة من قصاعة (١) فكان إلى مكة ، وكانت مهم امرأه
جميلة ، فكان يسارها ويحادثها ، ثم خطبها إلى نفسه ، فقال : لا سبيل إلى ذلك ،
لأنك لست لي عشير ولا جار في بلدي ولا أنا ممن يطعمه رسة عن بلد ووصه ،
فدبر لي محادثتها ويسارها حتى اعصى حاج ، فعرض بها زواجه ، إلى أن طامسها
فقال في ذلك :

نستغفر الله رب من محذرة	لوما بدا لي من الكشح والكند
من روفة صاحبه في مدته	كل حرام ثامره ولا حمدو
حتى إذا الدن قسب في حرها	هو المحسن منها أمر بد حمد
حتى أقوم واعتصم في عني	حين كل حرم رسة د
قلت سأطلب من روفه	وما لي أعاب أقوم ثم شهدوا
هرقت لي وأحسوات مة	وجوهي عفت : بعض ما كده
أي يدل حذري كحاشه	أحدي بن ليل يد مد دره ورد

للعشيرة معي : اقرب وصدق ، فدا حمانا معي امشير في هذا :
هرت ، سمدضا من ذلك أن المرأة كات بخدر في روحه فخرها ، وحرهم
وإلا جعلنا معي امشير : صدق ، نستخرج من ذلك أن رواج الصلحة هي
من صداقة أو عشيرة قبل أن يه ، فدا زادت امرأة أن تروح حيرت حذري
من يخطها بعد الروح .

يسب عايني في الكلام على حرية المرأة أن نستعني في هذا كلام ، وبعث
عايني أن ذكر بعض مما دج من حب المرأة في حريتها ، على اختلاف أشكال هذه

الحرية ، و ذكر عاذج تشير إلى إحتماؤها وعبر ذلك ، والأمثال في هذا الباب كثيرة وأنا ذاكر منها ما تيسر .

محمد في أحد رفر ردي (١) أن بين الأحيية كانت مسافرة لم ير المرردق كحسنها وهبتها وط ، ما يشده شعراً ، لا تشدته حسن منه ، وكانت الشبان يتحدثون لها .

وإذا دل هذا الخبر على شعور المرأة بأن لها رأي يدل على حجابها ، في حوار عائكة روح عبد الله بن أبي بكر صديق (٢) أن عمر بن الخطاب حطها بعد أن مات زوجها من أنهم سبي ، ما عذائب ، وهاب : وقد كان أعطاني حديقة على أن لا أروح بعده ، قال لها عمر فستعي ، فاستعقت سبي بن أبي طالب فقال : ردي حديقة على أهله وزوجي ، فزوجت عمر ، وسرح عمر إلى عده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم عبي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، يمي دعاهم لما سبيها ، وقال له عبي : إن لي إلى عائكة حاجة أريد أن أذكرها لهما ، فقل لها استغفر ، حتى أكملها ، وقل لها عمر : استغفري يا عائكة ، فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك ، فأحدث عليها مرطها ، وب يظهر من ، إلا ما بد من رحمها .

قد كثرت الشواهد في كتب الأنبي على إجماع الرجال إلى النساء ، وقد بلغت النساء من الحرية كل مبلغ ، قالت سكينه (٣) لعائشة بنت طلحة : أ ، أحمد منك ، وقالت عائشة : بل أنا ، فاحتصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال : لا أقصين بكما ، فما أت يا سكينه فأمدح منها ، وما أت يا عائشة فأحمل منها ، فكانت سكينه : قصيت لي والله ، وكانت سكينه تسمي عائشة : ذات الأديس ، وكانت عظيمة الأدين .

فهذا النمط من الحرية لانكاد نجد نظيره في عصرنا هذا .

(١) الجزء ١٩ الصفحة ٢٦

(٢) الجزء ١٦ الصفحة ١٢٩

(٣) الجزء ١٤ الصفحة ١٦٢ .

وبلغت النساء من حرية الاجتماع مبعأ يشبه ما بلغته النساء في أعظم الأمان في عصرنا هذا فقد كن يعقدن مجالس ذات تشبه ما سميته في هذه الآيات :
الصالوات ، من هذه المجالس مجلس سكرية بن حسين ، ولا تنس تلك محضر هذا المجلس .

اجتمع في ضيافة سكرية ذات الحسين بن عبد السلام (١) جرير وورد و كثير وجيل ونصيب ، فكثروا بما تم أدت لهم ، ودخلوا عليها ففقدت حبث تزام ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم خرجت وصيفة لها وصيثة قد روت الأشعار والأحداث
فقات : أيكم العررد ، فقال له : ها ناد . قات : أت اعدت :

ها د ثاني من تدوين قومه	كي تخط نار فم اربش كاسره
فها استوت رحلاي بالأرض فـ	نحي رحي ثم قبيل تدره
فقلت ارفعوا الأعراس لا يشروا	ونفت في عجريل تدره
أبادر بواين قد وكلا بنا	وحر من سحر نص مسره

قال : اعم ، فات لما دعيت إلى إلقاء سر ها وسر ها ، هلا سرت عليها وعديت .
خذ هذه الآلف والحق بأهنت ، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقات : أيكم
جيري ، قال : ها أناداء فقات : أت اعدت :

طريقك صائفة الملوك وابس دا	حين ريزه فارحي نسلا
نحوي اسواك على أغر كأنه	رد تندر من متوب عمام
لو كان عهدك كالذي حدثنا	وصب منه وكان سير سام
في أوصل من أدت وصاله	نحان لا صعب ولا توام

قال : نعم . فات ولا أدت بيدها وقلت لها ما يدن شها ، أت عفيف ،
وفيات صعب ، خذ هذه الآلف وحق أهنت ، ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت
فقات : أيكم كثير ، قال : ها ناد ، فات : أت اعدت :

وأنحني بأعر منك حلائق	كرام إدا عذ اخلائق أوسع
-----------------------	-------------------------

دعوك حتى يدع الخاهل صبا ودعوت نساب المني حين يطعم
 والله ما يدري كرمه ثم طل يبدت اد دعوت و يتصدع
 قل : نعم ، قال : مدح وشكات ، حدهم الثلاثة آلاف وخلق ناهيك ،
 ثم دحيت على مولاهم وحرحت فقال : أيكم نصيب ، قال : ها أنا ، فقالت :
 أب القائل :

وإلا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسني النشأ الصغار
 سفي كل مهضوم حشاها اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال : نعم ، وقال : ردت صبارا ومدحتنا كداراً ، حدهم هذه الالف والحق
 ناهيك ، ثم دحيت على مولاهم وحرحت فقالت : يا جميل مولاتي تقرئت السلام
 وتقول لك والله ما زالت مشتاقه رؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليت شعري هل أبين بنة بو دي اقري الي اد السعيد
 بكل حديث دنون نشاشة وكل فتيل عدهن شهيد

جعلت حديث نشاشة ، وقتلا ما شهد ، حدهم هذه الالف دمار والحق بأهلث
 الأخبار من هذا النوع كثيرة في كتاب الاثني ، اكنفي فيها ذكر ما أمدت به
 به على جميع صبا ، لي روح في محاسن أد ، نشبه محاسن أعظم لأهم شأنها ،
 إلا أن أبه في هذه الاحتمات ن النساء كن لا يعرفن لرجال فان المارة التي
 وردت في خبر راضي : فعدت حيث تراهم ولا رويها وتسمع كلامهم ، انما هي
 عبارة وصحة ، وكذلك المارة اي وردت في رواج عمر بن الخطاب ، فقد قال
 عمر ما نكة : ستترى يا غانكة فان ابن ابي طالب يريد ان يكلمك ، فهذه عبارة
 تدل على احتجاب .

وقد كثرت الشواهد على الحجاب مرة وعلى السفور مرة ، وراينا هذا الأمر
 في ثمة ، كثير من الأخبار التي أشرت إليها ، وكيف كانت الحال فان اجتماع
 الرجال إلى النساء كان واقعا لا شك فيه .
 ولكن المرأة كانت نحر مرة وتستتر مره في هذه الاحتمات ، وأرى أن
 أختم هذا المعنى بأخبار قليلة تتصل به .

خرج النقيب نو محجن (١) هو وكثير والأحواس ع يوم مطرت فيه
 السماء ، فقال : هل لكم في أن تركب حميلاً فسير حتى تأتي المقيق فتمنع فيه
 أبصارنا ، فقالوا : نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب والسيوف ، فحسن
 ما يقدرون عليه من الثياب ، وتشكروا ثم ساروا حتى أتوا المقيق ، فجمع
 يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون حتى رجع لهم سواد نصيب فأموه حتى أتوا قاذ
 وصائف ورجال من أمولى وساء ناررت وفتهم ل يزلوا ، فاستحيوا أن يجيبوه من
 من أول وهلة فقالوا : لا نستطيع أن نغضي في حاجة ما ، فخذفهم أن يرحموا أيمن
 ففعلوا وأبوهن فسالنهم العزول فزلوا ودخلت امرأة من النساء فاستدنت لهم فمر
 ثلث أن حات برته فقات : ادخروا ، فدخلت على امرأة حميلة ردة على فرش لها
 فرحلت وحيتت وإذا كربي موضوعة فجلسا جميعاً في بيت واحد ، كل انسان
 على كرسي فقات : ان احببتم ان يدنو بصبي ما فمصبحة وبعثت ادبه ففعل وإن
 شتم مدناً بامره ، فقد : ان مدعين بالعمي وأن موثما المدهاء فوثمات بيدها الى
 بعض الخدم فربكن لا كلا ولا حتى حات حارة حميلة فمسترت عنهما فطارف
 فامسكوه سبيهم حتى ذهب سهرها ثم كشت عنها وإذا حاربة ذات حمل قرسة من
 جمال مولاها فبرحت بهم وحيتهم فقات لها مولاها : حندي ونحاث من قول النقيب
 عافى لله أن محجن :

لا هل من اين امر من يد وهل مثل نهم عنقطع سمع
 تميت نهمي نوثك والى على عبد عاد مانعيدولا سدي
 وممنه حواء كاحسن ماسمته قط ما حتى مطر ونشجي صوب ، ونقية نمرى
 هذا الشكل ، والمرأة من بي أمية
 وفي حبر من حابر محتون بي عامر (٢) كان لخمبول قول ماعنق بني ككثير

(١) الجزء ١٠ صفحة ١٢٧

(٢) الجزء ١٠ صفحة ١٧٦

لذكر لها ولأبنائها وأعراب ربي ذلك غير مسكر أن يحدث العتيدان إلى العتيدت.
قد كانت امرأة ريرة في بعض المجالس وقد كانت مستورة في مجالس نائية ،
في حبر عمر بن أبي ربيعة أنه دخل إلى كاتبة سمعته العبرومية وهيأت تحمل
هيئة وريثتها ومحبها وحاسبه وراه سر (١)

و حالته كانت صفة مرده ربح في تلك حضور شديدة جداً .
كانت حشوية من مولدت مكة صرعه (٢) ، صارت إلى المدسة ، وهذا أدهم موت
عمر بن أبي ربيعة اشتد حرها وحمل تبكي وقول . من مكة وشعاعها وأناطاجها
وربها ووصف نسائها وحسن وجمالها ووصف ما فيها ، وقيل لها : حقه عيناك
فقد نشأ في من ولد عثمان رضي الله عنه بأحد ما أحده ويسلك مسلكته ، فقامت
تشدوني من شعريه ، تشدوها ، فمسحت عينيها وضحكت وقت : الحمد لله الذي
بضيق حرمة !

وأي زى أن هذه الحشوية كانت تثنى بساء ، صرها في بطره امرأة إلى لرحل
وفي دوق ، لأدني وطبيعة ثمة .

وقد كان السفور مباحا في بعض حالات ، فقد حدث علويه قال : قال إبراهيم
الموصلي يوما إني قد سمعت صوتاً وما سمعته مني أحد بعد وقد كنت أنفست
وأرفع من أن أنفسي عيناك وأهه لان ، والله ما فعلت هذا ما سقى قط ، وقد
حسنت به ، فحمله ودعته ، فقامت أسببه إلى نفسي ، وستكسب به مالا فاني
علي قوله :

إذا كان في شيطان يأثم مالك فان لجاري منها ما تخيرا
فأحده ودعته وسترته طول يوم زشيد خوف من أن نهم فيه وطول
نم لأنين حتى حدث عليه ما حدث وقدم المأمون من خراسان ، وكان يخرج إلى
الشامية ، ثم شره ، فركب في زلال وجئت أتبعه فرأيت حراقة علي بن هشام

(١) ح ١٠٠ ص ١٠٠

(٢) ح ١ ص ١٢٩

فقلت للملاح : اطرَحْ زِلالي على الحراقة ففعل ، واستودن لي فدخلت وهو يشرب
مع الخواري ، وكانوا يحجون حواريهم في ذلك الوقت عالم بلدن ، فادأ بين يديه
منهم وبذل ، حواريه ، فعبته الصوت فاستحسبه جداً وطرب عليه وقل : لمن هذا ؟
فقال : هذا صوت صنعته ، تهديته لك ، ولم أسمعه أحد قبله ، فرددت عجباً وطرباً
وقال له : حديبه عنه فأقبه علم ، حتى أحدثه ، وسر بذلك وطرب وقال : مالي ما أحد
لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أنحول عن هذه الحراقة عاوم ، وأسلمه اليك
أجمع ، فتحول إلى أخرى ، وسلمت الحراقة بحرها وجميع الأنهار لي وكل شيء
فيها فبعت ذلك بمائة وخمسين ألف درهم واشترت بها صيفتي الصالحة

*

* *

فقد الحبر صريح ، فقد كانوا في بعض الأوقات لا يحجون حواريهم ماء بلدن
وأرى أن أذكر شيئاً آخر من اختراع هذا ، إلى الزحال .

لم تحرم البراءة حق الاختراع إلى الزحال ، سواء كانت برهنة كانت مستمرة
في مثل هذه الاختراعات ، إلا أن هذه الحرية التي كانت تمنعها كان يصححها شيء
من الثقافة الأدبية ، وإذا قلت الثقافة الأدبية ، فهي لم ترد بذلك إلا حفظ البراءة
بعض شعر العرب ، وحسن دوقها في هذا الحفظ ، وسواء تقدمها في بعض الأحيان
وما أحب أن أتكلّم على بعض ثقافة البراءة في هذا الفصل إلا لأبين
حرصها لم تمنعها في حالة جهلها ، وإنما تمتعت بها في حالة دهر وعصها وكبرها .

من هذه ثقافة حفظ البراءة لشعر . قل : حسن يبعثني (١) :

يبت أنا وصديق لي من قريش بملاط يلاً إذا نطل بسوء في القمر .
فانتمنا فادأ بحجاعة بسوء ، فسمعت واحد منهن وهي تقول : : هو ، هو ، فقلت

الاحرى : نعم والله ، انه لم هو هو . فحدثني ، ثم قال : يا كهل قل لهذا الذي معك :
ليست لياليك في خاخر بمائدة كما عهدت ولا أيام دي سلم !
فعلت له : أحب ، فقد سمعت ، فقال : قد والله قطع لي ، وأرتج علي فأحب
سي ، فأنتم إليها قلب :

فقلت له : عز كل مصيبة . اد وطب يوما لها المفس دت
فقلت لمرء : نوه ! انه مصب ومصيبة . حتى إذا كنا تفرق طريقين ، حتى
الفتى إلى منزله ، ومضيت أنا إلى منزلي ، فإذا أنا بجويرة تجذب ردائي ، فأنتم إليها
فقلت : المرأة التي كلمتك تدعوك ، فمضيت معها حتى دخلت داراً ، ثم صرنا إلى بيت
فيه حصير ، وثيب لي وسادة خالست عنيها ، وقاب ، وب الخبب ، قلت نعم ، فأت
ما كان قط حوائك وعدسته ، فأت : والله ما حضري غيره . وكنت ثم فأت لي :
والله ما حالي الله حده ، أحب إلي من رسول كان معك ، فأت : والله الصامس مث عنه
ما تحب ، فأت : والله عمل ، فأت : والله فوعدتها أن آتيها به في ليلة ، فأت : والله
فإذا الفتى بياني ، فقلت ما جاء بك قال : عمت أنها سترسل إلي بيت وسألت عمت في
أحدت فعممت أنها سترسل إلي بيت ، فقلت : فقد كان كل ما صعدت ، ووعدتها
أن آتيها ، لك في الليلة العيلة ، فمضى ، ثم صعدت فأت ، ورحما فإذا خيرة تنظر ،
فمضت معها حتى دخلت الدار ، فإذا برائحة الطيب ، وحبات خرد ملأاً ثم فأت
عليه وماتته طويلاً ثم فأت :

وأت الذي أحضرتني ما وعدني وشممتني من كان فيك يوم
وأررتني بهاس ثم تركتني لهم غرضاً أرمي وأنت سليم
ولو أن قولاً بكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

ثم سكك وسكت الفتى هنيئة ، ثم قال :

عدوت ولم أغدر وختت ولم أخن وفي دور هذا مرجع غير
حريث صمغ الود ، ثم صرمتني حثت في قلبي ايست إدام
فأنتمت إلي وقاب : ألا تسمع ما يقول ، قد حبرتك ، فأت : فمضت فمكت ثم فأت :

تجاهلت وصبي ثم خذت عمامتي وهلا صرمت الحبل اد آنا مصر
ولي من قوى الحذر الذي قد قطعته نصيب ود رني جميع موقر
واصكنا آدت بالصرم بغتة ولست على مثل الذي جئت أقدر
قال الفتى مجيها لها :

لقد جعلت نفسي وأنت اجترمتي وكنت أحب الناس عنك تعليب
فبكيت ثم قالت : أو قد طابت نفسك ، لا والله ، ما بك خير بعدها ، فميتك
السلام ، ثم قامت وانفتحت إلى وفات : قد صعبت لك لاني صعبت عنه وانصرف .
فإذا كانت المرأة تتنعم بحرية الاجتماع الى الرجال فإن هذا المجلس الذي شهدناه
بدأنا على طيبة الأحاديث التي كان الرجال والنساء يتقاطعون بينهم ، وهي أحاديث
أدبية ، تصور لنا ذوق المرأة في فهم الشعر ، ورائعها في الاستشهاد به ، فكان
الدم ، لمحط الشعر وتصفين به ، حدث اربع من نكار (١) قل . حدثني طيبة
مولاه فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : مررت بمحمد بن عبد الله بن مصعب وداخلة
منزله وهو يفتنه ومي دفتر ، فقال : ما هذا معك ، ودعي خنثه وفات : شعر عمر
بن أبي ربيعة ، فقال : ويحك ! بدخلين على النساء . شعر عمر بن أبي ربيعة ، إن
الشعر يوقعا من القلوب ، ومدخلا لطيفا ، لو كان شعر بسحر . كان هو فارحي
به ، قالت : فمات

فإذا كان النساء يحفظن شعر عمر بن أبي ربيعة ويكتسه في الدفان ويحرقن
عليه ، علما مملع شواقين في الشعر ، وفي حجر من حار عمر بن ربيعة ، رجع
إليه من راد في مطنته (٢) محمد عمر بن مصعب فاطمة بنت محمد بن مروان فيقول
فكلمت أدب الناس وعلمهم بكل شيء :

هكذا كانت ثقافة بعض النساء في تلك العصور ، وقد وصف مصعب بن منصور
الذهني وسرعة الجواب ، قال رجل من بني سدة (٣).

(١) الجزء ١ الصفحة ٣٥

(٢) الجزء ١ الصفحة ٧٥

(٣) الجزء ٢ الصفحة ١٥١

خرج يزيد بن عمر بن هيرة يسير بالكوفة ، فالتقى الى مسجد بين غاصرة ،
وقد أقيمت الصلاة ، فنزل يصلي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وشرف النساء
من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ، قالوا : لبي غاصرة ،
فتمثل قول الشاعر :

ما إن تركن من الفواخر مهضراً إلا قصمت بساقها خلخالاً
فقلت له امرأة من المشرفات :

ولقد عطفن على فزازة عطفة كرم المنيع وجلن ثم مجالا

فقال يزيد : من هذه ، فقالوا بنت الحكم بن عبدل ، فقال : هل تلد الحية إلا
الحية وقام خجلاً .

و قد ردد أن نعلم مقدار عمل الشعر في ولوب المرأة في أريحا الميبد فليقرأ
هذا الخبر (١) .

روى أبو الفرج أن باحراً من أهل الكوفة قدم المدينة بمحضر فباعها
كلها ، و بقيت السوداء من فم سوق ، وكان مديقاً لدارمي فشكا ذلك إليه ، وقد كان
يسئ ويرى هذه وقول الشعر فقال له : لا تهتم بذلك ، فاني سأبعثها لك حتى تبيعها
أجمع ثم قال :

فل للعليلة في الخمار الأسود ماداً صنعت براهب متعبداً
فقد كان شتر بصلابة ثيابه حتى وقعت له باب المسجد

وعنى فيه ، وعنى فيه أيضاً سدان الكاتب ، وشاع في المدس وقالوا قد دفنتك
الدارمي ورجع عن بسكه ، فم تقي في امدة طريفة لا ابتاع حماراً أسود حتى
عده ما كان مع حماري منها فلهذا عد بذلك الدارمي ورجع الى بسكه ويرم المسجد .
وقد استعاض مثل هذه الثقة في القيان وبعيت خاصة ، حتى قيل في عرب

ما حلفت عرب امرأة مثلب في العباد ورواية وهدنة (١).

واشواهد على هذا المعط من ثقافة كثيرة في كتاب الأنبياء ولا بأس
بالإكثار منها لأن في ذلك توصيحا خاصة برأفة في القدر . ولمعرفة مقدار
فصاحتها وأدبها

أي نصيبه (٢) فأنى مسجد احرام ايلا ، وفيه هو كذلك اد طلع ثلاث
سوة خلس قرأ منه وحملن نحدث وتدا كن اشعر ، اشعره واداهن من
فصح النساء وآدهن فقات ، حدهن : فأنل لله حميا حيث يقول :

وبين الصفا والمرئين ذكر نكح عجب ما بين مناع وموجب
وعند طوافي قيد ذكر نكح ذكره هي موت ، من كادت عن موت نصيب
فقات الأخرى : بل قاتل لله كثير عزة حيث يقول :

طلعن عليا بين مروة واصفا ، يقرن على الصفا موار حداث
فكدرت لعدر الله نحدث وفيه عجب من حشية لله نائب
فقات الأخرى : فأنل الله اس اراية نصيب ، حيث يقول :

الأم على ايدي ولو نستطيعها وحرمه ما بين بيعة وستر
لأب على ايدي نفسي ميلة ومكان في يوم نجاد والمحب

وعم نصيب الهم ، فسأله علي بن وردن عليه السلام فقال لمن : إني وأيتكن
تحدث شيت عدي منه ، فقص ومن ت ، فقال : ائمن ، ولا ، فقات : هات ،
فأنشدن قصيدته اني نول :

ويوم دى سر شقت نلحة ورقة في من اريج صطرب

وقلن له : نسألك بالله وبحق هذه البنية من أنت ، فقال أنا من الصومة ، قدوة
غير جرم ، نصيب ، فقم اليه فساكن عليه ورحب به ، واستدرت يداه ، قال وقال

(١) خبر ١٨٠ صفحة ١٩٠

(٢) خبر ١٨٠ صفحة ١٢٥

والله ما أردت سوءاً وإنما حملي الاستحسان لقولك على ما سمعت ، فضحك وحاس
إلينا فحدثنا إلى أن انصرف .

وهكذا نجد أن امرأة كانت حكيمة في كثير من أمور الأدب ، وكذلك
كانت حكيمة في أمور الفقه .

وقد اس سريخ والغريص وسعيد بن مسطح وسليمان بن محرز المدينة لمص
من وودو عليه (١) ، فاجتمع ربهيم على ابرول على حميلة ، مولاه شهر ، فملوا عدها
مخرجوا يوما إلى الحقيق متبرهين ، فوردو على ممد وبن عائشة فجلسوا اليها
فتحدثوا ساعة ثم سأل ممد اس سريخ وأصحابه أن يمرضوا عليهم بعض ما تشقوا
فقال ابن عائشة : إن للقوم أعمالا كثيرة حسنة ولا أياها عبادة ، ولكن قد
اجتمع علماء مكة وأنا وأنت من أهل المدينة فليعمل كل واحد منا صوتا مساعته ثم
ينفي به ، قال ممد : بن عائشة قد أعجبتك بك حتى بلغت هذه المرتبة ، قال ابن
عائشة : أو عجزت بنا عباد : أي لم تقل هذا وأنا أريد أن تنقصك ذلك لأن
عبادته ، قال ممد : فما إذا قد اجتمع أصحابنا المكيون سكوت فنجعل بيننا
حكمة ، قال ابن عائشة : إن اصبرنا شركاء في الحكومة ، قال ابن سريخ : على شريطة
قال : على أن يكون مانفي به من الشعر ما حكيتم فيه امرأة ، قال ابن عائشة وممد
رضينا وهي أم حنيفة فاجتمع رأيهم على الاجتماع في منزل حميلة من عدوها فحصرها
قال ابن عائشة : ما ترى يا أنا عباد ، قال : ترى أن يتدبى أصحابنا أو أحدهم ، قال
اس سريخ : بل نعم أولى ، قال : لم تكن لتفعل ، فأقبل ابن سريخ على سعيد بن مسجع
وسأله أن يتدبى فأبى فاجتمع رأي المكيين على أن يتدبى فعلى ابن سريخ وممد
و بن مسجع واس عائشة و بن محرز والغريص فقات حميلة : كلكم محسن وكلكم

مجيد في مذهبهم ومذهبه ، قال ابن عائشة : ليس هذا بمقنع دون التفضيل ، فقالت :
 أما أنت يا أبي يحيى فتصحبك اشكلى بحسن صوتك ، ومشاكلته للعفوس ، وأما أنت
 يا أبا عتاد فسيح وحده محودة تبيت وحسن بطمك مع عذوبة عنائك ، وأما
 أنت يا أبا عثمان فلك أولية هذا الأمر وقضية وأما أنت يا أبا حمفر فمع الحديث نصيح
 وأما أنت يا أبا الخطاب فلو قدمت أحداً على نفسي تقدمتك ، وأما أنت يا مولى العيالات
 نو انتدأت لقدمتك عليهم ثم سألوها جميعاً أن تغنيهم لنا كما عوا فغنتهم بيتاً لا مري
 انقبس وأربعة أبيات اعلفهم فكلمهم أبو روه وصنوه فقالت لهم : ألا أحدثكم
 بحديث يتم به حسن عنايتكم وتعام اختياركم قالو : بلى والله ، قل المربص : قد والله
 فحمته بأسيديتي ، قالت : أهدت لله يا محبت ما جود فبك وحسن وجهك وما يلام بك
 أبو يحيى إذ عرفته فهاهنا حدثنا قال : ياسيا في مسيرة من حصر والله لا نطق بحرف
 منه وأنت حاضرة ولك العمل وحتى ، قالت : راع امرؤ ميس عنقه من عذوبة
 الفحل الشعر وقال له : قد حكمت بي وبين امرأتك ثم أحدثت قس : قد وصيت
 وقالت لهما : قولاً شمرأ على روي واحد ، وقوية واحدة ، صوابه خيل ، فقال
 امرؤ القيس :

حبيبي مرآني على أم أحدث
 فقص لي ما تلهو د المحدث
 وقال علقمة :

دهت من المحزون في غير مذهب ولم يبق حقاً كل هذا التحب
 ونشد هاء فغالب عذوبة فقل لها روج : أي شيء علمته ، قال : لأنك قلت
 فليسوط ألحوب ولا ساق دونه ويرحرحر منه وقع أهوج منب
 فهدت فرسك ليسوطك وتم يته بساقك ورحرك ونعتك محبتك وقال علقمة :
 فولى على آثارهم محاص وعينه شؤون من شد منب
 فأدر كهن ثانيا من عنائه يمر كمر الزانج المتحلب
 فلم يصرب فرسه ليسوط ولم يمره ساق ولم يتعه برحر فقال ابن عائشة :

جملت فذلك، أتأدين أن أحدث، قالت: هيه! قل: أي تروح ثم حمدت حين
هرب من سدس ماء الله. فأتى حلي صي. وكان مفركا بيننا هو معها ذات ليلة
إذ قالت له: فم يحير اعتييل فقد أصبح، ويريق، فكررت عليه فقدم فوجد
أهجر م بطبع فرجع فقال لها: ما حدثتني ما سمعت، فأمسكت وألح عليها وقالت
حلي أنت تقيل أصدر حميف المحرر سريع الأمانة بطي. إلا فاقة فمرف تصديق
قولها وسكت بها أصبح في علمه وهو في حيمته وحلمه أم حمدت فتداكروا
الشعر فقال امروء القيس: أنا شعر منك وقل علمه مثل ذات فتداكروا
حمدت ومحمد أم حمدت علمه على امرئ القيس فقال لها: بهم قصته علي قالت:
فرس عبدة أجود من فرسك زجرت وضربت وحركت ساقيك وابن عبدة
حامد لا مقتدر، فمضت من قولها وطلبها وحلم علمه فقات حميلة: ما أحسن
مجلس لو دم اجتماع، ثم دعت بالمداء فأتى بالوان الأنطمة وأنواع من المأكلة ثم
قالت: لو لا شدة مجلسنا لكان الشرب ممدداً ولكن نيل سبيلهم رالوا يومهم ذلك
بأطيب مجلس وأحسن حدث فمأخضهم الليل دعت بالشراب ودعت لكل رجل
بعود وأحدث في عوداً فضربت ثم قالت اضربوا فاضربوا عليها اضرب واحد وغنت
شعر امرئ القيس:

أذكرت نفسك مالن يمودا	فمج التذكير قد عميدا
تذكرت هنداً وترها	وتم كبت لها مستقيدا
وبعدك ليو وسمعات	فأصبح زومعهم صدود
ونادمت قيس في ملكه	فأوحى وركب نربدا

فأسمع السامعون بشئ أحسن من ذلك ثم قالت: نعمو جميعاً مدحوا واحداً
فدعوه عند الشعر والصوت بعينه كما غنته وعم أقوم ما أردت هه الشعر فقال
بن عائشة: حمدت فذلك، رجو أن بدوم مجلسنا ويؤثر مدحنا بتمام بادية
فواسمهم من كل ما علكه قل أبو غاد: وكيف بدلت فأنوا لا نعم ليلة وحسنها.

فأما طهرت بنصيب و فر من ثقة في لأدب و غشاء حتى كانت حكمة في
هذين الأمرين ، تعقد لهم المحاسن ثم يحصر في هذه المحاسن أغني . فيتعدي اليوم
بأنواع من الأنظمة الخارة و ماردة ومن المأكبة لارطة واليسنة ثم يدعي بأنواع
الاشربة و حسدا أن تعرف طبة الشعراء الذين كانوا يحصرون هذه المحاسن أمثال
من أبي عنتوم و من أبي ربيعة و لأخوص و حرر و غير ذلك و كثير و جميل و نصيب
من الشعراء أمثال ابن مريح و معد و مسجح و من عائشة و ابن محرز و غريص
أمن الغنمين .

وفي أخبار جميلة أكثر من هذه المحاسن ، ولا عراة في ذلك فقد كان معد
يقول (١) : أصل أسماء جميلة وورعه نحن ، وولا جميلة . لكن نحن معيين .

واسما نستطيع أن نتصور حرية المرأة في تلك المصور المعينة لا إذا حصرنا
محدسا من تلك الجنس قريبا كيف كانت دور حمية بعض . كيف كانت
الحواري يقمن على رؤوسهم سجاديل والبروج الكبريين كل امرأة مقر حرة
روح و كيف كانت حمية رقص و رقص معد و غريص و من عائشة و ملك و في
يد كل واحد منهم عود يصرف به على صيرت حمية و رقص ، و كيف كانت حمية في
بعض المجالس تجعل على رؤوس حوارها شعورا مسدلة كما يفيد إلى تخارهن
وتدبهن الثياب المصممة و تضع فوق شعورهن زينة و زين نوع الحلي .

لاستطيع أن نتصور هذه حرية لا إذا رجع كل واحد منا إلى هذه الأخبار
وقرأها وتذكرها ثم استقبط منها ما شاء أن يستقبط فإذا فعل هذا قال في نفسه :
ألفت المرأة من الحرية في تلك المصور مبعأ أقل من مبلغ المرأة في عصرنا هذا .
هذا يسير من الشواهد على اجتماع النساء إلى الرجال في حال السور و حجاب
وعلى ثقافتهن ، وإذا أحببت أن تصف تلك المحاسن فهي أحلى إلى ط استعمالها

أبو الفرج في وصف شعر بن المعتز ، قال في خلال هذا الوصف (١) : ليس عليه أن
تشبه محمول خاهية ، فليس يمكن واحداً مصوح في مجلس شكل طريف ، بين
ندامي ودين ، وعلى مبددين من أمور والمفسح والمحسن ومنصود من مثل ذلك
إلى غير ما ذكرته من حسن المجالس وافر العرش ومختار الآلات ورقة الخدم أن
يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبط الرقيق الخ ...

✱ — فإذا أردنا أن تصور مجلس الرجال والنساء في تلك المصور ، وخاصة في عصر
بي العباس فهذه المارة تصورها لما واحتج المدامى واقفين فيها أكبر دليل على
حرية المرأة .

إذا رجعنا إلى أخبار الأنبياء في هذا المعنى نجد في بعض مواطن هذا المعط :
وكان مجلساً عاماً ، فاستطاع من هذا أن المجلس العام يشبه ما سمع في عصرنا هذا :
حفلة عامة ، مثل حملة ثم كانوا في غيرها . ويشهد مجلساً من هذه المجالس العامة .
كان الأخوص (٢) ممجداً بحملة ، ولم يكن يكاد يقارن مرطبا إذا جلست
فصار إليه يوماً غلام جميل الوجه ، ينش من رآه فشغل أهل المجلس ، وذهبت
للحون عن حوارى وحلطن في عداثهن ، فأشارت حملة إلى الأخوص أن يخرج
الغلام ، فأقبل قد عمى بحسبي وقصد عني تمرى ، فأبى الأخوص وتناول ، وكان
بالغلام ممجداً ، فأثر لديه ، فطرد إلى الغلام مع جمع ، ونظر الغلام إلى الوجوه
الحسان من حوارى وطرطن إليه وكان مجلساً عاماً ، فلم حاف عاقبة المجلس وظهور
أمره فمرت مص من حصر بأحراج الغلام ، فأخرج وعصب الأخوص وخرج
مع الغلام ولم يغفل شيئاً ، فحمد أهل المجلس ما كان من حملة وكان لها نصيبه :
هذا كان الطلث ، أكرم من الله ، فقام : انه والله ما ستأديني في الهي به ولا

(١) الجزء ٩ الصفحة ١٣٤

(٢) الجزء ٧ الصفحة ١٣٩

عشت به حتى رأيت في دري ولا ريب له وحياً قبل ذلك . والله أعلم علي نصب
الأحوص ولكن الحق أولى ، وكان ينبغي له أن لا تعرض نفسه وياي لما
نكره مثله ...

وإذا أحببت أن تفتش عن نموذج من امرأة تلك الأحقاب ، إذا أحببت
أن تفتش عن نموذج من امرأة تلك العصور التي كانت تمتع بحريتها وحر
تتبع واكمله فلا أحد هذا النموذج إلا في سكية بنت الحسين ، فقد كانت عميلة
ساعة ، بريرة من النساء ، نحاس الأكلة من قريش وجمعت إليها الشعر . وكانت
طريفة مرة (١) .

ولم من تأثيرها في عصرها أنها كانت تحسن الناس شعراً وكانت تصنعهم
تصنيعاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك وكانت بنت الحجة تسمى السكينة وكان
عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً يصفى جمته السكينة حلقه وحلقه .

ومن محاسن العامة ما رويته أبو الفرج (٢) فقد اجتمع ابن سريج والفريص
ومعد وذاكروا أمر حنين الحبري وقالوا : ما في الدنيا أهل صناعة شر من ، لما
أح ، مراى ونحن الحجار لا روره ولا سريه فكشوا إليه ووجهوا له نفقة وكتبوا
يقولون : نحن ثلاثة وأب واحد ، فأب أولى روره وشخص بهم فلما كانت
على مرحلة من المدينة نفقه خبره فخرجوا ينفقونه ، قد ر يوم كان كثير حشراً
ولا جمعاً من يومئذ ، ودحوا فها صاروا في بعض الطريق قال لهم معد : صبروا
إلي ، فقال له ابن سريج : إن كان لك من أشرف وليرود مثل ما مولاي سكية
بنت الحسين نطفنا ليت ، فقال : مالي من ديت نبي ، وعدلو إلى منزل سكية وما
دحلوا إليها ذنب لباس دماً عام فمصبب الدرهم وصعدوا فوق اسطح ومرب
لهم بالاطعمة فأكوا مهانهم سألوا حنينا أن يعينهم صوبه الذي توله :

(١) خبر ١٥٩ صفحة ١٥٩

(٢) خبر ٢٠٠ صفحة ١٢٢

هلاً بيكيت على الشباب الزاهب .

فقدم إياه بعد أن قال لهم : ابدؤا أنتم ، وقالوا : ما كما استقدمت ولا يبقى
قبلت حتى نسمع هذا الصوت ، فمما هم إياه وكان من أحسن الناس صوتاً فلزدهم
الناس على السطح وكثروا يسمونه فسقط الروح على من تحته فسلموا جميعاً
وأخرجوا أنجى ومات حين تحت الهدم فقات سكينة عليها السلام : لقد كدّر
عليها حين سرور ، انتظر مدة طويلة ، كأننا والله كنا نسوقه إلى منيته .



ومن مزح سكينة^(١) أن سليمان بن عبد الملك حج وهو خليفة فاستأذن ربه
أن يمر بـ بن عثان بن عفان روحه سكينة ونعمها لها أول سنة حج فيها الخليفة
وأنه لا يمكنه التحلف عن الحج معه وكانت تريد ضيعة يقال لها المرحج وكانت له
في حوار فاعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعب معه فيكون عيلاً لها عليه ،
وماء له من العدول إلى المرحج ومن اتحاد جارية له معه ، ففعل بذلك وأخرج أشعب
معه ولما انصرف سليمان من حجته انصرف روح سكينة يريد المدينة ، ودعا أشعب
في الطريق فأخبره وصرصره فيها أرملة دينار أوهمها له حتى يأذن له في السير
إلى صبيته فأخذها أشعب وأذن له في السير إلى حيث يحب وحام له أنه سيحلف
سكينة بالأيمان للمرحجة أنه ماض إلى صبيته ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة
إلى أن يرجع إليها .

هذا مدح خير وقد تصرف فيه بعض التصرف ، فلما رجع يريد إلى مدينة
سألت سكينة أشعب عن خبره ، قال أشعب : لأنه :
فأخبرته ، أي لم أكر عليه شيئاً ولم ~~مككته~~ من انتجاع حارية ولم أطلق له
الاختيار بالمرحج ، فاستحلفتني على ذلك ، فلما جئت لها بالأيمان المرحجة ، فيها

طلاق أمك ، وثب (يعني ريداً) موقف بين يديها وقال : والله يا رب رسول الله ،
لقد كذبك الملج ، أقمت بها يوماً وإية وعسب بها من عدة حوارى وها أنا ثابت
إلى الله ، كان معي وقد جعلت نوبتي منى ، وفقدت في حرمي إليك وهن موافيات
المدينة في عشية هذا اليوم ، فيمضين وعتقن إليك ، وأنت أعز بما رس في بعد
السوء ، فأمرتني بإحضار الأربعمائة دينار فحصرتها ، أمرت بانيق حشب اثنتائة
دينار وأليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة غير ما تأمر به ثم أمرت بأن
يحدب من عود وجعلت النفقة عليه من أجر الحارين من المائة الناقية ، ثم أمرت
بانيق بيض وثب ويسر جين بما بقي من المائة المديسار بعد أحرة النجارين ثم
أدخلتني والبيض واليس والسر حين في البيت وحلفت بحق حدها لا أخرج من ذلك
البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إلى أن يفسد ففعلت ذلك ولم أر أحصه
حتى فقس كله ، فخرج الفرائج ورمت في دار سكبكية وكأب تسهم وتقول :

بنات أشعب .

ولم من حرية امرأة في مصر لأحبان ثم كآب تشرب ولا حرج عنها
حتى في عصر بي أمية ، فقد كآب ثم حكيم الكروج عشتم بين عدد الملك مهومة
باشرب ، مدممة عيه ، لانكاد هارقه ، وكآبها الذي كآب تشرب فيه مشهور
عند الناس في زمن بي أماس وهو في حرم من أحله منهم وفيه قول الويد من رند :

عذابي به نعت الكروم	وسقوني نكاش ثم حكيم
ما تشرب ابدامة صرفاً	في ما من الرجاء عظيم
حنبوني أداة كل شيء	أله ما عصب شر بديم
ثم ان كان في الندامى كربه	فأذيقوه بعض مس

لَيْتَ حَظِّي مِنَ النَّعَاءِ سَلِيمِي أَنْ سَلَمِي مُجَنِّتِي وَنَعِيمِي
فَدْعُونِي مِنَ الْمَسْلَامَةِ فِيهَا أَنْ مِنْ لَامِي لَغِيرِ رَحِيمِي

فيقال ان الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم: أو تعلين مادكره الوليد،
فقات: أو تصدق انعاسق في شيء فتصدق في هذا، قال: لا، فقات: فهو كبعض كذبه.
وهذا وصف كأس أم حكيم (٢)

قال إسماعيل بن مجمع: كما تخرج ماني حزان المأمون من الذهب والفضة
وركي عنه، فكان فيما بركتي عنه قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون
مثقالاً، قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس
كبير من رجاج أحمر، مقبضه من ذهب هكذا ذكر إسماعيل، ووصفه آخر
فقال: «أخرج المقعد ماني الخراش ليبيع في أيام ظهور الناحم بالمصرة أخرج
إبي كأس مدور على هيئة القحف بسم ثلاثة أرباط، بقشور زينة فوجدت من
حصول مثله في خزانة مع حساسته، فسألنا الخارن عنه فقال: هذا كأس أم
حكيم فرددناه إلى الخزانة وعمل لذهب لذي كان عليه حذمه حينئذ ثم أخرج
ليباع، قال محمد بن موسى: وذكر لي عبيد الله بن محمد عن أبي لاضر قال: ك
مع محمد بن الحبيد الختلي أيام الرشيد فشرب ذات ليلة فكان صوته:

عَلَّانِي بِعَاتِقَاتِ الْكُرُومِ وَاسْقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ

فلما رل يهرجه وبشرب عليه حتى السحر، فوافاه كتاب حليقته في دار الرشيد ن
الخليفة على الركوب، وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ومن يقفه دأبته، فقال
ويحكم كيف نعمل و رشيد لا نقل إلى عدرأ ونا سكران، فقالوا: لا بد من
الركوب، فركب على تلك الحال، فلما قدم إلى الرشيد دأبته قال له: يا محمد:
ما هذه الحال التي أراك عليها، قال: لم أعبر برئي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت

ليلي أجمع ، قال : فما كان صوتك ، فأخبره ، فقال له : عد إلى نزلك ، لا يصل إليك ،
فرجع إلينا وخبرنا بما جرى ، وقال : حذوا بنا في شأننا ، حسنا على سطح فلما
متع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد قبل اليك على بردون في يده شيء
مفطى بمديل ، قد كاد نال الأرض ، فصعد اليك وقال : يا محمد : أمير المؤمنين
يقرا عليك السلام ويقول لك : قد بعثنا إليك كأس أم حكيم لتشرب فيه وبألف
دينار تنفقها في صوحتك ، فقام محمد ، فأخذ الكأس من الخادم وقتلها وصب
فيها ثلاثة رطل وشربها قائما وسقانا مثل ذلك وذهب لخدم مائتي دينار وعسل
الكأس وردها إلى موصم وحمل عرق عينا تلك الدايير حتى بقي معه أقدما .
لقد شغل كأس أم حكيم أودنا ونارحما بعض الشيء ، ولكنما لم ننهم به ، لا
بقدر ما فيه إشارة إلى حرية المرأة في الشرب .

الحريات

ثم يتعقب أبو الفرج في كتاب لأعالي حرية مرتبة وحدها ، وإنما يقع أحبار
الحريات كلها ، فقد تدمج أحبار حرية الكلام في مقامات الحق . وحرية الرأي وحرية
المعتقد وحرية القضاء وحرية تربية ، وهذا وارء بين تلك الأنواع من الحرية وبين
الأنواع التي رآها في عصره ، هذا وحده أن عصوره الماضية قد وصلت في كثير
من الأحيان إلى حرية لا تقل عن حرية عريق الأمم ، وما كما لمعرف هذا
كله لولا لأحبار في رواها ، أبو الفرج في هذا المعنى ، ونظر أن ضرب الأمثال
لذلك أنطق دليل على ما أقول .

فلندخل قصور الخلفاء ، ونشهد مقامات الأمراء . وميل حتى يرى أثر هذه
الحرية التي نعم الناس بها في ظلالهم .

قال أبو الفرج (١) :

حدثني أحمد بن عبد العزيز الخواري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني
أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال : حج معاوية مخنثين في خلافة ، وكانت له
ثلاثون نفلة يحج عليها نسائه وحواريه ، قال : حج في أحدهما فرأى شخصاً يصلي
في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان ، فقال : من هذا ، قلوا : شعبة بن عريض
وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعو ، فدنا رسوله وقال : أحب أمير المؤمنين
قال : وأيسر قدماء أمير المؤمنين ، قيل : فأحب معاوية ، فدنا : فلم يسلم عليه
بالخلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت رصت التي بنباء ، قال : يكسى فيها العاري ويرد
فضلها على الحار ، قال : أفنتبعها ، قال : نعم ، قال : بك ، قال : يستين ألف دينار

ولولا حلة أصابت الحبي لم ألبس ، قال : لقد تعليت ، قال : أما لو كانت ببعض أصحابك
لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبال ، قال : أجل ، وأذا بخلت بأرضك فأشدي
شعر أهلك يرثي نفسه ، فقال : قال أبي :

باليث شعري حين أئدب هالكاً	مدا تؤتمني به نواحي
أيقظن : لا تبعد قرب كرهية	ورحمتها مشارة وسمح
ولقد ضربت بفضل مالي حقه	عند الشتاء وهداة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم	ولقد رددت الحق غير ملاح
ودا دعيت لصصة سهدم	دعني مالمح مرة ونحاح

فقال : أنا كنت بهذا الشعر أولى من أهلك ، قال : كذبت ، ولو كنت ، قال :
أما كذبت فنعم ، وأما لو كنت ، فلم ، قال : لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية ومنته
في الإسلام ، أما في الجاهلية فكانت أمتي صلى الله عليه وسلم والوحي حتى حمل
الله كيدك المردود ، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخلافة وما أنت وهي ، وأنت طين من طين ، فقال معاوية : قد حرق الشيخ ،
فأقيموه ، فأخذ بيده فأقيم .



لست أعرف حرية في مقام الخلفاء مثل هذه الحرية ، لقد عرض صاحبها هوى
معاوية في أصحابه فكانه طعن على نزاهة مذهبه ، ثم عرض بانحرافه عن الحق في
سياسته ولم يبال معاوية بكل ذلك ، وإنما اكتفى بتهمة الشيخ «الحرف» وما نطق
بشئ أحداً يستطيع أن يجابه الرؤساء في يومنا هذا بما جابهوا به معاوية وهو
أمير المؤمنين .

ولقد جاوزوا في مقام معاوية الحد في هذه الحرية فخرجوا عن التعريض به
إلى التشبيب بيقته ، قال أبو الفرج (١) :

(١) الجزء ١٤ الصفحة ١١٧

أحمر بن أحمد بن عبد العزيز الخوهرى وحبیب بن نصر الملهي قالا : حدثنا
عمر بن شبة قال : حدثنا يحيى الزبيري قال : حدثني ابن أبي رزيق قال : تشب
عبد الرحمن بن حسان برملة بنت مبركة فبلغ ذلك ربه بن معاوية فغضب ودخل
على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ! ألا ترى إلى هذا العيلج من أهل يثرب يتم
بأعراسنا ويشب بفسائنا فقال : من هو ، قال : عبد الرحمن بن حسان ، فأشده
ماقل ، فقال : يريد ! ليس العقوبة من أحد فخرج منها مذوي المقدرة ، ولكن
مهل حتى يقدم وفد الأنصار ، ثم ذكرني به ، فلما قدموا ذكره به ، فها
دخلوا قال : عبد الرحمن ! لم يلعني بك تشب برملة بنت مبركة ، مؤمنين قال : بلى ،
ولو علمت أن أحدنا شرفنا لشعري بها لذكرته قال : فليس أب عن أحب
هدد ، قال : وإن لها لأحدا يقال لها هدد ، قال نعم . وإنما أراد معاوية أن يشب
بها جميعاً فيكذب نفسه ، والغضب نعمة .

وقد تناول أمر هذه الحرية من بعد معاوية فاستمرت في خلافة بني أمية وبني
العباس زمناً طويلاً . وأنا ذاكر منها أخطاء مختلفة .

قال أبو الفرج (٢) :

أحمر بن الأحمش عن محمد بن الحسن بن حرون قال : حدثنا السكري عن
الأصمعي قال : قال عبد الملك للأقبطن : أشدني أيمانك في الحر فأشده :

ترب العدى من دوسها وهي دونه لوحه أحبها في الاداء قطوب
كفيت ادا فضت وفي الكاس وردة لها في عظام الشارين ديب
فقال له : حسبنا بما معص : ولقد حدثت وصفا واطدك قد شربتها ، فقال
والله يا أمير المؤمنين انه ليريني منك معرفتك بهذا ،
ومنها قال أبو الفرج (٢)

خبرني عمي عن الكركاني عن دماض بن أبي عبيدة قال ، قال رجل لأبي عمرو : يا نوحاً الأخطل ، نصراني كافر بهجوا المسلمين ، فقال أبو عمرو ، يا كعب ، قد كان الأخطل يحيى وعنده حبة حار وحرر حر ، في عنقه سلسلة ذهب ، فيها صليب ذهب ، تنقص خيته حمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مران بغير إذن ؛ ففي هذا الخبر ما يدل على مسامحة الخلفاء في استئصال أهل الذمة في صورهم على الحال التي سمعنا وصفها .

وقد كان للأخطل خاصة دنة على حذاء أبي عبيدة ومراثي لأبراهم خبره . فقد دخل على عبد الملك ابن مران (١) ، فاستشده فقال : قد كنت حامي ثمر من يسقي ! فقال : اسقوه ماء ، فقال : شرب ثمر وهو عند كثير ، قال : فاسقوه نساء ، قال : عن اللبن فطمت ، قال : فاسقوه عسلاً ، قال : شرب لبن رقص ، قال : فترده ماذا ، قال : حمراً ، أو مبيعاً ! قال : أو عهدي سقي حمراً ، لأنك لا تاحر منك ، فاعمل لك وقعت ، فخرج فبقي فرشاً بعد الملك ، فقال : وذاك ، ان ثمر يؤمر من استشدي ، وقد جعل صوتي فاسقي شربة حمراً فسقاه ، قال : عاله تاحر فسقاه آخر ، فقال : تركتها يمتزكان في بطي ، اسقي ثاماً فسقاه ثاماً ، فقال : رخصي أمشي على واحدة ، أعدل مبلي ربع ، فسقاه راحة ، ودخل على عبد الملك فاشد : خف القطاين فراحوا ميث واستكروا وأرجموه نوى في صرورها عـ بر فقال عبد الملك : حد بيده بعلام فاحرقه . ثم في عليه من جمع ما غمره وتحسن حنونه وقال : يا كعب قوم شاعراً وإن شاعري ثمية الأخطل .

وأذا نعم الأخطل بهذه الدانة وهو في حصيرة ثمر يؤمر من عبد الملك بن مروان فاحرقه بن ثمرها وهو في حصيرة ثمر بن مروان (٢) فقد دخل على ثمر بن مروان وعنده اراعي فقال له ثمر : أنت شاعر هذا ، قال : يا شاعر منه

(١) الجزء ١ ، الصفحة ١٦١

(٢) الجزء ٧ ، الصفحة ١٦٧

وكرم، فقال للرئيسي ما تقول، قال: أما أشعر مي فسي، ومما كرم، فإن كان في مهابه من ولدت مثل الأمير فعم، ولما حرج الأخطال قال له رجل: أتقول لحال الأمير أنا كرم مد، قل: ويدك: أنت أنا بطوس وضع في رشي أككوساً ثلاثاً، فوالله ما أعقل معها.

أورنا كيف كان الأخطال يدخل على الخلفاء والأمراء وهو سكران، ثم به احرم فلا يجدون بأساً بذلك وهذا على ما اعتقد منتهى الحرية.

والظاهر أن أت. مروان من أحدهما والأمراء كانوا يذوقون الحرية ويقدروها حق قدرها فلماذا كانوا يحتملون مطاهاها ويصبرون على مرارتها وما يجد في أحوار نصيب^(١) في قدومه مصر وسها عبد العزيز بن مروان حراً يقول في أصعابه نصيب مايلي: فدخلت على عبد العزيز فسلمت، فقصته في بصره ووصوب، ثم قال: أنت شاعر ويدك، قلت: نعم، أيها الأمير، قل: فأنشدي، فأنشده، فأعجبه شعري وحاء الخاحب فقال: أيها الأمير، هذا يمين بن حرمه لأنشدي بالباب، قال: ائذن له، فدخل، فاطمئن، فقال له الأمير: يا يمين بن حرم كم ترى ثمن هذا بعد، فطار إلى وقال: والله لعم الفادي في ثمر الخدس هذا، أيها الأمير، رى ثمنه مائة دينار، قل: فإن له شعراً وفصاحة، فقال لي أيمن: أقول الشعر قلت: نعم قال: قيمته ثلاثون ديناراً، قل: يا يمين أرفعه وتخفذه أنت، قال لكونه أحق أيها الأمير، ما لحد ولشعر، مثل هذا يقول الشعر، أو يحسن شعراً، فقال: أنشده يا نصيب فأنشده، فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا يمين، قل: شعر أسود، هو أشعر أهل حلدته قل: هو والله أشعر منك، قال فمي أيها الأمير، قال أي والله، منك قال: والله أيها الأمير إنك تقول، طرف، قل: كذب والله، ما كذبت ولو كنت كذلك ما صبرت عليه نذاري النجبة وتوآكل الطعام وتسكن على وسائدي وفروشي وبت مايت، يعني وضحاً كان يا يمين، قل ائذن لي، أخرج إلى درهما راق واحملي

من أهل الشام ، فقال هشام : ن هذا الأمر امطر الكافر لعمرك ونعمة ثيك
واحوتك بذكره بأسوأ حال ، فقال : ماذا يقول ، الأحمول ، قل : لا والله ، ولكن
ما شقته الشيطان ول ، ففعله قل : من سخطه ، فأتممت الشامي ، وقال : قد بلغني
كل ذلك عنه .

وبلغ من أمر الحرية في زمن هشام بن عبد الملك أن سعد خالد القسري عامه
على البحر في سر (١) ففر : الى كة يغلب باطل حاكم ، فما أن لركم أن يعصب لركم
وكان رديقه ، أمه نصرانية ، فكان يوتلي النصارى والمجوس على المؤمنين ويأمرهم
بمنازلهم وصرهم وكان أهل لدمه يشهدون اخوري المدينت وبطونهم ، ويطلق
لهم ذلك ولا يقتير عليهم .

والظاهر أن هشام سر على هذا كله ولم حرله عن امرأ الا بعد أن بلغه أنه
قل : ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام (٢) .

وود كان محتمل اخرية حتى يحضره من الأمر ، مثل إرهم بن هشام وهو
حال هشام بن عبد الملك فقد قال أبو الفرج بعد الأسافيد (٣) :

كان إبراهيم بن هشام جباراً وكان يقيم بلا أدن اذا كان على المدينة الأشهر
فأرسل اليه أسافيد الشاعر فيشد قصيده مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدة
مديح لأرهم بن هشام فأذن له يوماً وكان الشاعر الذي دن له معهم نصيب وعليه
حبه وثي فاستأذنه في الانشاد فأذن له فأشده قصيدة لهشام بن عبد الملك ثم قطعها
وأشده قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام وقصيدة هشام شعر فأرد الأسافيد مدحاً
نصيبه وها أحسن هذا يا أبا محجن ! أعد هذا البيت ، فقال إبراهيم : أكثرتم

(١) الجزء ١٩ الصفحة ٥٩

(٢) الجزء ١٩ الصفحة ٦٠

(٣) الجزء ٦ الصفحة ١٥٨

انه شاعر وشعر منه الذي يقول في س الأورق :

ان نؤس من ممتة في بحر ان ممتة لا يس من ايمن المعروف والحدود
مارات في دوعات احير تفعلها ما اعترى الناس لأواء ومجود
وحمي نصيب ، وهل : انه والله ما يصع المديح الا على قدر ارجال ، كما يكون
الرجل يمدح ، فعم الناس المصداك وحلم عنه ، وويل الخاحب : ارتفعوا ، فلما صاروا
في السفينة صحكوا وقالوا : أرئيه مثل شجاعة هذا الأسود على هذا الحار ،
وحلم من غير حيل .

وقد استمر الناس في استعمال الخربة في مقام احكام على راس في أمية وقال
أبو الفرج (١) حبرني الحسن بن عبي قال : حدثنا ابن مبرور قال : حدثنا عبد الله
ابن عمرو قال : قال الهيثم ، حدثني ابن عباس قال : دخل ابن الأفرع على ابي عبد
ان ربه وقال له : أشدني قولك في الخبر ، فأشده قوله :

كفيت اذا شجحت وفي كائن ورده لها في عظام الشاربين دبت
ربك القدي من دوسها وهي دونه لوجه نجسها في الاماء فطوب
وقل الوايد : شربنا بن الأفرع ، ورب كعبه ، فحدثنا ابن مبرور عن ابن
كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك .

فأشاعر تصع نفسه في هذا الموضع الخليفة نفسه ، فيجده صك
يخطب النظراء .

وسمع من خبره في مص مصور أن الأمر كانوا يحرصون على إصباح
الناس ، وهذا أقوى دليل على الصلة الوثيقة بين الوالي وبين الرعية في تلك الأيام
من ذلك ما رواه أبو الفرج (٢) قال :

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الخليل بن أسعد قال : حدثنا ابن

(١) الجزء ٦ الصفحة ١٢٣

(٢) الجزء ١ الصفحة ١٢٩

سعد قال : حدثني عبد الله بن صالح بن مسعود قال : حدثنا كليب بن إسماعيل ، مولى بني أمية وكان حدثاً ، في حسن الحديث قال :

بمعنى أن سعد ، كان حشياً ، رعى إبله لوالديه فأخذ منها ميراً فخرج في طلبه حتى أتى القسطنطينية ، ذلك عند العزيز بن مروان ، وهو ولي عهد عبد الملك بن مروان فقال لصيب ، ما عندك من خبر ، فحدثني عن الحجاج ، فقال : استأذن لي على الأمير فلي قد عرفت له مديناً ، ودخل الحجاج وقال : صدق الله الأمير ، وأرجو أن تستأذن عديت عديج ودهيئة بنت ، فعرض عبد العزيز أنه ممن سهرته وبصحبكم فقال : مره بالحضور اليوم حاجتنا إليه ، فعدا لصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر وأثناء آت من عبد الملك فسرته فأمر بالسرر فأمر بالأسر ، وقال : عبي بالأسود وهو يريد أن يصحب منه الناس إلى آخره ، فحدثني من الحيرة في بني أمية ، فحدثني عن الحيرة في الاستقالة على خلفاء والظعن على نزاهتهم والخط من مقادير سياستهم والتشبيب بفتاتهم كما تجللت في سمة صدورهم وسماع ما بكرهم وبفضيلهم وبكبرهم .

وإذا أخذونا من عصر بني أمية إلى عصر بني العباس وجدنا آثاراً كثيرة من الحيرة حتى في معتقدات ولا معتقدات ما قد صارت .

أما تعرف ما وصفت إليه عبد الله بن أمية وبني العباس وعلى رعيه من شدة هذه الحيرة وقد سمع حذيفة بن أسيد بن مسعود لا شطط في سب بني أمية في محاسنه ولا يصح في كلامه من أنهم ليسوا بمتعمدين من الحيرة في الدواعي عنهم مالا ينتظر حمل مثله من قبل سعد ، قال أبو هريرة (١) :

وقال أبو هريرة : ذكر إسماعيل بن عبد الله بن أمية عن أبي العباس سعد في ذلك في حديثه مدحهم وسبهم وقل له حماس شمر مولى عثمان بن عفان بن أمية بن أبي سفيان عن عثمان بن عفان وهو واحد إجماع هو والحيرة في سب ، إن

بي أمية لحك ودمك فكلهم ولا تؤكلم ، فقال له : صدوت ، وتمت إسماعيل
فلم يجر جواباً .

وقد بلغ من حرية الناس في مقام الخلقاء في بعض الأحيات أنهم كانوا
يستخفون بالمقدسات ، قال أبو الفرج (١) :

أخبرني الحرابي بن أبي أعلاء قال : حدثني الربيع بن الكار قال : حدثني جعفر
ابن الحسين المهدي قال : كان أبو جعفر السعدي قد أمر أصحابه بلبس الأسود فلا يلبس
طوال تدعى بعيدان من دحل ، وأن يعقبوا السيوف في أساطل وكتبوا على ظهورهم
فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ، ودخل عليه أبو دلامة في هذا لري ، فقال
له أبو جعفر : ما حالك قال : شرب طاب ، وحبني في نصبي ، وسبني في أسني ، وكتب
الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالأسود ثيابي ، فضجرت منه وأسماء وحده من ذلك
وقال له : إنك أن يسمع هذا منك أحد .

وقد تراخى شبه هذه الحرية في خلفاء بني العباس بحري في مقامهم مثل ما كان
بحري في مقام الخدماء من بني أمية ، قال أبو الفرج بعد الأسابيد (٢) :

أنشد عكاشة بن عبد الصمد المهدي قوله في الحر :

حرأ مثل دم الغزل وفاره
عند ما أحس بحال براره

وقال له المهدي : لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد نثرها ، وقد استجدها
بدلت الحد فقال : أيؤمسي أمير المؤمنين حتى تكلم بحجتي ، قل : قد أمتاك ،
قال : وما بدريك يا أمير المؤمنين في أحسنت وحدثت معها إن كتب لا تعرف ، وقال
له المهدي : أعزبت فحجت الله .

وأوصى لأمر بالشعر إلى حياء حياء وسكوت حياء عنهم ، من ذلك

(١) حر ٩ الصفحة ١١٥

(٢) حر ٣ الصفحة ٧٧

ماروه نو مريح في ثميه^(١) قول : حجري النصولي قال : حدثني عبد الله بن محمد
الحارثي عن ثمانية من أنس^(٢) قول النصولي : وحدثني عون بن محمد عن عبد الله بن
الحارثي عن الفضل بن ربيع ، قال : . . . قدم المأمون من حرسان ودار إلى بغداد فمر
بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروهم ، فذكر له جماعة فيهم
الحسين بن الصباح ، وكان من جلساء محمد الخلويع ، فقرأ أسماهم حتى بلغ إلى اسم
الحسين بن علي ، فجلس هو الذي يقول في محمد :

هلا نقبت سدا ففتنا ندأ وكاب لغيرك التالف
ولمعد حلف حلائقا سلخوا و - سوف يموذ بعدك الحلف

لا حاجة لي فيه والله لا راى ندأ إلا في الطريق ، ولم يلق الحسين على ما كان
من هجائه له وتعرضه به ، وول : وانحدر الحسين إلى النصرة فاقام بها طول
ثم انما هو .

وكما سكت المأمون عن الحسين بن الصباح فقد سككت عن دعبل قال
نو مريح^(٣) :

حجري علي بن سليمان الأحمش قال : حدثني محمد بن يزيد قال كان أبو
سميد الحارثي ومي . . . كان يستعني على دعبل في قول أمره وكان يدخل إلى المأمون ،
فدشده هجا ، دسده له ، لاجتماعه ، بحرصه عليه ، فمد عند المأمون ما أراد به ،
وكان يقول : حق في يدك . . . طر في يد عمر . . . و قول لك مكى وقيل ما يكده
فما تمثّل قال سب استعمله إلا فيمن عظم رده .

ومثل هذا مارواه أبو العريخ^(٤) عن سان في سميد الحارثي الذي قال :
أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله :

(١) الجزء ٦ الصفحة ١٦٦

(٢) الجزء ١٨ الصفحة ٥٤

(٣) الجزء ١٨ الصفحة ٥٥

ويسومي المؤمن حطة عاجر
و مرثي بالأمس رثس محمد
وأول قصيدتي :

شحد المشيب من الشباب الأعيد و دأسات من الأنام عرصد
ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أجيئك برأسه ، قال : لا ، هذا رجل
عجر عليه فأعرج عليه كما عجر عليه ، فأما قتله فلا حجة ، فلا .
و طس اتا إذا قشش عن مثل هذا الحربة في عصرنا هذا فلا نجدها إلا في
قبيل من الأمم ، هذا فصل في المرح في الاستعصاء في شهاد هذه الاحبار ونبتهم ،
ندما على سمة القول في تلك المصور ومسحة الصدور ولولاها لما عرفنا شيئاً عن
أخلاق الخلفاء والأمرء في هذا الباب وعن استعداد الناس لمهمتهم بعثت هذه
الطرز من الحربة ولم تقتصر أبو المرح على ذكر أحبار متحلة في هذا المعنى ، و بما
نوع الاحبار نوعاً حتى وقفنا على أعطاء كثيرة من الحربة وعلى صروب محتمة منها
وقد يشهر المؤمن بطلاق الحربة في عصره وكما أن صدره اتسع لهجاء الشعراء
له فكذلك اتسع عقله بمناصرات ، على الرغم من عصاه في هذه ساطرات في بعض
الاحيان قال أبو المرح (١) .

وذكر محمد بن المصلح الهشمي قال : حدثنا أبي قال : كان المؤمن قد طلق
لأصحابه الكلام و المظرة في مجلسه ، فتأظر بين يديه محمد بن العباس الصولي عليّ
ابن الهيثم حوا ، في إمامة فتقلدها ، أحدهم ودهمها لأحرف تحت المظرة يدها إلى أن
بسط محمد عينا فقال له عليّ : أما تكلم بلان عبرت ولو كنت في غير هذا المجلس
اسمعت أكثر مما قلت ، فمضت المؤمن وأكر على محمد . مقله وكانت منه من سوء
لأدب بحصرته ونهض عن مرشده وهض الخساء ، خرجوا وردد محمد الانصراف
ثمعه عليّ بن صالح صاحب المصلح وهو ادك بحجب المؤمن وقال : فعملت ما فعلت

بمحاصرة أمير المؤمنين وهمس على الخوارج التي رأت ثم تنصرف بغير إذن ، اجلس حتى يعرف ربه فيك ، ثم بان بحبس ، قال : ومكث مأمون ساعة خاض على سريره و أمر بالجلساء فرددوا اليه فدخل اليه عبي بن صالح فعرفه ما كان من قول عبي بن محمد في الانصراف وما كان من منعه إياه ، فقال : دعه ينصرف الى لعنة الله ، فانصرف ، وقال المأمون لخدمائه : يدرون أيم دحلت إلى النساء في هذا الوقت قتلوا : لا ، ول انه ما كان من أمر هذا الخاضع ما كان له آمن فذات الغضب وله بنا حرمة فدخلت النساء فماتت حتى سكن غضبي .

لا شك في أن هذا النوع من المظاهرات يدل على استعداد للحرية عظيم .
وقد دعت ماس حريته في مقام الخلقاء الى حريتهم في حضرة القواد والكتاب ومن ثم في هذه الطائفة فقد روى أبو الفرج عن لسان هرون بن سعدان بعد الأسانيد هذه الرواية (١) قال هرون :

كسب مع أبي نواس قريبا من دور بني محب دهر طابق وعنده حمعة لعل يمر به القواد والكتاب وهو هائم فيسهلون عليه وهو متكي ، بمدود الرحل لا يتحرك لأخدمهم حتى نظروا اليه قد قص رحليه ووثب ونام إلى شيخ قد قتل على حمار له فاعتسقا ناس نواس ووقف أبو نواس بحادثته ثم رل وقفاً به براوح دس رحليه يرفع رحلا ويضع أخرى ثم مضى الشيخ ورجع ابنا أبو نواس وهو يتأوه فقال له بعض من حصار : والله لأب شعر منه ، فقال : والله ما رأيت قط إلا طمعت انه سبه وأه أوص .



و كما استغصت حرية ماس في مقام رحل سياستهم فقد استغصت هذه الحرية في مقتدراتهم وقد ذكر أبو الفرج بعد الأسانيد عن لسان سعيد بن سلام انه قال (٢)

(١) جزء ٣ صفحة ١٥٦

(٢) جزء ٣ صفحة ٢٠

كان مصيره سنة من أصحاب الكاظم . عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء
 وشاذان الأعشى واصل بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجاء ورجل من
 الأزد . قال أبو أحمد ، يعني جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل لأردي
 ويختصمون عنده ، فلما عمرو واصل قصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم واصل
 فصحبنا التوبة ، وأما بشار فبقي متحيراً محطاً وأما الأزد فيقال لي قول السمتية
 وهو مذهب من مذهب الهند في طهره على ما كان عليه قبل : وكان عبد الكريم
 يفسد الأحداث ، فقال له عمرو بن عبيد : قد بلغني أنك تخلو بالأحداث من أحداثا
 وتفسدهم ويدخله في دسك فإن حارب من مصيره وإلا قتلت فيث مقاما آني فيه
 على نفسك فلحق بالكوفة ، فقتل عليه محمد بن سليمان وقتله وصلبه هـ .
 وبلغ من حرية الناس في بعض الأوقات هـ كانوا يستحقون عقوبات
 الأمور . قال أبو الفرج : (١)

أخبرني أحمد بن محمد بن رقب : حدثنا عمرو بن شنه قال : حدثني جيلاد
 لأروط قال : شاع شاذان في الناس أن حماد بن محمد كان يشد شعراً ورجل يراه
 بفرأ القرن وقد حتم عليه الناس ، فقال حماد : سلام حتموا ، فوافقه ، يقول حسن
 بيقول ، قال : وكان شاذان يقول : ما سمعت هذا من حماد مائة عليه .

وكان حسن يتصرفه رطباً لا يسهل ولا عسر من هذا لاستطراف
 فقد كان يحيى بن ربه يرمي بالمدونه وكان من خريف الناس ونظائهم فكان
 يعل تصرف من الرشد (٢)

ومتدت آفة هذا خربة إلى كثير من نواحي حيه فقد امتدت إلى مدور
 وإلى اقضاء ، إلى القمم ، .

وما في لدور من قصة إسحق بن إبراهيم الوصفي مع أبيه ، إبراهيم وابن جامع
 مشهورة فعدسالة توه إرهم عن ربه فيه وفي ابن جامع فقال إسحق لأبيه : ربناك

ولا شيء "كبر عدي منك ، قد صغرت عدي في الغناء حتى صرت كلاً شيء" (١)
ومن هذا القبيل ما رواه أحمد بن حمدون قال: (٢)
قال لي إسحق : من غناء "بي الذي" كبره وأسزربه صوته في شعر العباس
ابن الأحنف :

"بي ومثلي بكى من حب حربة لم يحرق الله لي في قلبها ليد
فما علم له فيه معنى إلا استجسسه لشعر فان العباس "حسن فيه جداً .
وود تكررت حربة إسحق في غداً أبيه حتى كان يغصبه في بعض الأحيان ،
قال أبو الفرج: (٣)

"حدثني الحسن بن علي وعمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال - حدثني
محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحق قال : لما صنع أبي لحنه في :
ليت همداً أنجزت ما تمم وشفت أنفسنا بما نجد

خاصيته وعفته في صنمته وقلت له : أما بازائك من ينقد أسماك ويمسح بحاساك
وأت لا يسكر ، يحي إلى صوت قد عمل فيه من سرج حدا ، فتمارسه بلحن لا تقارنه
والشعر أوسع من ذلك ، وسع ما قد اعتورته مساعه العدماء وحد في غيره ، فغضب
وكب لأثرال فأخبره بصغتي وأعيب ما بهاب من سمعته فان قل لي فذلك ، وإن
غضب داريته وترصيته ، فقال لي : ما بهم الله اني أدعت "وتفاخر لي بحبر صوت
صمته في الثفيل الثاني في طريقه هدا الصوت ، فلما رأيت الحدا منه احترت صغتي
في هدا اللحن :

ونأى عنك جانباً
ت وإن كنت لاعداً

قل لمن صد عاباً
قد تلفت الذي رد

(١) أخرجه ١ صفحة ٦

(٢) أخرجه ٥٠ صفحة ١٦

(٣) أخرجه ٥٠ صفحة ٢١

وكان ما يحوي به ويحس تنساب حار حار إلى الصخراء تقطع فضلة حماره ، فقال
من يحب أن يحكم بي وسك ، فقلت : من ترى أن يحكم ههنا ، قل : أول من يطلع
عليه لحي وتغيبه حدث ، فطمعت فيه وقت : نعم ، فأقبل شيخ بطاي يحمل شوكا على
حمار له فأقرب عليه أبي قل : بي وصاحي هذا قد راصبتك في شيء ، قال : وبي
شيء هو ، فقلنا : رعم كل واحد منا انه حسن عباد من صاحبه ، فتسمع بي ومنه
وتحكم ، فقال : على اسم الله . وقد بي معنى لانه ، ونسنته فقلت لحي ، فلما فرغت
أقبل علي وقال لي : قد حكمت عليك ، عاقل الله ومعنى فاطمي أبي دامة ما مر بي
مثلا منه قط ، وسكت ، فلما عدت عليه حرقه ولا راحته بعد ذلك في هذا المعنى
حتى افترقنا .

فهذا الطائر من الكلام يدل على شيء من الاستقلال وكأشهر كانوا في تربية
أولادهم يدربونهم على حرية الرأي والكلام وما شابه ذلك .

وكما امتدت حرية إلى الدور ومازل فقد امتدت إلى القضاء كما يدل على ذلك

الحبر الآتي (١)

قال أبو الفرج : حدثني حمزة قال : حدثني أبو حشيشة قال : كنت يوماً
عدد عمرو بن مائة درهم كان معه قطب عمرو في الدنيا كلب من بصرى عليه
فم محمد فحدثني له حمزة الطيال : انني عيشت اليوم على عود بصرى - به عليك
أي شيء لي بذلك قال : مائة درهم ودميجه بيد ، وكان حمزة حادقاً متقدماً بادر
بأدراك طيلاً يدل الهمة فعاد : سمعي بحج صوتك فعمل . وسوى عليه طيه كما يسوي
النور واتكأ عليه ركبته ووقع عليه ولم يزل عمرو ينفى بصرى يومه على إيقاعه لا يسكر
منه شيئاً حتى انقضى يومه ، ودفع إليه مائة درهم وأحضر لدميجه لا سكن له من
يحميها فحمد حمزة على عفه وعطاها بطيلسانه وانصرف . فلو حشيشة : حدثت
بهذا اسحق بن عمرو بن ربيع وكان صدق إبراهيم بن المهدي حدثني أن إبراهيم

ابن المهدي قال : يا جعفر ! حذق فلاة الحاربة ضرب الطلث مائة دينار أعجل لك
منها خمسين ، قال : نعم ، فمجلت له الخمسون فلما حذقت طالب إبراهيم بقعة مائة ثم
يعطه فاستعدى عليه أحمد بن أبي دؤاد الحسيني خليفته ، فأعده ، ووكل إبراهيم
وكيلاً فلما تقدموا العاصي مع لو كيد ز د الو كيد ن سكر حجة جعفر فقال :
أصلح الله القاضي ، سله : من أن له هذا الذي يدعي ، وما سده ، وقال جعفر :
أصبح لله القاضي ، أنا طيبال ، وشارطني إبراهيم على مائة دينار على أن أحذق حاربه
فلاة وعجل لي خمسين ديناراً ومعي الباقي بعد أن رضي حذقها فيحضر القاضي
الحربية وطبها وحضر طي وبسم القاضي ون كانت مني فعي لي عبيد ولا
حذقها فيه حتى رضي القاضي ، فقال له القاضي : قم عليك لعنة الله وعلى من يرضى
بذلك مذت ومها ، فأخذ الأسوان بيده فاقمده .

إن حراً مثل هذا خير يدياً على استعمال ما من حريته في القضاء على الرعم
من حرمة هذا القضاء ، فإذا كان كلام جعفر الطيبال صريحاً من لهرل فإن حرم
القاضي له دليل على سمة صدره وإذا كان هذا الكلام نوعاً من الخد وهذا دليل على
أن الناس كانوا أحراراً في مصافعاتهم .

ومن الأحاديث التي يدل على سمة صدور القضاء الحار لآبي ، قال أبو المرح (١) :
قال إسحق وحدثني الزبير أن دحمان شهد عند عبد الله بن المطالب بن
أحطط وهو بني القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل المراق شهادة
فأجارها وعدلها فقال له مراق : به دحمان ، قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه استأنت عنه
فقال : أنه يفتي ويعلم الخواري القناء قال : عمر الله لما ولت وأنا لا يفتي ، خرج
إلى الرجل عن حقوق دحمان !

ولم يتصف بسمة الصدر القضاء وحده ولكن كبار الفقهاء قد اتسمت صدورهم

مثل هذه لأشياء فقد كان لأبي حنيفة (١) حراً بالكوفة يعني فكان ذا خبر
وقد سكر يعني في عرقته وبسمع أبو حنيفة غداً فيمضيه وكان كثيراً ما يعني :

أضاعوني وأني في أضاعو يوم كرمته وسداد ثغر

وفيه العسس ليلة فأحدوه وحسن سعد أبو حنيفة حوته نيك الليلة فسأل عنه
من عداً حراً ، فدعا سواده وطويأته فدعى وركب إلى عيسى بن موسى فقال له :
إن لي حاراً أحده عسسك المارحة لحسن وما علمت منه إلا حراً ، فقال عيسى :
سلوه إلى أبي حنيفة كل من أخذته عسس المارحة ، فأطلقوه حميداً مع حرج الفتي
دعاه أبو حنيفة وقال له سرّاً : أنت كبت مني موسى كل ليلة :
أضاعوني وأني في أضاعوا .

وهذا نصيبك : قال : لا والله إنما تفصي ، ولكن تحسنت وكرمت ، حسن
الله حراؤك ، قال : وعد إلى ما كبت نفسي ، فبقي كبت آس به ولم أره نساء
قال : أفعل .

هذا مطهر من مظاهر العقول الكبيرة والعدور الواسعة في تصور أبي حنيفة
فقد تتجسّد في الفرج حارها وحقها ودورها ، تصور في تصاعيقها نوعاً من
الحياة ، لولا تصويره هذا لما رأينا في هذه الحياة الاظلمات بعضها فوق بعض .
ولكن إلى أي شيء نهب هذه الحرية كلها .

يبيع إبراهيم بن أبيدي (٢) بمداد وقد قل المال عنده وكان قد لحا إليه أعراب
من أعراب السواد وعزم من وعاد الناس فاحتسب عليهم إعطاء ، فحمل إبراهيم
يسوفهم ولا يرون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسوله يوماً وقد احتجموا وصحوا
فصرح لهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاه أهل مداد خرجوا إليه حقيقته ،
يعني لأهل هذا الجيب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون
عطاء لهم ، وأنشد دعبل بعد ذلك بأبد قواه :

(١) الجزء ١ الصفحة ١٥٩

(٢) الجزء ١٨ الصفحة ٤٣

يا ممشر الأجناد لا تنطوا	وارصوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تمطون حثيثية	يلتدها الأمر والاثمط
والمسدديت أفودكم	لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرى قواده	حايمة مصحفة العرط



الى هذا النوع من الاستخفاف بخلافة وصلت الحرية في آخر الأمر وهكذا
فان الحرية اذا جملت في غير مواضعها انقلت أسوأ منقلب .



العبودية في الدولتين

إلى حب هذه الحرب في تهدد ثقافة من مصادرها في فصل ، من نحو
شيئا من العبودية ، حتى "تمو كذا" في مصر ، وكما نسمع على هذه كسوة
تدري كان لا يتوان سبب اسبوعه في سبب مصر وعلى كل حال لا يتوان
عبود من عبود مصر ، وهذا في مصر مرة في تاريخها ، وحبس ،
نجد الحرية والعبودية في عصر واحد وقد يكون مصدره خليفة واحداً أو عاملاً
واحداً ، وإن كنا نرى سبب في هذا في مصر في عهد محمد علي لا نرى إليه
ولكني أرى أن السبب في هذا كله إنه مرده إلى عهد محمد علي في الدولة ، و
يكن للخلفاء مبادئ واحدة يننون على أصولها في السياسة ، فكان كل خليفة يسير
على خطة مطابقة لمراحله أو طوره ، وسيجد في هذا عهد محمد علي في عهد
يسكت عن جواب قس في يومه خليفة على حكمه ، وبعد محمد علي في سياسة كانت
تختلف مرهبا في الدولة ، خلاف عهد محمد علي ، أو عهد ، خليفة نجد عن
جواب عبطه أو عن تصرفات شبيهة ، خليفة محمد علي في عهد محمد علي .

والأمر ندي يكشف ، في تصور حرية وعبودية أن شعرا كانوا حرة
أداس على مقامات الخلفاء ، لا من "العلم" في عصر حرية ، وقد نجد في عصر
العبودية "كثير الناس هرصة لقمه أصحاب سلطان ، كما كان رسل حرية فكذلك
كانوا ضحاياها وسفيرة في عهد محمد علي إلى ما لا يوه في سبب ، على أن يرى أن
المحتاج وحده الذي يصر فيهم بقمة سبب لا يمكن أن يكون مصر من مصادرها
الحرية فقد كنت "أثر أن يحل في شعرك فقد رحب أصحابان محذو شعرك أو سبب
والتشبيب به أو ما شابه ذلك .

عمر بن سفيان بن ربيعة حنظل (١) حنظل لا يقبل إلا عتيقاً فمر به عمرو
ابن مفضل يسكر بامر من عبيط فقال سفيان : هذا محين ، فقال عمرو : الهجين
يعرف الهجين ، فبيع عمر رضي الله تعالى عنه قوله ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنك
تقتل لا تمير ما قلت وإياه يعني أن عبد ربيعة ، تسميه الحنظل صامتة وعندي سيف
الحنظل ، وكتبهم من وصفه بين بيت لا تقع حتى سلع فحدثت وكتب
إلى سليمان يلومه في حاله عنه .

لا نجد في هذا خبر شئت يدل على ضعف أو لا صبره وإنما نجد فيه سبق
لصدر من أجهل الخوالب هسية ، على أن لدي حنظل في غنمة خوات في هذا
العام ، هو عمرو بن عبد سكر ب ، ولم يكن على سفيان بن ربيعة حق ، ولكن
عمر بن الخطاب ليس من الذين يسامحون الناس في تطاولهم للسلطان .
وإذا لم يسامح عمرو بن مفضل يسكر ب بشدة ، فقد عومل ابن مفرغ هدية
الشدة وهذا خبره .

ذكر أبو امرئ خدر بن مفرغ (٢) وهو شاعر غزل محسن ، كان يهجو
ربما وولده ونشأ به فيهم رد البصرة ونشأ وتلقاهم ، وكتب عبد الله بن زياد إلى
معاوية وقال لأخرون أنه كتب لي يريد يقول له أن ابن مفرغ هازياداً وفي زياد
نه هتكة في بصره وفتح فيه يقول لدهر ، ونعمتني دوت إلى بني سفيان فقد وهبهم
وسب وده فرب من حرسن إلى البصرة ونشأته حتى أعطته الأرض فلجأ إلى
أشأم بمصنع خوفاً منها وهيباً منها وقد عشت بيتاً بها هجاناً به لتلتصق لنا
منه ثم بعث نعيم ما قلته من مفرغ بهم فأمر يرد قلعه فعمل يفتل من بلد إلى
بلد فأراد شاح حجرة اتهد حتى أعطته أشأم وفي البصرة ورل على الأحمف من
فيس فاجأ به واستجار فز بجره ، وثمة الخبر مفصلة لانحناء وإنما الذي يفتيناهم

(١) الجزء ١٤ الصفحة ٣٩ .

(٢) جزء ١ الصفحة ٥١ .

فصنوا عليه واستأذنوا في قتله فلم يأذن يزيد في هذا القتل وبعد أمر عماقته بما
شكّله وبشد سلطان عامله ولما ورد كتاب يزيد على عيد الله من يزيد أمر بان
مخرج فسقي نبداء حلواً ود حائط معه الشجره فسهل بطنه وطيف به وهو في ذلك
ذال وقرن هرة وحبريرة فجعل دالج وحسين تبعوه وجعل كل واحد احمررة
صحت جعل بقول :

صحت سمينة ما لونها قري لا بحر في ان شجرة شيمه حرج

جعل بطاف به في سوي اصرة و صبيان حمله بصيحوه به ونح عليه ما
يخرج منه حتى اضعفه فسقط فمرف من ردد ذلك فقبيل به : به لا دمن ان
موت فامر به ان يغسل ففعلوا فلما غسلسون :

نفسيل الماء ما فعلت وقولي واسخ منك في العظام الموالى

فردته عيد الله إلى حبس وامر ان يسير محبباً وقدموا له علواً وامر بان
يحبسهم وكان احد الشرط فيقتلهم فقبيلهم فبنو روم منه فتر - وردته إلى
عنته وقامت الشرط على رأسه نصب عليه الشياطين فمواون له : بحجهم ، فقام :

وما كنت محبباً ولكن احبتي عدله احبهم نبي عن لاهل

ثم هما زياداً وولده وهو في الحبس وردته عيدته إلى نحيه عمار حبستان
وكل به رجلاً ووجههم معه وكان كلما هرب من عمار يحجوه ويكب كل ما يجد
به على حيطان الخانات وأمر عيد الله ان يكون به ان يحدوه يحجوه ما كنه على
الخيطن بأظافره وثمره ان لا يتركوه يصبي ، لا إلى قته لصدرى إلى الشرف
فكانوا إذا دخلوا بعض حبات اي رلف قرو وفيها شيت محكمه من الطحمة
تخذوه بأن يحجوه بأظافره وكان عمل ذلك ومحكمه حتى ذهب ثوره وكان يحجوه
بعظام أصابعه ودمه حتى يسمه إلى عمار عنته وصيق عليه

ثم حميت المية في دمشق وعصو له ودخلوا على معاوية فسأله فيه فدافعهم
عنه فموا عصاها وعرف معاوية ذلك في وجوههم فردتهم ووجهه لهم ووجهه حلات

من بني أمية يريد أن يباد وكتب له عهداً وأمره أن يبد بالخمس ويخرج من مفرع منه وبطلته قبل أن يمد يده فم قدم فيقتاله ففعل ديث به .

ولاحتر نعمة طويلة من لاهياء بها وإلى الذي يعيدنا من هذا الفصل كله الذي تصرف في الحيرة تعذيب من مفرع يستدل بذلك على الصفت والاصطلاح ثم يريد على أن لا حيرة حد ، فاما بنو حيرة امراء حيث تد حيرة حية بلو كان محم من مفرع نريت وبيده من حد سياسة لغزواته في ذلك والكن الهنك والاصح والقدف نربا والسب كل هذا لا يتطبع السلطان احتماله حرصاً على هيته .

وكما نفو على اشعر من حد الحزاء ومذموم وكذلك نفو عليه فاحرقوا دورهم

نصح نوا مخرج من كتب حده لأنه يحكى من محمد بن ثوانة (١) أن عبد الرحمن بن أم الحنكة عصب على عدائه من زبير الأسدي ، سمعه ثم هو فهدم داره فأتى معاوية بشكاؤه إليه ، فقال له : كم كانت قيمة دارك ، فاستشهد ثمانين من حارجه وقال له : سله بها ، وساله هل : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكنه ذهب إلى المصرد بعشرة آلاف درهم لساح ، فأمر له معاوية بألف درهم وأما شهد له ثمانمائة كذاك ليعرفه عند معاوية ولم يكن داره إلا خصاص قصب وكان عبد الرحمن بن أم الحنكة ما ولي الكوفة ثم بها السيرة فهدم هذه من الكوفة إلى المدية فسأته امرأة عبد الرحمن عنه فقال لها : تركته يد ل إلهاء وبق إبراهيم وكان مخفياً ولأنه معاوية حاله هذه فهدم فهدمها ونظمو منه فم له واطرحه وقال له : يا بني ، قد جئت أن أتفكك وأنت زداد اكساداً !

من نال هذا الخبر على بني من الذي سمعه في عصر هذا الاصطلاح والكن آخر الخبر يشير إلى الحيرة في عصر معاوية فلان عبد الرحمن لما أساء السيرة بالكوفة

قدّمه هلهب ونطاعوا منه مرله معاوية عم وهو خاله . وهكذا نجد عصور الحرية والاضطهاد في تاريخنا متداخلة بركب مصداقها . ولا نخشى حربة إلا وحدنا إلى حشها عودية ولا يرى عودية إلا رثا حولها حربة ، كأن لم يكن للدولة مسد عام نسير عليه !

ولم يكن ابن أم الحكم بهذه دار عند الله بن الزبير وإنما حسبه وهو أمير في حماية وصمها عليه وضربه صرا أمراً بطهنة به ، فاستغاث باسمه من حارجه ثم يزل يلطاف في أمره ويرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم في أمره حتى يحمله فأطلق شفاعته (١)

هذا ما بلغ من اضطهادهم في بعض الأحوال فقد كانوا يفتنون الأحداث على الناس انتقاماً منهم ويضربونهم بهب النرج .

وقد شاع مثل هذا الانتقام في أوّل عصر بني أمية قال مصعب بن الزبير : ولي العراق لأخيه هرب ثم من حارجه إلى شامة بها يومئذ حدث من مروان قد ولي الخلافة وقتل عمرو بن سعيد وكان ثمّة موي طوى بهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها فقال عبد الله بن الزبير في ذلك قوله :

تأوت عين ابن الزبير - يودّها - وولي على ما قد مرّ أها هجوده (٢)

ونكنا محمد إلى حب هذا الحبر الذي بدل على انتقام مصعب بن الزبير من الذين كان هو م في بني أمية حراً آخر بدل على مسامحة مصعب فأت مصعب بن الزبير ، ولي أمر في دحل عليه عبد الله بن الزبير الأسدي فقال له : أيه يا ابن زبير ، أت القائل (٣) :

إلى رحب اسمين نود - فيه - نصبحك حمر الله ، وسودد

(١) الجزء ١٣٠ صفحة ٣٣

(٢) الجزء ١٣٠ صفحة ٣٦

(٣) الجزء ١٣٠ صفحة ٣٧

ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كثنائب فيها جبرئيل فتودها
فقال : أما القائل كذلك ، وإن الحفير ليأبى القدرة ، ولو قدرت على حجه
لحدثته فاصنع ما أنت صانع ، فقال :

ما إني ما صنعت بك إلا خيراً ، أحسن إليك قوم ، فأجبتهم وواليتهم ومدحتهم
ثم أمر له بحارته وكسوة ورد إلى منزله مكرماً .

فمر حراً مثل هذا الحرة ثم تقدم إلى حرة آخر يشتر إلى شدة التعبد وذلك
في دولة ابن الربيع سنة خمس مائة كان عبد الله بن الربيع صديقاً لأمرويس الزبير بن
الموام^(١) ، فقامه حواء يقتضيه منه نال كل ذي حقد عليه في ديت وندس
فيه من شقرب إلى حبه وكاب حواء لأبـال من دعى عليه شيئاً سنة ، ولا يطالبه
بحجه وإعـا ، فقال قوله ثم مدخله به السجن يقتضيه منه فكانوا يصرونه ، والقيح
بانصيح من ظهره ، وكنهه على الأرض لشدة ما يمر به ، ثم يصرب وهو على
تلك الحال ، ثم أمر بأن يرسل عليه احييئلان فكاتب تدب عليه فتشرف لجه وهو
معيبد معمول ، استغيت فلا يقات ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكل به على
أخيه عبد الله بن الربيع وفي يده قدح ابن يريد أن يتسخر به ، وهو يبكي فقال له :
مالك ، آتات عمرو ، قال : نعم ، قال : أبعد الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تنسوه
ولا تكفوه وارفعوه في مزار بشر كين ، ودفن بها ، فقال ابن الربيع الأسدي
برثيه ويؤلف أخاه بفعله وكان له صديقاً وخلاً وندباً .

ومن رجع إلى قصيده ابن الربيع استطاع أن تصور هذا النوع من التعذيب
في خلافة عبد الله بن الربيع .

من كان يعذب أخاه هذا الشك من التعذب فأحلق به أن يشتد على عدوه
فقد تشبع عبد الله بن الربيع آثار بني مروان في الحجار فني ثا فطيمه مع من تصاد

منهم عن المدينة الى الشام^(١)، فلما طال مقام ابن قطيفة بها قال :

ألا ليت شعري هل تغير بعد
وفاء وهل رل العقيق وحصره
وهل رحت بطحاء قبر محمد
أر خط عر من فريش ناكه
لهم منى حي وصفو مودني
ومحص الهوى منى وهاش سائر
وقل أيضاً :

ليت شعري وأين مني أين
أم كمهدي العقيق ثم عيتونه
وبأهلي بذات عكا وجن
وبذات من مساكن قومي
كل قصر مشيد دي واس
قري في السلام إن حث قومي
أعني امهد بيش فترام
سدي الحسانت ولائم
وحداما وأين مني أحدم
وقصور اتي في لاطم
تغني على دراه الحما
ووبيل لهم لدي اسلام
وما بلغ اس ارب شعري قطيفة هذا قول : حسن ومة أبو قطيفة ، وعليه
السلام ورحمة الله ، من فيه فيجده نه آمن ، فارجح ، فأحر مدك فاك : إلى
مدسة راحما ، فم يصل اليه حتى مات .

وم يقتصر في الزبير على أبي قطيفة وحده فقد روى أبو الفرج^(٢) به ما
عبد على الحجر حمل بدع شعبة بني مروان ، فينفهم عن مدسه ومكة ، حتى لم
يق ٣٠ أحد منهم ثم بلغه عن أبي العباس الأنعمي الشاعر فبث من كلام وأنه يكاتب
بني مروان بمورانه ويمدح عبد الملك ويحبته بخواتره وصلايه فدعاه ثم أعط له
وهم به ثم كلف فيه وقيل له : رجل مصرور ، فمعا عنه وده الى طائف .

وكما كانوا يصطيدون في البحر ، فوجدوا في الهوى فند كانوا يصطيدونهم
لأسماء لاخطر سال أحد فف كان ريبه إلا عجم^(٣) فخرج وعليه فند دباج تشها

(١) جزء ١٠ صفحة ١٥

(٢) الجزء ١٥ صفحة ٦

(٣) جزء ١١ صفحة ١

بالأحمر قرنه يمد من يمينه وهو على حمله ثاب وقمر به فصبغ نسواصاً ومرق
ثيابه وقال له : أنا ليهب وأمر - تشبه لأمر اب . فقال ربه :

محر - ما اللذي يباع حرقه وحده . وكبر حرقه حله يهيب
ودعا به يهيب وقال له : أنا أمامه ، قلت شيئاً آخر ، قل : لا والله أنها الأثير
ول : فلا قل ، وثقته وكسره وحمله وأمره ، مشد آلاب درهم وقال : أعدر ان
أخيك يا أنا أمامه . فإنه م معروف .

وإذا كان تشبه بالأحمر في لباس دنياً من الذنوب في بعض المصور فقد
كانت حطره في أشي ستمه ضرب البحر فقد روى أبو الفرج (١) أن داود بن
سليم وهو محصور من شعير ، لدونين لأمونة واحد سبه كان من قبح الناس
وحجم وكان سعد بن إبراهيم بن سعد بن رحن بن عوف يستغفله في آيات يوم يحضر
حطره مكره ودنا به وكان شولي ، دنياه فصر به صراً مراً وظهر أنه لما فعل
ذلك به من نحن احتارده في كحل فم في مشنته وقال بعض الشعراء في ذلك
وطله ان رهيمه :

ضرب ممدل سعد من سانه في الساحة

وقضى به سعد من أهر كل حاحه

وقال كاتب الحصر في الإشتية السب الظاهر في ضرب داود بن سعد فقد
كان سحاحه سب . طن وهكند كاتو به قون من على سحاحه .
استمر هذا المعنى من لاصح في زمن بني أمية سوء . كات حقيقه ثم
كان شديد وثق وحده . بعض حلفاء في مصور حربه يصرون على تشييب
شعره . سبه فقد وحده . مصوبه في مصور . مده لا يسكتون من شيء .
من دات مصور كبر أبو الفرج (٢) أن وصاح لهم شات ثم سبل . بنت سعد مرير
ان مره ن روحه لم يمد من عند ملات فقله يؤيد لذلك وذكر أبو الفرج حمله

(١) ج ١ - ص ١٢١

(٢) ج ١ - ص ٣٢

أخبار في هذا المعنى في كلامه على وصاح أبيه وسبه .

مها : أن أم أبيه بنت عبد الله بن مرون ستأذنت لوليد بن سعد الثالث
في الحج فأذن لها وهو يومئذ خليفة وهي روجه فقدمت مكة ومعه من أخو ري
مهم ثم رثته حسنا وكتب الوليد بتوعد شعراء حمير أن ذكرها أحد منهم أو
ذكر أحد ممن تبعها وقدمت فتراثت لادن وتصدى لها هذين شعرين وشعر
ووقعت غيبها على وصاح لادن فهو يثبه

ولا شئ يذكر مفضل وصاح لادن ، قال أبو العرج (١) :

وأخبرني علي بن سليمان الأحمسي في كتابه : أن أبا عبد الله قال : حدثني أبو سعيد
السكراني قال : حدثني محمد بن حبيب عن أبي النكاحي قال : عشقت أم أبيه وصاحا
وكانت رسل إليه فيدخل بها وتعلم حدها فدعاه فدخل ورثته في حدها فوقف عندها
وقفت عليه فهدى بوبه جوهر له قيمة فاستجبه واستجسه ودعا خادما له فوثق
به معه إلى أم أبيه وقال : قد علمت هذا جوهر أعجبي فأتى به ، ودخل
أخاذه علمه ، فاحذره ووصح به ، فدخلته صدوق وهو أبري ، فهدى بها
رسالة الوليد ودفع بها حدها ، ثم قال : والله لا يهني مني حجر ، وفاتت :
لأن ابن الأحمس ولا كبره ، ورجع إلى أبيه فحبره ، ففعل : كذب ما من الأحمس
ومر به فوحدت به ، ثم من به به ودخل على أم أبيه وهي حاسية في ذات
اللب عند شط وقدر وصف له أخا به من الذي دخلته به فحس عليه ثم قال
لها : يا أم أبيه ما أحب إليك هذا من يوثق في حذره ، فقالت :
أحسن به ، فأخبره لأنه يجمع بين الحبي كذا فبذلها منه كما تريد من قرب ، وقال
لها : هي لي صدوق من هذه صدوق ، قالت : كذا لك يا أمير المؤمنين ، قال :
ما أريد بها كذا وإنما أريد واحدتها ، فقالت له : حدثني شئ ، فقال : هـ
الذي حلست عليه ، قالت : حدثني ، قال : في فيه شبيهة بغيرها ، قال : ما أريد

غيره ، قالت : حديد ، أمر المؤمنين ، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، وحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه ، ثم دعا عبيد الله فأمرهم فحمروا نثراً في المجلس عميقة فنجسوا البساط وحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق ، فقال : إنه بلمنا شيء إن كان حقاً فقد كتمت لك ودوتك وقطعت أثره إلى آخر الدهر . وإن كانت باطلاً فأت دولاً لحشب وما تهون دنت ، ثم قذف به في النثر ، وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط إلى حاله وحلس الوليد عليه ثم ما روي بعد ذلك اليوم لوصاح ثري الدنيا إلى هذا يوم ، قل : وما رأيت أم النبي لذلك نثراً في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما . —

قد يكون هذا الخبر عربياً ولكن أنا امرج روه دون شيء من الاستغراب واع روي قبه حراً آخر قال فيه : وقع بين رجل من رندقة الشعوبية وبين رجل من ولد الوليد حذر ، حرقا فيه إلى أن أعطاها سبابة وذلك في دولة بني العباس فوضع الشعوب عليهم كتاباً رعم فيه أن ثم البين عشقت وصاحا فكانت مدحله صندوقاً عنده ، فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهأه إليه وأراه الصندوق فأخذه ودفعه . —

وسو ، كان هذا الخبر من رعم بعض رندقة الشعوبية ثم كان صحيحاً فإن الذي يهمننا فيه قتل الوليد لوضاح اليمن بسبب تشبيهه بزوجته ثم اثنين . وقد استمر الخلاء بعد الوليد في التمرس للشعراء فكان أكثرهم يكتفون منهم وقد حجب سليمان بن عبد الملك^(١) وهو خليفة ، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة وقال له : آلت القائل ؟

فكم من قتيل ما يبا به دم	ومن غلق رهنا إذا لفه مني
ومن مالي عينية من شيء غيره	إدرايح نحو الجرة البيض كالدمي
يسجتي أدل المروط بأسوق	جدال وأنحاز ما كها روي

أوانس يسلمين الخليم فؤاده فيطول ماشوق ويطول محتلى
قال : نعم ، قال : لا حرم والله لا تحضر الحج هذا العام مع الناس فخرجه
إلى الطائف .

✽ ✽ ✽

وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز في تتبع الشعراء وتبهم فانه لما ولي الخلافة (١)
لم تكن له همة إلا "عمر بن أبي ربيعة والأحوص فكتب إلى عامله على المدينة : قد
عرفت عمر والأحوص بالحمت وشر هذا كذا في هذا فشددهم وحملهم إلى
فلما أتاه الكتاب حملها إليه فأقبل على عمر فقال له : هيه

فلم أر كالتجوير منظر ناظر ولا كليلي الحج أملت ذا هوى
وكم مالي عيليه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى

فاد لم يفتأ الناس مدح في هذه الأيام حتى يفتنون بما والله لو اهتمت بأمر
حججك لم تنظر إلى شيء غيرك ثم أمر سمييه ، فقال : "مسير المؤمنين : أو خير من
ذلك ، قال : وما هو ، قال : "عاهد الله أن لا تعود إلى مثل هذا شعر ، ولا تذكر
المناء في شعر بعداً" وحدد نوبة على مدح ، قال : أو فعل ، قال : نعم ، فعاهد
الله على نوبة وحلاؤه ثم دعا بالأحوص فقال : هيه

الله يبي وبين فيتمها هرب عي بها ونسج

مد الله بين فيتمها وبينت ثم أمر سمييه إلى ييش وقيل إلى دهنياك وهو صحيح
وفي أسواقه رل بها ، فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه
أن يقدمه وقالوا له : قد عرفنا نبيه وقدمته وموصمه وقد أخرج إلى بلاد الأندلس
فخطب اليه أن رده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وود رومه فقال :

و قد لا نأردنه ما كان لي سبب ان فكت هشام بعد ولاية عمر صدرًا من ولاية يزيد
ابن عبد الملك ثم خلاه ..



ولم يكن هشام من عند ملك في حالة صفة والاصطهاد أقل بطشاً من غيره
فقد وردته المحرم (١) على هشام من عند ملك في الشعر . فقال لهم هشام : صهوا
لي إلهاً فصره وأوردوه وأصدروه حتى كانوا أنظر اليها فأنشروه ونشده
نحو الحية : الحمد لله لو هو ب الجول .. حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : وهي على
الاتق كعين .. و أراد أن يقول الأ حول ، ثم ذكر حولة هشام ، فربم البيت
وأرتج عليه : فقال هشام : أجز البيت فقال : كعين الأ حول وأتم القصيدة ،
فأمر هشام بوجء عهدها حراره من ارضافة وقال لصاحب شرطته : وريمع ،
إياك وإن ترى هذا فكله وحوه الناس صاحب شرطته أن يفتريه فعمل فكانت
يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوي إلى المساجد .

لا شك في أن ذكر الأ حول في قصيده بمدح هشام وهو حول لا يجوز
شيئاً اسمه : ضعف الدوى ، ولكن هذا الذوق الضيف لا يستلزم وجعاً المنق .
وكما عه هشام على أبي لحنه فقد نفع على السكيب ، والسكيب كما يقول أبو
المرح معروف بالشيع أبي هاشم ، مشهور بذلك ، وقصائده لطائف من جيد
شعره ومختاره ولمزل عصبية لهمدانية ومباحاته شعر ، اليمن متصلة والاسقضة
بينه وبينهم شائنة في حياته وبعد وفاته .

وحدث أبو الفرج (٢) أن السكيب أنشد قصيدته أي بهجوه فيها يمس وهي :

ألا حيث عتاً يا مدنيا

فأحطت خالد بن عبد الله القسري عليه فروى جارية حساء قصائده

(١) الجزء ٩٠ الصفحة ٧٥

(٢) الجزء ١٥ الصفحة ١١٠

للمشيمات وأعدتها إهدبها إلى هشام وكتب إليه بأخبار الكتيب وحياته في أمية
وأفند إليه قصيدته التي يقول فيها :

فيا رب هل إلا بك النصر يفتني ويا رب هل إلا عيتك لمعول

وهي طويلة يرثي فيها ربه من عبي وبنه الخبير من ربه ويعدج في هشام وهو
قرأها أكبرها وعظمت عليه وذكورها وكتب إلى خالد بن برمك عليه أن يقطع
لسان الكتيب ويده فلم يشعر الكتيب إلا واحيل بحذقة يدره فاحد وخمس في
المهينس وكان أن من الوايد عاملاً على وسط وكان كتيب صديقه ومث إليه
بقلام على مثل ما قال له : أم حرا إن حقته وامن من كتيب يبه : قد معي ما
صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل وأرى لك أن ممت إلى حالي
يعني زوحة الكتيب وهي بنت نكيف بن عبد الواحد وهي ممن يشيع فيها هذا
دحت "بيتك شمت ققام" وأبث ثيابها وحرجت في أرجو أن لا يؤنه لك .
ولهذا الخبر تمة وخلاصتها أن الكتيب عمر في شهره عليه من الوايد ووجد
وعاد بقدر معاوية بن هشام مدبر حبيد خاصة مسخرة من هشام وعهد له هشام بحلها
فتكلم الكتيب بحطبة أرحمها ما شيع مثاقط وتمدح هشام بقصيدته الرائية
وهي قوله : قف بالدنار وقوف رثر ..

قصي ما حتى نهي إلى قوله :

فما عيتك من الوقوف فها وإلك غير صاغر
دوح علمها المدا ت لرائحات من الأعاصر

وبها نقول :

فالآن صرت إلى أمية والآن نور إلى المصار

وحمل هشام بعمر مسخرة بقصايب في مده فيقول : إسمع ، إسمع ، ثم استأذنه
في مرئية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله :

سأكيبك الدنيا والدين اني رأيت يد المعروف بعدك شئت

فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فكفى هشام بكاء شديداً فوثب الخاحب فسكته ثم جاء السكيت إلى امرئه
أمساً فحدث له الضريرة فلهذا وأمر له مسلحة بعشرين ألف درهم وأمر له هشام
أربعين ألف درهم وكتب إلى خالد بن عامر وأمال أهل بيته وأمه لا سلطان له عليهم
وجعلت له بنو أمية مالا كثيراً .

لم يكن للعقظ ولا لأخرية عوامل عامة ، وكان خلفاء والأمراء والأمم
يحرون فيها على أحول خاصة تختلف باختلاف أمرهم أو هواهم أو استعانت
التي يكونون فيها ، فالكيت الذي بأمر هشام من عبد الملك قطع أسنانه وبده له حذنة
بني أمية تغمره بعد مدحه إيتاهم مكارم هشام وأمه مسلحة وبني أمية يمشي بأمان
هو وأهل بيته ولا سلطان لوال أو لأهل عليهم .

والكيت السكيت يحا من هشام من عبد الملك ولم ينفع من عامه على امرئ وقد
مر به خالد بن عبد الله القسري يوماً (١) وقد تحدث الناس بعزله عن العراق بها
جاز تمثل السكيت :

أراها وإن كانت تحب كائنها سحابة صيب عن قليل تقشع

فسمعه خالد فرجع وقال : أما والله لا تنفع حتى يفشا منها شؤنوب رد ثم
مر به خرد وصر به مائة سوط ثم حلق عنه ومضى .

ومن أشعراء الذين لم ينحوا من عذاب الولاة : المرحي ، وقد قال يوماً
في روضة محمد بن هشام المرومي واسمها حجرة فم يرل محمد بن هشام
مضطجعاً على المرحي من هذه الأشمار التي يغولها فيه متطللاً سبيلاً عليه
حتى وحده فيه فأحده وقيده وصر به وأقامه للناس ثم حسه وقسم لا يخرج

من الحبس ما دام له سلطان فكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه (١).
وقد وصف أبو الفرج طائفة من تعذيب العرجي لما أخذه محمد بن هشام
الذي مر ذكره لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام (٢) فلما ولي خلافة وص
عليه وعلى حبه إبراهيم بن هشام وشخصاً إليه إلى الشام ثم دعا بالسياط فقله
محمد سألك بالمرأة قل : دني قرابة بي وبك ، وهذا أب إلا من شجع ، قل :
فأسألك بصهر عبد الملك ، قال : لم تحفظه ، فقال له : يا أمير المؤمنين قد نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يصرب قرني السياط إلا في حد ، قل : في حد
أضربك وقود ، أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير
المؤمنين عثمان فما رعيت حق حده ولا نفسه هشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر
وإنما ولي ثأره ، صرب بالعلام ، وصرب صرباً مبرحاً وثلاً بالحديد ووجهها إلى
يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستقصاها وتعذيبها حتى يتلفه وكذب ابنه أحسنهم
مع ابن العسرية يعني خالد القسري ونسك بها إلى عائش خد منهم فعذبهم
عذاباً شديداً وأخذ منهم مالا عظيماً حتى لم يبق فيهم موضع للضرب فكان محمد بن
هشام مطروحاً فاداً أرادوا أن يقيموا أحدهم بلحيته خدونه بها وإنما اشتدت عليها
الحال لحامل إبراهيم يظن في وجه محمد فوقع عليه فمات جميعاً ومات خالد القسري
في يوم واحد .



أورأت شأن هذه لأخبار في تاريخها ، أفرشت المرة فيها ، يأتي والى من الولاية
فيس سنة تشتمل على أنواع من التعذيب ثم يأتي خليفة بعده فيعاهله بهذه السنة
وهكذا نشأ الخلاف والاشفاق بين الأهل ، فلولايد بن يزيد عامل محمد بن هشام
ونحاه إبراهيم سواء معاملة حتى مات ، فلا شك في أن فصل في العرج عظيم لأنه ضرور

(١) الجزء ١ الصفحة ١٥٧

(٢) الجزء ١ الصفحة ١٥٩

له هذه صور الخشعة ، صور الصعظ والانتقام والاشفاق وكلها مادة ما ترجع اليها
في توضيح تأريخنا وتنسيقه ورد الأمور إلى مصادرها .

و كما تدعوا لشمره فكذلك تدعوا لعميت فقولوا أن يحولوا بينهم وبين الغناء :
ما قدم عثمان بن حيان البصري المدينة و به عليها (١) قال له قوم من وجوه الناس :
أنت قد وبت على كثرة من أفسد فان كتب ربه أن تصالح فطهرها من الماء
والرأى فصالح في ذلك وأحبل أهلها ثلاثين نحر حول منها من المدينة وكان ابن أبي
عتيق يثني وكان من أهل الفصل والمعاف والصالح بها كان آخر ليلة من الأجل
قدم فقال : لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة أعين وسجل عليها فقال :
ما حدث منزلي حتى حدثك نسيم عليك ، فقه : ما أعفك عن أمره و تحروا خبر
فقال : اصبروا إلى الليلة ، فقالوا : نخاف أن لا يملك شي ونكسر ، قال :
ان خفتم شيئا فخرجوا في السحر ، ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فآذن ،
وسأله عليه ودكره عيبته وأنه حارب في حقه ، حرره حراً على ما فسد من
إخراج أهل الغناء والرأى وقال : أرحوا أن لا تكون عمت عملاً هو حررك من
ذلك ، قال عثمان : قد فعلت ونشأ به عبي فحدثت فقال : قد حدثت ، ولكن
ما تقول ، أمتع الله بك ، في امرأة كانت هذه صناعتها وكاتب ، كره على ذلك أنه
بركته وأقمت على الصلاة والصيام والخير و أنى رسولها اليك بقول ألوحة اليك
وتعود بك أن يخرجني من حور رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ، قال :
فاني أدعها والكلامك ، قال ابن أبي عتيق : لا يملك ما س ولكن تأتيت وتسمع من كلامهم
وتنظر اليها فان رأيت أن مثها بمعنى أن تترك ركبها ، قال نعم ، ثم دها وقال لها
احملي معك سنجحة ونحشي ففعلت ولم تدخل على عثمان حديثه وإداهي من غير

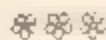
اناس الناس ونعجب بها وحسنه عن آتاه وأموره ، ففكك لذلك فقال لها انني
عتيق : افراني الامر ، وفرت له ، فقال لها : احدي له ، ففعلت ، ففكرت ففعلت ، فقال
كيف لو سمعها في سبها قد رل رله شيت شيت حتى فمره . ما فقال لها
انني عتيق عني ، ففعلت :

سددن خصاص الخدم بالرحمة
سكن بان و صبح و حبيب
فقام عثمان من مجلسه ففعل من يده ثم قال : لا والله ما شئت هذه فخرج ، قال
انني عتيق : لا بدت الناس يقولون في سلاما و فخرج بها فلودعوا جميعا ،
وتركوا جميعا

اول هذا الخبر يدل على شي من الاصطفاة ، صمطون يقع في المدينة
للمفديت واخر جهن من امده اذ هو صرب من تقيده واحضر ولكن آخر خبر
يدل على كثير من المساعدة فاذا كان رجل مثل انني عتيق قد اشهر ، ففعل
وامعاف واصلاح لا يرى الله ، وودع من معيات فلا شت في ان في
هذه البرعة كثير من اجابة

وقد محمد في بعض لاجون شيت من الاكر في امور رواج وقد قدم
عرب من بني سليم (١) فجمعهم سنة في رواج ، فخطب الى منهم رجل من ابولي
من أهل ارواح و روجه وركب محمد من شير خارجي الى المدينة وواله يومئذ
إبراهيم بن هشام بن بغيره فاستمدار خارجي على ابولي فارسل اليه إبراهيم
والى امر المسلمين ففرق بين ابولي ورواحته وصره ما في سوط وحق رأسه
وخيته وحاحيه

هذا يدلنا على أنهم كانوا لا يسمعون روح الله إلى غير العبد و كانوا
يعاقبون على ذلك .



وإذ تقدم من عصر بني أمية إلى عصر بني العباس وجدنا من العبودية في دولة العباسيين ما وجدناه في دولة الأمويين وقد يكون مظاهر الحرية والعبودية في الدولتين واحدة ، فلا نستطيع أن نقول أن بني أمية تميل إلى الحرية أو إلى العبودية أو أن بني العباس تميل إلى مسامحة أو إلى شدة ، على أن حكمنا هذا لا يمتد إلى الأحرار في رده أو إخراجهم ، لأننا لا نخرج عن كتب الأغاني في هذا الموضع ، وفيه في هذا كله أن عصورنا مدعة كان تحتها الحرية والعبودية وقد يختص عصر من أحدهما ، وهذا منه كما ذكرت في أول الفصل فعدان المبدأ العام في السياسة ، ولو كانت للدولة سياسة واحدة وتماثلت مع هذا الحرية على الشكل الذي طلعنا عليه في كتاب الأغاني لهذا في عصر هذا من الدعوى طرية ما لمعنه روي لأئم ، وهذا لديموقراطية إلا حمه حرية الرعي والاسماع والمعتقد والكلام وما شابه ذلك .

والآن أشرع في الكلام على العبودية في زمن بني العباس .

عقد أبو الفرج لأبي يحيى فصلًا جاء فيه : (١) .

له أن حرج إلى الشام نزلت عنده من عند بلات فسطمعه وحسن إليه ووصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد واستماحهم له فدعوه وكان بعد ذلك قليل لوفاء لهم ، انقطع إلى بني هاشم وأبى نفسه شمس بن هاشم فخرج أحدهم من بني عباس وهذا في أمية فأكثر وكان طامعاً فحمه ذلك على أن قل في منصور زحوره يقربه منها فجمع عيسى بن موسى وعقده أمية لأنه محمد المهدي فوصله لمصور بأبي درهم وأمره أن يشرها بحضرة عيسى بن موسى ففعل ، فطلبه عيسى فهرب منه وبمث في طامه مولى له فذكره في طريق حرسه فمدحه وسبح حله وهداه فاصيل قتله :

سبح "تو اخرج من كتب القدام من يوسف عن حمله من حمل (١) من علي
من "في تخييلة حدثه ان المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرب إلى خراسان وأخذه
قطاري وكتبه فأضججه فلما وضع السكين على أوداجه قال : يا ابن اللعناء، ألس
القاتل : ، علق معادها ومصر حشده : الآرصر حشدك ، فقال : من الله
داك حشده ما كان شتم ذكره ثم دبحه قطاري وسلم وجهه وأتى جسمه إلى
النور وأقسم لا يرمي مكانه حتى تمرق السباع و طيور حبه وفقه حتى تم سق منه
إلا عطامه ثم انصرف .

[illegible]

وكان في حجره هذا الخمران حماداً هرب من محمد بن سليمان فقدمه لأهوار
مستتراً وألحق بحماره فترسل مولى له إلى لأهوار فدخل بصدقه حتى ظهر
به فقتله عملة .

ولم يقتصر الخلفاء على قتل من ذكرته من شعراء وإتباع عرسوا وجوطة
أمثال بشير، وقد أوردنا في معرفة مائة بشر في مجموع ما قبله لأصمعي فيه (٣) وقد

107 1102 (1)

(۲) خبر، ۱۴، ۱۳۰۳

$$T \approx \frac{1}{2} \log \frac{1}{\epsilon} \quad T = \frac{1}{2} \log \frac{1}{\epsilon} \quad (5)$$

سئل عنه وعن مروان أيها أشعر ، فقال : بشّار ، فسئل عن السبب في ذلك فقال :
لأن مروان سلك طريقاً أكثر من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من
كان في عصره ، وشيئاً وسلك طريقاً لم يسلكه وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر
نصرة وموالاتهم وأوسع مديّة ومروان لم يتجاوز مذهب الأوثان .

هذا هو بشّار ، فلننظر الآن كيف مات .

ذكر أبو جرح حمزة أحرار في قتله قد تكون منقارة ، ولكن لا بأس بذكر
حبر منها (١) .

قدم شارح على المهدي ، فلما استأذن عليه قال له ربيع : قد أدركت ومرك
أن لا تشد شيئاً من النزل والتشبيب ، فأدخل على ذلك ، فأنشد قوله :

من وجه جارية فديته	بمطرأ حباً ربيته
رد الشباب وقد طويته	بثب إلى نسومي
ما إن غررت ولا بونته	وبه رب محمد
سرس السلاء وما شفيتها	نمك عت ورعت
ولما أبي شيئاً أبيتته	ن الحايقة قد أنى
ن بكى عني وما بكيتها	ومحصب رخص ما
ب إذا ادكرت وأين بيتته	وبشوقي بيت الحد
فصرت عنه وما قلبتها	فم الحليقة دونه
م عن النساء وما عصيته	وسهاني است الهـ
عهداً ولا رأياً وآيته	لا سل وهيب قد أصع
وإذا خلا علق شرتته	وما اطل على هذا
وإذا نأى عني دنتته	نقى خليل إذا دـ

نم آمده ما مدحه به بلا تشبیه خرمه و نه عطه شیء اقبال له : نعم يستحسن
شهرت فقال : والله بعد مدحه شهر لم مدح به لمدحهم لم تحش صروه على احد
ولكنه كذب أملي لأنني كذب في قولي .

وقد واطب شتار على مدح المهدي بعد ان لم يحط منه شيئا فاشهد
محمده فسمي به يعقوب بن دود وكان شتار قد شجاه فقال (١) .

بي نمة هو طال نومك ن خبنة يعقوب بن دود
صاعت خلافتكم قوم فتمسوا حيفة الله بين بن والعود

فدخل يعقوب على المهدي وقال له : «مر مؤمنين ن همد الاعمى اناجد
در ندیق قد شجوه . قال : «نهي نهي» ، قال : «لا تطلق به سب ولا توهمه فكري
قل له : محبتي لا تشدني» ، قال : «والله لم حيرتني بين اشدني» ، بين صرب
عني لاحمرت صرب سقي ، خلف عليه المهدي «لا قال لي لا صدقة هم ان حمده
قال : «ما اعطاه» ، ولكني كذب دلت ، فكنه ودعه به وكان «شوق» طأ وحمد
على الالحاد الى البصرة بطار في «مرها» ، وما كره غير شتار فمجدد بها مع
الى الطليحة سمع آذان في وقت يحيى بهار ففعل «اطير» ما هذا لآذان ، ود شتار
يؤذن سكران ، فقال له : «يريدون» ، «عاص نظر» ، «محب» ان يكون همد عرك
أتلوه بالآذان في غير وقت صلاة ، «ناب سكران» ثم دعاهن مهيت فأمره بغيره
بالسوط فصره بين يديه على صدره خرقه سبعين سوقة «نعمه» بها فمكرا «ووجهه
السوط يقول : «حسن» ، وهي كلمة غولها «حرب نهي» ، «وجه» ، فقال له «معهم» :
نظر الى زندقته يا أمير المؤمنين ، «يقوب» : «حسن» ، ولا يقول سمعته ، فقال : «ولان
طعام هو فاسمي الله عليه» ، «قال له» : «لا قلت» . احمد بن «ون» : «و نعمة هي
حتى أحمد الله عليها ، فلما ضربه بين سوطاً ، ان الموت فيه فأتى في سفيقة حتى مات
نم رمي به في الطليحة ففاه بعض أهله حملوه الى البصرة فدفن بها .

والجبر الثاني قريب من هذا .

ولما ضرب نضار بالسياط وطرح في السهبة قل : ليت بيني وبين الشفق رتي
حين يقول :

ان بشار بن برد ليس أعمى في سفينة

ولما أمر المهدي عبد الحار صاحب الزنادقة فصر بشاراً فبقي بالصره شريف
إلا امت به ، ومرس والكسوة ، ولهد ، وكات وقاه ، وور ، نهر متين سناً .
ولما مات غيب حذته ، طيحة في موضع يعرف بأحرارة حملة الماء فأخرجته
إلى دجلة بالصره فأخذ فأس به فعمله فدفوه وأخرج حب حذاره فم نيمه ، أحمد الا
نمة سوداء سدية عجماء ما تفصح رآها راوي هذا الخبر حلف جنازته لصبح :
و سيداه ، واسيده .

✽ ✽ ✽

وهكذا كان كدر اشعر ، عرصه نعمة خلعة ، وكما لم يسح شر من احدها ،
فكذلك لم يسح أبو المتاهية من تعدد لأمره ، فقد يسح أبو مريح من بعض الكتب
الجبر الآتي (١) :

مر القاسم بن الرشيد في موكب عصم وكان من نبيه الدس ونو المتاهية
حاس مع قوم على طهر الطريق فقم نو المتاهية حين رآه عظاماً له فويل قائماً
حين حار فأحاره وذا منتف إبه فقام نو حة هية :

بقية ابن آدم من جهله كأن روح الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فأحاره ، فقام فمعت إلى أبي المتاهية وصره
مائة مفرقة . وقال له : يا ابن الفاعلة ، أنت عرض بي في مثل ذلك الموضع وجبسه
في داره فدرس نو المتاهية إلى ربيده ست حمير وكات توجه له هذه لايات :

حي مى دو التيه فى تيه
بقيه أهل التيه من حبله
من طلب العز ايتى به
لم يعتصم بالله من حلقه
صلحه الله وعده
وهم عوتون وإب ناهو
ون عرت بره تقواه
من ليس رحوه وبخشه

وكتب اليها بحاله وضيق حبسه وكانت ماثلة إليه فرقت له وأحبرت رشيد
بأمره وكلمته فيه فأحصره وكسبه ولم يرض عن القسم حتى رثا المتاهيه وأمره
وعتدر إليه .

وإد روث الرشيد لأنني متاهيه في هد المقام فيه م روث له في مقام آخر .
لما مات موسى الهادي (١) قال الرشيد لأنني متاهيه قبل شمرأ في منزل .
لا أقول شعراً بعد موسى ندى ، فحسبه وأمر إرهم موسى أن يغى ، وقال :
لا عي بعد موسى أبداً وكان محسناً إليهما فحسبه ، فلما شخص إلى الرقة حفر لها
حجرة واسعة وقطع يدها بخائط . وقال : كوك هذا المكان لا يخرج منه حتى
تشر أمت وبقي هذا ، فصبرا على ذلك برهة ، وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر
ابن يحيى معه ففئت حارة صوته مستحس وطربا عليه طرباً شديداً وكان يتأ
واحد ، فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيت ثان ليطول الغناء فيه فيستمع
مدة طويلة به ، فقال له جعفر : قد سمعته ، قال : من أنس ، قال : نعمت إلى أبي
المتاهيه فيمحقه به قدره على شعره وسمعه ، قال : هو نكد من ذلك لا يحبها
وهو محبوب وسخن في نعم وطرب ، قال : منى ، فاكشف إليه حتى نعم صحة ما قال
لث ، وكاب إليه بأقصة وود : نحن لما نأيت بيتاً نأيت ، فكاب إليه أنه متاهيه :

شفل المسكين عن تلك المهن
ولقد كلفت أمراً عجيلاً
فارق الروح وأحلى من بدن
أسأل التفريج من بيت الحزن

فلما وصلت قال الرشيد : قد عرفتك أنه لا يفعل ، قال : فتخرجه حتى يفعل
 قول : لا ، حتى يشمر ، فقد خلعت ، وقوم أياما لا يفعل ، وقال : ثم قال أبو العتاهية
 لأبراهيم : لي كما هذا علاج خنعا ، هم قل شمر ، وتعني فيه ، قال أبو العتاهية :

شي من كان في قلبي له	مرة حب قليل ففرق
شي العباس فيكم ملك	شعب الاحسان منه تفرق
هرون خير كله	مات كل الثرمذ يوم حلق

وعني فيه ، إبراهيم ، رشيد فاشدد أبو العتاهية وعنه ، إبراهيم ، فاعطى
 كل واحد منها مائة ألف درهم ومائة ثوب .

ولا في العتاهية مع الرشيد حوار كثير من هذا القبيل تداناهم ، وفيه ،
 وفي حب شي خالد حربي (١) قال لي رشيد : احسن العتاهية وصبري
 عليه حتى تقول شمر ، يبق في امرلك كما قال قول ، شمر في بيت ، حمه شمر
 في مذبذبة : بوب : اخرجوني فاننا أقول كل ما شئتم ، فقلت : قل ، فقال :
 حتى تفسد حرجته وأعطيته دواة وقرطاساً فقال آياته التي أولها :

من بعد له مولا	ماله شافع اليه سواء
بشكي ما به فيه محشا	دور حو مثل ما محشا

قال : فدفعتها إلى مسرور الخادم فأوصلها ، وتقدم الرشيد إلى إبراهيم فومني
 فعتني فيها وتمر ، حصار أبي متاعية ، حصار فحصر قال له : نشدني قوت :

غائب سيدي أملك دين	حتى متى قلبي لبيت رهين
وأنا الذلول لكل ما حلتني	وأنا الشقي البائس المسكين
والعدو لكل ما مسد	ولكل صيب صاحب وخدين

لا بأس إن كنت عدي راحة لعصب أن يلقى الحرب من حرس
باعثت أبى أفرات مبرتي وعلى حصن من هوان حربي
وأمر له أرشيد خمسين ألف درهم
وفي بعض الأحيان كان القتل شتاً عن الردفة.

كان أرشيد (١) قد وجد صاحب من عند الخدوس وبي من الخليل في الردفة
وكان عبي من الخليل يستدل أنه ناس في الشعر ونشده عبي من الخليل أبي
مدح عترة أرشيد ومدح أرشيد نفسه وأطلقه أرشيد وود صاحب من عند الخدوس
وحتج عليه في أنه لا قبل له بونه بقوله :

والشيخ لا تترك أحسلافه حتى يوارى في نوى رصه
وقال : إنما رعت أن لا تترك الردفة ولا يحول دمك أمد

بج

مر به من دعا لأماحه : فمؤن حرس من على ولا يدون : فمؤن في قتل
والكن دعا لأماحه من مؤن فبه مدح من سجون من أمه من ولي أمه
وقد حج دعا من عبي مانت من طلع (٢) وأما الأبرار ما يكافؤه فبه هرب فاني
أمه وعليم إمدح من العباس من محمد من عبي من عند الله من عند يطلب
وكان معه عشاء دس من في عينة راراً ، فم من في عينة فبه هرب منه فبه
يظهر في الصرة طول أيامه وأما دعبل فبه حن دحل صرة من فقص عليه
ودعا بالنظم والسيب إمدح بعبه حذاف ، فم على حذافه ، وكل فني نرى من
لدم انه لم يقم ، وأن ، وله قضا ، إمدح سميد فغير ولصها إليه فبه يمدحه
وحمل بتصرع إليه وقيل لا رص ومكي بين يديه فاني له فقال : أما إذ عقيت
من القتل فلا بد من أن تنهز نكته دعا فم صا فم حتى سجد وأمره فاني على فبه

(١) ج ١٣٠ ص ١٤

(٢) ج ١٨٠ ص ٢٠

وفتح فيه فرد سديحه فيه والمقارع تأخذ رحليه وهو بحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلغه أو يقتله في رقت عنه حتى بلغ سايحه كله ثم حلاه فهرب إلى الأهوار وبث مالك بن طوق رجلاً حقيقاً مقدماً وأعطاه وأمره أن يفتاله كيف شاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم في رل بطله حتى وحده في قرية من نواحي السوس فاعتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة الغنمة فضرب ظهر قدمه بمكازله ربح مسحوم ثبات من عد ودهن تلك القرية وقيل بل حمل إلى السوس ودفن فيها .

والمأمون نفسه على الرعم من مساحته التي مر الكلام عليها لم يحل من عصف في بعض الأحيان ، وقد كان عبد الله بن موسى الهادي معردياً^(١) وكان قد أحبط المأمون بما نمر بد عليه إذ شرب معه فأمر بأن يحبس في منزله فلا يخرج منه وقد على بابه حرساً ثم تقدم من ذلك وأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ثم ناداه فمر بد عليه أيضاً وكلمه بكلام أحفظه وكاب عبد الله مغرماً بالصيد فأمر المأمون خادماً من حواص خدمه بقول له حسين فسمه في دراج وهو عرسى أبا ودعا عبد الله بامته . فأنناه حسين بذلك الدراج فأكله فلعنا أحسن بالسهم ركب في الليل وقال لا تصحبه : هو آخر ما روني وأكل معه من الدراج خادمان فأمتا أحدهما فمات من وقته وإنما الآخر بقي مدة ثم مات ومات عبد الله بعد أيام .

وقد نجد في بعض الأخبار التي نقلها أبو الفرج كلاماً للمأمون يدل على حجة من نصرات الخلفاء إلى الناس ، فقد قل المأمون مرة لأبي مخارق البغلي : أنت السادة لا ينبغي لعبدهم أن تؤاكلها ، فإن هذه مباره حصنة ينبغي ، فكثير من أهل الآداب الرفيعة ومن هم في طلبتهم عبيد في عيون الخلفاء .

وآخر ما ذكره في هذا الباب ، باب التعذيب والاصطهاد أخبار علي بن إهم^(٢)

(١) الجزء ٩ الصفحة ٩٦

(٢) الجزء ٩٠ صفحة ١٠٠ و ١٠٢

فقد كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً وحسن المتوكل حتى صار من جلسائه ثم مضى
لأنه كال كثير السماء اليه بدمائه والذكر لهم بالقبح عنده وإذا خلا به عرفه
أهم بغيره وثأره ويدفعونه فيكشف من ذلك فلا يجد له حقيقة
كان سبب حبس المتوكل علي بن الحنظل أن جماعة من الخساء سموا به اليه
وقالوا له انه يخنس الخدم ويفزعهم وأنه كثير الظمن عليه وأما لث و لاراء على
أحلاف وم يروا به بوعرون صارده حتى حبسه ثم نفوه عنه فنه فوجدته إلى
حراسان وكتب من يصلب اده ورده يوم إلى الليل فلبس وصل إلى الشاديرج
حبسه طاهر من عند الله من طاهر من ثم أخرج فلبس يوم إلى الليل فوجدته إلى
هذا آخر ما حمته من أحر حرية و مودبة في كتب لأعني لاشت في أن
كافة الحرية م يكن له في عصر في مخرج المني لوسع الذي رده له في عصر هذا
فالحر في تلك لأحفات كان صد صد وحرية كان صد الصدودة .

المسد فرغ بالعصا وحر تكفيه الاشارة
الحر يلحق والعصا للمسد وليس ما جف مثل ورد

وانكن هل تتصور فضل أبي الفرج في رواية أخبار من هذا الشكل فقد نجد
في أصناف كتبه من مطاهر الحرية ما لا يجد في غيره لأنه في ما هي هذه
أما حرية الكلام في قام الخاء ولا ممر . وعلل وتكاد تشبه هذه الحرية
حرية الصدقة في عصر هذا ، حرية البرة ، حرية الفصه وغير ذلك .

اللهو والتبذير

أنتزع في الكلام على أمور في كتاب الأعاني لم تكلم على أمثالها في ، صبي ،
مدخل في هذا الفصل وفي الفصول الآتية قصور الحياء ، من بي ثمة وبي ماس
ومشهد شبتاً من حياتهم الخاصة وما تشتمل عليه هذه الحياة من هو وإسراف ،
ولا يحطون بل أحد أن هذا النوع من الدراسة خرج عن دراسة الآداب ،
فليس الأدب عبارة عن ألفاظ ، وإنما الأدب ألفاظ وأفكار ، فاد لم تتحقق في
دراسة هذه الأخبار حتى فصلتها في أعرج في أعانيه كانت دراسة ناقصة ، بمرض
عليه صاحب الأعاني حملة من أخبار الدوايين لا تشبه ما يمرضه رجل أنتزع ، أما
نجد في هذه الأخبار مادة أدبية نتم بها ثقافتنا ونوضح بها تاريخنا ، ولولا هالقيت
حياتنا في أصي عاصمة مقيمة ، وقد رأينا حتى اليوم فصل في أعرج في إطلاعا
على الأمور التي طامعاً سبها ، ما أنص في حاجة إلى الكلام على هذه الأمور فقد
فصلناها ثم لمصناتها حتى أصبح الماضي بمنزلة صورة ناطقة .

أني لا أرمي في هذا الفصل ولا في الفصول كلها إلى إحصاء ما ذكره صاحب
الأعاني في كنهه فقد يهوتي شيء كثير من الكتاب لا أذكره وإنما الذي أرمي
إليه إنما هو حصر طائفة من موضوعات الكتاب حتى يزداد شعورنا بمظمة
هذا الكتاب .

كيف ند في هذه الفصول وكيف نهي ، هذا شيء لم نحمل له أصولاً بي
سبها فقد يصعب الدهن في هذه الموضوعات لي مرض له صاحب الأعاني ، وقد
يتعب هذا الدهن في مسبقه ، فيحار حيره لا يعرف كيف الخروج منها ، يحار في
هذه الأمور أي يشهدا ، أمور الله والتدبير ، فلا يدري كيف يدخل ولا كيف
يخرج ، وعلى كل حال فلنحاول الخروج من هذه الحيرة .

نمر بأحجار صغيرة في الأعمى تدل على سيرة العمل - شقة فقد يستعمل معاونة
سعيد بن عثمان (١) على خراجه فلما عدله قسم لأبيه مال وسلاح و (٢) بين عبد الله
السيد فأمرهم أن يدوا له دراهم هو حائس فيه ومعه من سيحان وأبى ربة
وحال من عدة وثوب وطيفة أدناهم وأيديهم ففقدوه

فهذا الخبر الصغير الذي قد نمر عليه فلا يهم به مدله على سيرة بعض المال في
القديم قد أردنا أن يبحث عن دهب الدولة في أبي نمية أو أبي الماس فلا شئ
في أن لأمثال هذه الأخبار شأنا عظيم في بحثه .

على أن الذي نجردنا له في هذا الفصل إزاء هو بحث من وهو والتدبير وما
شكاه وقد كان سيرة العمل السبعة ثم في دهب الدولة فان لهذا للهو ولله
التدبير ثم أظلم .

نشرت الدعاية والمهنة في حجار من أيام معاوية فقد كان معاوية يستعمل
مروان بن الحجاج على المدينة سنة (٣) ويستعمل سعيد بن العاص سنة فكانت ولاته
مروان شديده هرب فيها أهل الدعاية والمهنة وولاه سعيد بنه يرحمون الله .
وكان يريد من ماله (٣) أن من بين ما هي في الإسلام من الخلفاء وأبى
المعصي وأظهر الفتن وشرب الخمر وكاتب عليه عبيد يرحلون معمر في مولا
والأخطار وكان يأنس من أهل البيت حائر فيقيم عنده فيجمع عليه ويصده معه
يوم فاعتزله أرحمة ورفض حتى سقطت فأن حاكموا عليه جمع بعيب فيها حتى
لا يرى منه شيء فطرحته عليه اثني وأحد وأحد وأحد حتى عاب فيها .
ومضى فتيا في قريش في مسدد والتدبير من بعد يريد وقد حدثت في كتاب
الأشعر فقال (٤) :

١١٠ الجزء ١ الصفحة ١٧

(٢) جزء ١٣ الصفحة ٥٩

(٣) جزء ١٦ الصفحة ٦١

(٤) الجزء ٣ الصفحة ١٤

كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فمني اليه أن وجلاً أسود يقال له
سعيد بن مسجح فسد قتيان قريش ونفقوا عليه فوالهم فكتب إلي أن أقبض
ماله وسيره ففعلت فتوجه بن مسجح إلى الشام فصاحه رجل به حوار مغنيات
في طريقه فقال له : أين تريد ، فأخبره خبره وقال له : تريد الشام قل له : فتكون
معي ، قال : نعم ، فصاحه حتى بلغ دمشق ودخلنا معه فسلنا : من حصانك
نمبر المؤمنين ، فقالوا : هؤلاء هم من قريش وسو عمه ، فوقف ابن مسجح
عليهم وسلم ثم قال : قتيان ! هل فيكم من يضيف رجلاً عربياً من أهل الحجاز
فصر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قبة يقال لها ربي الأبق
وتشافوا به إلا أني منهم ندمه فقال : أنا أصيبتك وقل لا تصاحبه : انطلقوا أنتم وأنا
ذهب مع صبي فقالوا : لا ، بل يحيي أنت وصيبتك فذهبوا جميعاً إلى بيت القبية
وهما أبو العلاء قل لهم سعيد : أي رجل أسود وعل فيكم من يقدرني فذا
أحسن وآكل حية وقد فلتت حبيوا منه وبعثوا به ، كل هذا ما رواه إلى
الشراب قل لهم مثل ذلك ففعلوا به وأخرجوا حارث بن خثاسا على سرير قد وضع
لهم ، ففعلنا إلى المشاء ثم دخلنا وحرق حارية حسنة الوحده والهيئة وهما معها
خاضت على السرير وحملت سهل منها عن يمين السرير وشماله ، قل ابن مسجح
تمثلت هذا البيت :

فقلت أشمس أم مصاييح بيعة بدت لك خلف السجف أم أنت حالم
فمضت الحارية وقال : أبصر بي هذا الأسود الأثقال فطاروا لي نظراً
مكرراً ولم رالوا سكبوا ، ثم سكت صوتاً فقال ابن مسجح : حدثت والله ،
فعضت مولاها وقال : مثل هذا الأسود يقدم علي حارثي فقل لي الرجل الذي
رأيت عنده : فبه فأنصرف إلى منزلي ففقدت ثقتي على لهم فذهب أقوم فندمهم ، أقوم
وقلوا لي بل أقم وأحسن أدبك فأقمت وغثت ، فقلت أخطأت والله بأزانية وتأت
ثم بدعت فغثت الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيد
ابن مسجح ففقدت اني والله أنه هو لا قيم عندكم فوثب القرشيون فقال هذا : يكون

عندي وقال هذا: بل عدي ، ومت والله لا نقيم إلا عند سيدكم يعني الرجل الذي
 أرسله معهم ثم سألوهم عما أقدمه فأحرمهم خير فقال له صاحبه اني أسكنك ليلة مع أمير
 المؤمنين فهل يحسن أن نحدد ، قل : لا والكي أستعمل حذاءه ، قل فان مررتي بحذاء
 منزل أمير المؤمنين فان وافقت منه طيب النفس أرسلت اليك ومضى إلى سداسين
 فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجج وأخرج رأسه من وراء ثيابه
 القصر ثم حذا .

فقال عبد الملك للقرشي : من هذا ؟ قال : رجل حجازي قدم عني . قل حضره
 فأحضره له وقال له : أحدٌ مُحمّداً ثم قال له : هل تنفي عنه . ركن . قل : نعم ،
 قال عنه فتغنى ، فقال له وهل تنفي الماء المتفق قال : نعم ، قل عنه ، فتغنى ، فهدر
 عند الملك طرّاً ثم قال له : قسم أن كنت في قفوة لا سمّاً كثيراً ، من كنت واثق .
 قال له : أنا مطبوع لمؤوس ما به . سير عن وطنه ، سعيدي مسجج قدس مالي عامل
 لحجر وهادي فتدسم عبد الملك وقال له . قد وصح عبد قتيان قريش في أن يهوا
 عبيث مؤالهم . وأمنته ووصله وكتب إلى عامله رد مائه عليه وأن لا امرس له .

من هد حبر ينس ما أن قتيان قريش في الحجاز بصرفوا عن لهو في ثم
 عبد الملك بن مروان وألقوا الأموال في هذه السنين حتى خاف لأمر عبد الملك
 وكتب إلى عامله أن يقص مال من مسجج وسيرته إليه
 وم يقصر قتيان قريش وبنو عم أمير المؤمنين في هذا اللهو في دمشق نفسها
 ولما دنا يقول : أن عبد الملك بن مروان نفسه عمل فيه أعباء عمله وقد سمع صروحه
 وأبوا عنه فعد قتيان قريش في يفاق الأموال على ابن مسجج وعنه عنه امسك
 وصله وأمنته .

في حبر من حجاز لا عني أن عبد الملك بن مروان (١) سمع طعاماً فأكثر

وطاب وده اليه الدس فأنكروا فقال بعضهم : ما أطيب هـد طعام ! ما رى أن
 أحدا رى أكثر منه ولا كل أطيب منه ، فقال أنس بن مالك : ما رى أن
 أكثر ولا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه وطفقوا يصيحون من قوته
 فأشار اليه عبد الله بن مسعود فقال : ما أنت بحق فيه تقول إلا أن يحبرني عما
 بين به صدقك فقال : نعم ، أمير المؤمنين ، ثم قص عليه لأمر في قصة هـد الطعام
 من شاء فليقر به في موضعه ، لأن لدي سهمين من حبر قوت في المرح : صنع عبد
 الملك بن مروان طعاماً .

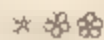
ولا بأس قبل التعليق على هذا الخبر بذكر الخبر الآتي (٥) :

حدثني عبد الله بن مروان أبو أحمد بطعمه دس خلس رجل من أهل العراق
 على بعض نيت أبو أحمد بطعمه دس خلس رجل من أهل العراق
 قال : نعم ، فقال : أنت حوس ، قال : لا ، قال : بلى ، قال : ويحك ، دعني شهراً
 بر د أمير المؤمنين ولا تصعبني به ، ثم إن عبد الملك وقف على نيت الله فقال :
 من القتل :

إذا الأوطى توسد أبرديه خدود جوازي بالرمل عين

وما معناه ، ومن أجاب فيه أجزناه ، والخادم يسمع ، فقال العراقي للخادم :
 أتبع أن تشرح نيت قائله ، وهو قوله ، قال : نعم ، قال : قوله عدي بن زيد في صفة
 الطيخ الرمي ، فقال ذلك الخادم ، فضحك عبد الملك حتى سقط ، فقال له الخادم
 : خطأت م نيت ، قال : بل خطأت ، فقال يا أمير المؤمنين ، هذا العراقي فعل
 الله به وهدد عليه فقال : أي الرجال هو فأراه أيام فساد اليه عبد الملك وقال :
 أنت قمت هـدا ، قال : نعم ، خطأته أم صواباً ، قال بل خطأ ، قال : ولم ، قال :

لأنني كنت منجر ما غابته منك فقال لي كيب وكيت فأردت أن كعته عني وصحكت
قال : فكيف لصواب ، قال : يقول له اشتج من صبر واعطه في في صفة الفقرة له حشية
فقد حزنت بالوطط عن الماء ، قال : صدقت وأخبره ، ثم قال له : حدثت ، قال : أنتي
هذا عن مالك فانه يشبهه



رويت هذين الخبرين قبل أن تشرع في كلامك على لاهو والتدبر لأنني رأيت
فيها حكمة ، جاء في الخبر الأول : صنع عبد الملك بن مروان طعاماً ، جاء في خبر
الثاني : نصب عبد الملك بن مروان الموأيد بطعمه الناس .
يقولون اليوم في مكة هذا المصير : أقام فلان حفلة أو مأدبة أو مشادة فلان
ولكن تعبر صاحب الأعيان فرب من حقيقة فانه قال : صنع طعاماً وكأنا أعيان
إطعام الناس ليس غير ، لا أريد للدخول في هذا مقام في التطور الذي دحل فيه هذا
التدبير ، فسواء أقولوا صنع فلان طعاماً أم قالوا أقام فلان حفلة به لانهما ذلك ولكن
الذي يهمنا إنما هو التفكير في غاية هذا الطعام ، فهل كانوا يصنعون الطعام في انفسهم
ويدعون الناس به صرياً ، أم لا ؟ أم لا ؟ من أن تفسط فيهم وإلهاء لهم عن التفكير
في إسرارهم وبسريهم ، فلا شئ في أن عامه الناس في حذور الطعام ، إنما هو الأكل
وحده وما صدق المرابي الذي قال لأخاذه : دعني شهيداً برؤس مؤومين ولا
نفسني به فكأنهم كانوا يصنعون طعاماً من حين إلى آخر ، يدعون الناس إليه حتى
يسكتوا عما تقع عليه أعينهم من مظاهر التدبر .

شهد من هذا التدبر أشياء كثيرة وأسماء تدري هل كانت طغيات الشعب
كلها في محو حه من الحبش ، أي شئت في ذلك ، أم كانت لا تحدث تحدث وقت
تشتد فهل بحث المؤرخون عن تلك الأحداث والفتن ، لا ريب في أن أكثرهم
لا تظهر عوامدها ، لا في حوچ الناس وصيقه ، قد لم تغفل مؤرخون إلى طغيات
الشعب ويبحثوا في هذه الصفات عن نسب أكثر أهل والأحداث فلا ريب في أن

أسماءها بطل عاصمه لا تهتدي بها ولا تصدق الانسان أن تغرق الحفاه والأمر
والعمال في النعم وأن يقاسي الناس شطط العيش ويستكتوا عن ذلك .



من حله من مية الدوسم بشهروا في خلافهم ناشدوا عمر من عمه المرير ،
استجرت حاه الشعر (١) فموا لا يصلون اليه فله عون من عبد الله من عتبة
ابن مسعود وعليه عمامة قد أرخت طرفها فصاح به جرير وقال :

يا أيها القاري المرخي عمامته هذا زمانك اني قد مضى زمي
مع حبيبتنا إن كنت لايه أني لدى الباب كالصفود في قرن
قل ودخل على عمر فاستأذن له فأدخله عليه وقد كان هيباً له شعراً فلما دخل
عليه غيرة وقال ثباتاً من حميم :

كم بالمواسم من شقاء أرملة ومن يقيم ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوه مدهوب كأنه حلالاً من الحزن ووسماً من بشر
تبعك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم ينفض ولم يطير
قل فكي عمر ثم قال : يا أيها الحاني ، أنس أساء المهاجرين أنت ومعرفة لك
حزمهم أم من أبا . لا تصار فيحبك من يحب لهم ثم من هراء لمسهين فأمراً صاحب
صدقات قومك فيصالك مثل ما يصل به قومك ، وقال : يا أمير المؤمنين ما أنت بواحد
من هؤلاء ، ونبي نبي أكثر قومي ملاً وحسبهم حلالاً والكي سألك ما عودته
الحفاه ، زينة آلاف درهم وما ينهبها من كسوة وحملان فقل له عمر : كل
امري ، باقي فعله وما أراه قد ترى أن في مال الله حقاً ولكن انتظر يخرج عطائي
فأطر ما يكفي عيالي سعة منه ، فخرده لهم ثم إن فصل فصل صرفناه بك ، فقال جرير
لا ، بل يوفى غير المؤمنين ويحمد ويخرج رصيده ، قال : فذلك أحب إلي ، فخرج

فلما ولي قال عمر : ان شر هذا اي يتي ، ردوه لي ، ردوه فقال : ان عدي اربعين ديناراً وثمانين ادا غسلت احداها ، ان الاخرى وانا مفاست ذلك على ان الله حل وغيره ، نعم ان عمر اخوج إلى ذلك منك فقال له : قد وقرت الله ، ثم المؤمن بن وانه والله راض قال : فما وود حمت فان ما وود به علي ولم يصيق به معيشة ما آثر في نفسي من المدح فامض مصاحباً ، فخرج فقال له أصحابه وفيهم مرردق : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حريزة قال : خرجت من عند رجل عرب ، ورسد الشراء وأنا مع ذلك راض ، ثم وضع رحله في عرب راحته وثي قومه ، فقالوا له : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حريزة ، فقال :

ترأت لك بالشام جبل جماعة
ممن القوي مستحصد المصيد باقيا
وحدث رقي الشيطان لا تستعزم
وفا كان شيطاني من حن راقيا

وقال بردي في حربه : فقال له حرر يا أمير المؤمنين في اس سبيل ، قال : لك مالا شاء السبيل ، رادته وعهه بلفك وتبدل واحلتك ان لم تحملك فأنح عليه فقالت له سؤامية : ما حرره مالا عن أمير المؤمنين ونحن نرضيك من أموالنا عنه فخرج وحمت له سؤامية مالا ساطها في حرج من عند حبيبه بأكثر مما خرج من عند عمر . وقد عقد أبو الفرج مصلاً أمير من عند امر (١) ذكر فيه أنه ما ولي بدأ بالحجته وهديته فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم الخطاء فخرجت سؤامية إلى فاطمة بنت مروان عمته فمستطاع أن تصنع شيئاً ورجعت اليه وقالت لهم : دوفو معبة فمركم في ترويحكم آل عمر من الخطاب ، لأن أمه ثم عاصم بنت عاصم من عمر من الخطاب .

وحاء في حرا آخر أن كثير أو الأناحوس والصبيا (٢) دخلوا على عمر من عند امربر فسهوا عليه بالخلافة فرد عليهم فقال له كثير : ما أمير المؤمنين طال انشوا ، وقالت

(١) الجزء ٨ الصفحة ١٤٦

(٢) الجزء ٨ الصفحة ١٤٧

استم خير من وكيه المطايا وندي من طون رح
 قسم عبد الملك وفن : كدنت نحن ومار : كدنت ثم اعتمد على ابن ابر
 وقال أياتاً حتى أتى على ذكر روحته وبها فقل :

نعتت ثم حررة ثم قاب رنت لوروس دوي فاح
 نعتت وهي سعة منها نعتت من الشم فخرج
 فقل عبد الملك : هل رويهم مائة مائة فقل : ثم رويهم كدنت فلا رواها
 لله ، هل ايها جدي الله ذلك يا مبر ، يؤمن من سبيل ، فأمر له عاتق لفتحة وتامة
 من الرطاء وكانت بين يديه جامات من ذهب فقل له حرر : ثم يؤمن تأمر لي
 بوحدة من تكون محباً فضحك ودحس اليه واحده من ناعصب وقل :
 حذها لا عمت ، فأحدها وقل : بلى والله يا مبر المؤمن يعني كل ما محتجبه
 وخرج من عنده ..

لقد بدأنا في هذا الخبر ، ثم رأت من خدمت التي كانت بين يدي عبد الملك
 تحمل بحس هذا الترف وداقها بين عطاء عمر من عطاء رويهم عطاء عبد الملك
 ابن مروان أدركنا أوائل التذير في دولة بني أمية ولكن هذا كله لا يفي
 إلى أخبار ريد من عبد الملك ولويد من ريد في هذا المعنى
 وهذه طائفة من أخبار ريد من عبد الملك .

كانت حنابة تسمى العالية (١) وكانت لرجل من أموي مائة مائة وهدم ريد من
 عبد الملك في خلافة سليمان فخرج سبعة مائة عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان
 ألف دينار وورجة بنت محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر على مائة دينار واشترى
 العالية بألف دينار فبلغ ذلك سليمان فقال : لا تحزن عليه وبيع ريد قول سليمان
 فاستقل مولى حنابة ثم اشتراه بعد ذلك رجل من أهل أفرقية ثم ولي ريد
 اشتراها سبعة أمته وعلمت أنه لا بد طالها ومشتريها فلما حصلت عندها قالت له :

هل في عييت من الدنيا شيء في سله فقال : نعم ، العمة ، فقالت : هده في وهي لك فسمها حنينة وصعد قدر سمده لها عنده ويقال لها ، أخذت عليها قدر أن تهبها له أن توطى ، لا لها عنده في ولاية المهدي وتخصرها بما تحب ، وقيل إن ألم الحجاج ثم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعها له وأخذت عليها ذلك فوفقت بذلك ،

فإذا كان المهتر وحده عشرين ألف دينار فمن يدري كيف كانت مقادير النفقات حتى استعظم سليمان هذا كله فقال : لا حرجن عليه .

وأذا أردنا أن نعرف مبلغ تلك المعنيات من قلوب بعض الأشرار ، ولخدمة الله جمع ما قاله يزيد بن عبد الملك في اثنتين منهن .

قال يزيد بن عبد الملك (١) : بما تقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى اشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحنينة حارة لاحق الكنية فأرسل فاشترى له فلما اجتمعا عنده قال : يا لآن كما قال امرئ :

فألفت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر وهكذا رى أنه بلغ من اهتمامه بالخلاء والمعنيات أنهم حملوا المعنيات والخلافة في دوحه واحدة .

وود كان لهذه المعنيات لأثر العظيم في سياسة الخلفاء فكن يوتين من شئ وبمرن من شئ ، فقد سالت حنينة على ريد (٢) وكنى بها عمر بن هيرة فعملت ممراته حتى كان يدخل على ريد في أي وقت شاء وحسد من من بني هيرة مسامحة من عبد الملك على ولايته وود حو به عبد ريد وقالوا إن مسامحة ن قطع الخراج لم يحسن بأمر المؤمنين أن يعيشه وأن يستكشف عن شيء منه وحفته وود عمت أن أمير المؤمنين لم يدخل أحدًا من أهل بيته في الخراج فوفر ذلك في قلب يزيد وعزم على عزله وعمل ابن هيرة في ولاية أمراء من قبل حنينة فعملت له في ذلك وكانت بين من هيرة وبين القمقاع من حالد عداوة وكانا يتدراعا ويتحسدا ان فليل للقمقاع

(١) الجزء ١٣ ، الصفحة ١٥٨

(٢) الجزء ١٣ ، الصفحة ١٥٠

أفقد برل أم هيرة من أمير يؤمن منزلة ، انه صاحب امرأه عد فـ قال : ومن يطيق من هيرة ! حنة بالان ، وهداياها بالهار ، مع أنه وإن بلغ فانه رجل من بني مسكينين ، فـ برل حنة فعمل له في العراق حتى وها .

وكرر منزلة حنة من يريد حوه مسعة بن عبد الله فـ قال عليه بلومه (١) في الأخاح على الماء واشرب وقل له : إني وئيت بعمر بن عبد العزيز وعمله وقد تشعلت هذه الأمة عن الطار في الأمور والوقوع . ساءت وصحاح الطلحات يصيحون وأنت غافل عنهم ، فقال : صدقت وأعتبه وعم . سرى الشراب ولم يدخل على حنابة أياما فـ دسست حنابة إلى الأحوص أن يقول أي نأ في ذلك وقت له إن رددته عن رأيه فلك ألف دينار فدخل الأحوص إلى ربه فـ استذن له فقال الأحوص :

ألا لانتله اليوم أن يتبلى فقد غلب الهزون أن يتجلى
مكيت الصبا حبيبي فـ شـ لامي ومن شاء نسي في الكاء ، وسعدا
وإني وإنت فـ دنت في طلب العي لأنني نسي في حب واحد
إذا أنت لم تمسك ولم تدر ما الهوى فـ كن ححر من ، من الححر حلهدا
فـ العيش إلا مائلذ ونشهي وئيت لأم فـ سه دو شان وويدا

ومكث حنة لا يرى حنابة ولا يدعو بها فـ ما كان يوم الجمعة فـ قام من حوارها : إذا خرج أمير يؤمن إلى الصلاة فـ نسي به زاد خروجه أعلمه فـ دنته والعود في يدها فـ فتت البيت لأول فـ نسي وجهه وقال : مه ! لا تعلي ثم عـ : وما العيش إلا مائلذ ونشهي ، فـ عدل إليها وقال : صـ وت والله فـ نسي به من لامي فيك ، يا إعلام : من مسعة أن يصلي بالاس : وأقام معها يشرب وتغيبه وـ إلى حنة . وكيف يعمل كلام مسعة في قلب حنه يريد بن عبد الله وقد بلغ منه حنة المـ .

كاتب : كنت وطرب يريد قل لها : طبر ، وتقول له : قال من تدع الناس
يقول : ليت (١).

و. ز. ب. تعرف مقدار تهاونه بخصوص من ياقوت وزبرجد فلنقرأ
حبر الآتي : (٢)

كان 'ابن الأندلسي' 'أمازي' يعرف حكمة ويدخل عليهم بالحجر فصاروا
إلى يريد من عند الملك ورتفع أمرها عنده حرج لها تمر من معروف ، يستمعها
فذكرته يريد وحبرته بحسن صوته ، قال : فمدني يريد بلة ودخلت عليه وهو على
فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه وإذا حشاية على فرش آخر مرتفعة
وهي دونه فسلمت فرد السلام وقال : يا أمير المؤمنين ، هديني ، وأنت رب إلى الخلو
حسب وقت لي حكمة : فقرأت ، فقرأت مطرب إلى دموعه تنحدر ثم قال : به
يا ابن أحمق ، يا أمير المؤمنين ، وأنت رب إلى أن عتبة ، فندفعت في صوت ابن سراج :
من حسب مصيد هائم قلب متصيد!

وطرب والله زبد فحذني بمدحني فيه فصوص من ياقوت وزبرجد فضرب
مدري فاشدرت إلى حكمة أن حده فاحدنه فاحدنه كمي فقال : حكمة لا ربح
ما صنع ، أبول أحد مدحني فاحده في كفه فقال : يا أمير المؤمنين ما أحوجه
والله إليه ، ثم خرجت من عنده فأمر لي بمائة دينار .

واقدر كان يريد من عند الملك استدعاء في معرفة بحسن الخفاء وعيوبه وقد قال
يومئذ : (١) يا عباد ، أي يريد أن تحرك عن نفسي وعيب ، فان قلت فيه
خلاف ما تعد فلا تخش أن تزد علي فعدت لك ، فان : يا أمير المؤمنين لعد
وصعدت ربك موصع لا بمصيث إلا حلال ولا برد عيبك إلا مخفي قال : إن

(١) ج ١٣ ، صفحة ١٥٦

(٢) ج ١٣ ، صفحة ١٥٦

(٣) الجزء ١ ، الصفحة ٣١

الذي 'جده في عداك لا 'جده في ساء ان سريح ، 'جد في عداك مذمة وفي
عدته احماء وليا قل محمد : والذي 'كرم أمير المؤمنين بخلافته وارتضاه لسانه
وجعله أميراً على قمة بنيته ما عدا صفتي وضعه ان سريح ، وكذا يقول ان سريح
وأقول ولكن ان رضى أمير المؤمنين أن يصحى هل وصعي د - عده فليقبل ، قل :
لا والله ولكي اؤثر الطرب على كل شيء .

هذه ثم ده برده نفسه ، يؤثر طرب على كل شيء وخاتمة هذه - بر ان معداً
سمع لحداً وعنى فاستحى برده اطارب وحمل يدور في الدار كما يدور المصير ويدور
لحواري معه حتى حرّ مفضياً عليه ووقف فوقه ما يقبل ولا يعقبان فابتدروا الخدم
فأقاموا من كان على ظهره من حواريه وحموه وقد جاءت نفسه أو كادت .

أنشدت حنيفة يوماً برده من عند المحدث : (١)

لعمرك اني لأحب سائماً ، لرؤيتي ومن محبوب سمع
ثم تنفست نفساً شديداً فقال لها : مالك ، أت في دمة نبي لأثقلته اليك
حجراً حجراً ، قالت : وما يصنع به ، بس اناء تردت ، إنا أردت صاحبه ، وربما
قالت ساكنه .

الى هذا القدر من لاهمهم بالعباب صارت حالة بعض الخدم ودا اردوا ان
نعرف خاتمة خلافة يزيد بن عبد الملك فليقرأ الخبر الآتي : (٢)

رل يزيد بن عبد الملك بيت رثس بالشام ومعه حانة فقال : رعو اني لانصعو
لأحد شيشة يوماً الى بيت لا يكذرها شيء عليه وسأحرب ذلك ثم قل ان معه :
إذا كان عد فلا يحروني شيء ولا تأتوني بكتاب وحلا هو وحانة فأتيا بما يأكلان
فأكلت ومأنة فشرفت بحبة منها فقلت فاقم لاندوها ثلاثاً حتى تعبرت وأنبت وهو
يشمها ويرشها فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه وطبوا عليه ما يصنع وقالوا

(١) الجزء ١٣ الصفحة ١٥٥

(٢) الجزء ١٣ الصفحة ١٥٧

قد صارت حيلة بين يديك حتى دن لهم في عصب ودودها وأمر فأحرق في بطن
وحرق معها لا تتكلم حتى جلس على فرسها معها دعت قال : أصبحت والله صكما
قال كثربر :

فإن يسلك عنك القلب أو يدع العبا فبالياس لسو عنك لا بالتجلد
وكل خليل رأني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد
لما أقام الا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها .

وقد روى مدني (١) به اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دونه بها قال لا بد
من أن تمشي ومشيت وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً فقبل له : يا أمير
المؤمنين . ثم أتته ، لا يرى كيف قد صارت ، فقال : ما رأيها قط ؟ حسن من اليوم ،
أحرقوها ، مسألة ووجوه هله لم رآوا به حتى رآوه عن دك ودودها
واصرى فكمد كمداً شديداً حتى مات فدفن إلى جنبها .

وقد بقيت أخبار لم تذكرها نصف حرج براد على حياية أو نصف ارادته الصلاة
عليها وقول مسنده له في ذلك ، والله في هذا كله اهتمام أي المرج بأشكال هذه
لأخبار ، فانه لا زال ما يحكمها من هذا ومن هذا حتى يصور عليه المفنات على بعض
الخطاء وتبديهم في سبيلهم وفي غير سبيل واشتغالهم من وإصرارهم عن أمور
الخلافة ، فيحرج القارىء من قراء هذه الأخبار وصورة المصافي مائلة لمبنيه .

*

* *

ننتقل الآن إلى أخبار الوليد بن يزيد .

كان يشرب بطاس من ذهب وكان يرى في بعض الأيام وفي يده حاتم باقوت

نحمر نكاد البيت بنممع من شعاعه وكان هذه الأعمور لا تكاد تكون شيئاً إذا
قيست بالأعمور الآتية، قل حماد راوية (١) :

دعاني لو أريد يوماً من الأيام في سحر وقمر صبح وعنده جمعة من مدامه
وقد سطح ، فقال : تشدني في المسبب ، فأشده أشعاراً كثيرة قد هرس شيء
منها حتى أشدته قول عدي بن زيد :

إسبح القوم قهوه في الأربى كندى
من كبيت مدامة جبذا تلك جبذا

فطارب ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنه شمس فأوما إليه فكشف
ستر خدمته فطرح منه رسول وسيداً ووصيفة كأنهم ذووا مشور وفي مدهم
الأباريق والمذاويل فقال : اسفوه ثم بقي أحد الأتقي وأنا في لال ذلك أشده
اشعر ثم رال بشرى وأسفي إلى طلوع فجر ثم لم يخرج عن حضرة حتى حملا
الفرشون في المسط فاقوه في دار العبيدة ثم أقفا حتى طلعت الشمس ، قال حماد :
ثم حضرتي فجمع علي خدي من فاحر ثوبه وأمر لي بمشقة الآف درهم وحلي
على فرس .

نظن أننا مداه تصور شكل حياهم ولا نس الاستمرار في رواية أخبار من
هذا الطرز حتى رددت تصوراً لهذه العيشة التي عاشوها .

قال مصعب : سمعت رجلاً يحدث أبي بالكوفة (٢) قال : أرسلت إلى الوايد جفنة
مملوءة قوارير فرعونية لم أر مثلاً قط فلما أمسينا صببنا فيها الشراب في ليلة أربع
عشرة حتى إذا استوى القمر على رؤس وصار في الخفة قال الوايد : في أي منزلة
القمر الليلة فقل مصعب : في الحمل وقل مصعب : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر

(١) ج ٦ ، ص ١٢٩

(٢) ج ٦ ، ص ١٢٦

ورأى بعض جلسائه: أفعلى الحصة، قل: فقلت الله أسد ما في هسي، فشررت الحصة فجاءه فقال مصعب فسأل أبي عن الحصة فقال: شرب كات فمرس تشربه سمعه أسابع فشرِب تسعة وأربعين يوماً.

هكذا كانت قصتي يا بهي.

قد يصول بعض الأحمق أني رواها صاحب الأعيان أنها حصار منطقة تصور لما انتدبر في سبع صورة لما قوما في رجل يشتري حارية بمائتي دينار ثم يبيعها بمائة ألف دينار فكان بيت مال المسلمين في تلك الأيام لا قيمة له، الرجل دحمان المقيي والذي اشتري الحارية منه الوليد بن يزيد (١).

وسمع من عمل الماء في الوليد بن يزيد أن معه أمات رأى أنه كسر دم الوليد بن يزيد والتمس أخاه متجردين في قبضين ووداهن بمشيان بين سريره حتى خرج من دار الوليد لأنه نولى امرء وأخرجته من داره إلى موضع قبره (٢).

وبلع من أسرته في سبيل الماء أنه قل يوماً (٣) لقد اشتقت إلى معبد فوجه أريد إلى المدينة فأتني بمعبد وتمر الوليد بركة وقد هيئت فثلث بالخر واما وتي معبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما وبينها ستر قد أرختي فقال له: عشي بامعبد:

لهني على فتية ذل الزمان لهم	فما أصابهم إلا بما شاؤا
ما زال يمدو عليهم ريب دهرهم	حتى قاتلوا وريب الدهر عداء
أبكي فراقهم عيني وأرقها	أن التفرق للأحباب بكاء

فمعه إليه فرجع الوليد السر ونزع ملاءة مطبقة كانت عليه وقد دفن معه في تلك البركة وهي بها هلة ثم لي ما ثواب غيرها وتنفوه بالحامر والطيب ثم قال عبي:

(١) خروء الصفحة ١٣٥

(٢) خروء ١٨ الصفحة

(٣) خروء ١٨ الصفحة

يا رب ما لك لا تحيب متبجاً قد عاج يحوك رازراً ومسما
جادتك كل سحابة عطالة حتى تترى عن زهرة متبسا
فقداه قدع له خمسة عشر ألف دينار وصار بين يديه ثم قل: إنصرف إلى أهله
واكنم ما رأيت .

وما أكثر الوليد من يربد التفت (١) ومهمك في ليدات وشرب الخمر وسط
المكروه على ولد هشام ولويد وأفرط في أمره وعينه من الدس بيمه وكروهه
وكان قد عـ لانيه بمده وم يكون له ثمن الدس بمصحه لى بعض في حلمه
وكان أقوام في ذلك يزيد الناقص بن الوليد من عبد الله بن مروان ثمنى إلى
أخيه الماس وكان أمراً صدق ولم يكن في يـ مية مثله كان ثمنه بمر من
عبد العزيز فشكا إليه ما يجري على الدس من أوليد فقال له : يا أخي إن الدس قد
ماتو بي مروون ون ثمنى مصكم في ثمر بعض كلام الله أحل لا بد من مدته فطاره ،
خرج من عنده وثنى إلى غيره فداعه جماعة من النابيه لوجوه فمد إلى أخيه ومعه
مولى له وأعاد عليه بقول وعرض له بأنه قد دعي إلى الخلافة فقال له : والله لولا
أي لا آمنه عبيث من بخامه لوجبت بك به مشدوداً وشدتك الله أن لا تسمى
في شيء من هذا فانصرف من عنده وحمل يدعو دس إلى نفسه .

وحاء في حبر آخر أن الماس قل (٢) يا بني مرء ان طل أن الله قد أرب في
هلاكم ثم أنشد :

أني أعبدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن بركة قد ملت سيامتكم فاستمكوا بعمود الدين وارادعوا
لا تلحس دس الدس أنتمكم إن الذئاب إذا ما أكلوا رتموا
لا تفرقن أبديكم طوفكم ثم لا فدية تقى ولا حذع

(١) الجزء ٦ الصفحة ١٣٢

(٢) الجزء ٦ الصفحة ١٣٢

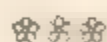
ثم كان من قتل الوليد ما كان .

وقد حدثوا على نحو ما تقدمت الإشارة إليه في بعض المصول أنه كان إذا
حصرت أصلاه يطرح ثيابه كادت عليه من مطيئة ومصنفة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء
ويؤتي بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاه ما حسن قراءه
وحسن سكوت وسكون وركوع وسجود فاد فرغ عاد الى تلك الثياب التي
كانت عليه فلذلك ثم يعود الى شربه ولبوه وقالوا فمده فعمل من لا يؤمن بالله
والسمع مهدي هدا الكلام قل اصاحه : صدقت بارك الله عليك ، ابن ثلاثة (١)



لسنا في مقام الدفاع عن الوليد بن يزيد أو في مقام الهجوم عليه وإنما جمعنا
طائفة من أحوار اللغو والتدريج من بني أمية نحسب ما رواها صاحب الأناسي
وسبقها مسبقاً على قدر لا يمكن حتى يستخرج منها صورة خلافة الأموية
لا شك في أن من خلفاء بني أمية من كثرت محاسنهم ولكن هذه المحاسن لم تفعل
فعلاً في تحييد دولتهم فقد غلبت عليها مساوئها والتدريج من بني أمية
المحسنين عن تحييد الدولة في أيامهم من تفجر مساوئهم المستبشرين عن التمتع على هذه
الدولة وأمد عرف نواجر كيف يصور وهو والتدريج في أيامهم فإن قضاء بعض
الحق شطراً من ربح في الرقص والشرب ثم ان يديرهم على الشكل الذي اطلعنا
عليه ، ثم ان نروهم وما كان يصحب هذا الترف من الشرط بطاسات من ذهب
ومن الإقامة بين حمامات من ذهب ومن الاستحمام بمصمص من باقوت ووررحد
ومن تتحم نحوهم نكاد البيوت تلمع من شعنها ، كل هذا لا يحلو من تمجيد على
على ذهب الدولة فضلاً عن الانقياد الى المفهيات وعن سلطان المفهيات في التولية

والعرل ومن بدري كيف كانت حالة الناس في مثل هذه الظروف والآلام والتذير :
ولست أعلم غيره تصور نتيجة هذه الأحوال ثم تصوير مثل العادة التي
ذكرها أبو الفرج على لسان العباس بن الوليد :
يا شحي ! إن الناس قد مروا بي مرونا
فقد لرمنا ونحن ندوس كتاب الأنبي أن بحث عن نسب هذا من وأنظر
أما قد اهتممنا إلى بعض هذه الأنساب .



هذا يسير من مظاهر اللهو والتذير في نه بي تمية ولا يهم هذه المظاهر على
قدر ما يهمه منسوب أبي الفرج في انتميه عليها ، وفي هذا مقام بين ما الفرق بين
رجل التأريخ وبين رجل من في رواية الأخبار ، فقد يروي مؤرخ أخباره
دون أن يعنى بأسرار النفس في روايتها ، قد أحب أن يذكر مقتل حليفة وهو
مير أو تدير عامل فانه يذكر هذا كله غير مدلل بسبل التعمير لأن الذي يريده
انما هو مجرد الخبر ، أما رجل الفن فانه لا يكتفي بمجرد الخبر وانما يريد أن يؤثر
رواية هذا الخبر في أذهاننا وقلوبنا فكأنما يحاول أن ينفذ إلى عمق نفسه حتى
تشمع شعوره وتدوق دوقه ، يحاول رجل الفن أن يحملنا على أن ننظر إلى خبر
قتل أولهو أو تدير نظراته نفسها فادنا استطاع أن ينفذ إلى عمق نفسه وقد
بلغ ما يريد .

لما صور لنا أبو الفرج حرج ريد من عند الملك على حيازة عرس على دهنه
مفردات اللغة فأنح منها الألفاظ التي تصور ملة حدة في قلبه أنطق تصور فانه
لما قال : فأكات رمانة فشرقت بحمة منها فماتت ، وقم لا بدفنها ثلاثاً ، حتى تغيرت
وأنتت ، وهو يشمها ورشمها لما قل قوله هذا استعان بالألفاظ التي تفسح حيازة
في عيون الناس كل اتقييح وتحسها في عين يزيد كل الحسنيين ، وأي قبح أقبح من
أن تتغير حيازة بعد دفنها ، وتنتن ، وأي حسنة أحسن من أن يشمها يزيد

ويرشعها، هذا هو أسلوب أبي العرج في رواية مثل هذا الخبر انه يجمع الأصداد
ويؤلف بينها حتى تظهر صور ربه على حقيقتها، تتغير حسنة وتنتثر، فيشتمها يريد
ويرشعها بعد أن صارت حبيفة بين يديه، ثم يقول وهي في مثل هذه الحال :
دار بها قط أحسن منها اليوم .

هذا هو أسلوب أبي العرج في تصويره للهو والتدبير في أيام بني أمية وبني العباس
انه أسلوب حي، طلق، وليس مرادي في هذا الموطن الكلام على أسلوب أبي العرج
ولما مرادي اتدبه على مهارته في تصوير أمر من الأمور، وعلى براعته في حملنا
على استقناع هذا الأمر أو استنجاذه، ونحن اذا لم نأخذ كتاب الأتاعي ولا نأخذ
أبيه لأخباره وحدها وإنما نأخذ أبيه لأمس في رواية هذه الأخبار فقد رى فيه
أخبار دولتين من دول العرب لا نرى نظيرها في كتب التاريخ .

وقد نستطيع بعد هذه المقدمة أن نحوس في الكلام على اللهو والتدبير في أيام
بني العباس وسنترك لأنفسنا الحرية في الموازنة بين الدولتين في هذا الباب.
قال عبد الله بن دحمان^(١) : رجع أبي من عند المهدي وفي حاسله مائة ألف
دينار، ودحمان هذا رجل يمي وبساتيم الخواري الفناء وبعد هذا الخبر نجد
الخبر الآتي :

حدث عمر بن شبة قال : سمى ن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين
ألف دينار وذلك أنه غنى في شهر الأخوص :

وطوف المشي اذ تمشي نرى في مشيها حرقا

فأنحبه وطرب ومنتجعه سرور حتى قال لدحمان : سلمي ماشئت. فقال : صيغتان
بأدينة يقال لهما رشان وعاب، فأقطعه أباه، فصار حرج التوقيع بذلك إلى أبي عبد الله
وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالوا : أن هاتين صيغتان لم يملكها قط الا حبيفة

وقد اشد طعامهم ولاد يهود في نهر بني نبيه فيم تقصوه ثم قال : وانه لا ترجع اليها
إلا بعد أن يرضى ، فصوح عنها على حمسين ألف دينار .

هذا قول خبر من آخر . قد في نهر بني نبيه ، وانه يستعمله لأمير المؤمنين
الامان دكرا وشما : هو نهر بني نبيه في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه في
وهما في مثل هذا الحد (الأمير) فانه حتى صوح دجها من صيغته
على حمسين ألف دينار ما نطق عند أمير بني نبيه في نهر بني نبيه :
صوح ، كان دجها من نهر بني نبيه في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه :
يرضى ، فان في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه :
تبلغ تصور ، ب قول في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه :
من أمير بني نبيه

وحاء موسى الهادي مددي وسبب اسماء في نهر بني نبيه

حدثنا في كتاب نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : (١)

لما مات المهدي ومات موسى الهادي في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
فان كان جامع واحدا في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
له حارية وكان ان جامع بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
مقطوع إلى موسى الهادي في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
رسل إلى ان جامع وفي نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
ب أمير المؤمنين في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
تلك اية في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه

عشرة آلاف دينار يظها الفصح من نهر بني نبيه في نهر بني نبيه
طاله موسى الهادي مكان في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه
قوله في نهر بني نبيه في نهر بني نبيه : هو نهر بني نبيه

مواطن الضعف فيهم فكانوا يتفحشون عليهم من هذه المواطن .

وبعد جاء ارشيد حاتم المراثب معه .

فحدثني ارشيد حاتم في غابة الجبال والكمال (١) فقال معي يوماً وأخرج كل فيه في دونه واصطاح وكان جميع من حضره من حوربه البعيت واحدم في شرب الازهار في حوربه في احسن ري من كل نوع من انواع اشيب والحوهر واتصل احمر مائه حمفر فعلق عني ذلك فترسلت إلى عليته تشكو إليها فترسلت بها عنيته : لا، انك هذا ، والله لا تردني إليك ، قد عزمتم أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على حوارتي فلا تبقى عندك جارية إلا بعثت بها إلي ونسيتني . أنه ان ثياب ليأخذن الصوت مع حوارتي ففعلت أم حمفر ما أمرتها به عنيته فاما حاتم . وقت صلاة العصر لم يشر ارشيد إلا وعنيته حرجت عليه من حجرتها وأم حمفر من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من حوارتها وسائر حوارتي . فسر عليهن غرائب اللباس وكان في لحن واحد هنرج صغته عنيته :

فلي عنه منعصل

منعصل عني وهو —

نوبت بعدي أن اتصل

بفطمي اليوم —

وطارت ارشيد وقدمت على رحنه حتى سئل أم حمفر وعنيته وهي على عيه السرور . وقد : لم أر كالיום قط ، بالمسرور لانيقين في بيت المال درهماً إلا ثرته ، وكان مدع ما ثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم وما سمع بمثل ذلك اليوم قط .

وحسن أن هذه المباره وحدها : وما سمع بمثل ذلك اليوم قط ، كافية شامية ولا بدوي لا سال ما قول في حمر مثل هذا احمر ، أنه طارة في احسن ري من كل

نوع من انواع اشيب والحوهر . ستة آلاف درهم ثره :

فعد مثل هذا عند مذكر

والرشيد حذر كثيره في امره واشتد رغبته من ضروري الانبياء عليها
واما حسدا ذكر نادر منها .

قال محمد بن محمد بن يحيى بن خالد (١) . شهدت لنا جعفر بن محمد بن وهب
يحدث يحيى بن خالد حادي في بعض ما كان يحده به من حديثه مع الرشيد قال :
يا بنت أحد بني أمير المؤمنين ثم أول علي حبيبة تحرقها حتى ادى إلى حجرة
ممدقة فتحت له ثم رجع من كان معه من حدة ثم سر إلى روضه ففتح وبي
صدره مجلس ممدق وقعد على باب المجلس ففر هارون بن عبد الله فقرأت فسمعنا
حسناً ثم أعاد النقر مسمعا صوت عود ثم عاد فقرأت فقرأت فقرأت فسمعنا
أن الله خلق مثلها في حسن الفناء وحوادة الضرب فقال لها أمير المؤمنين بعد أن
عنت صوتاً : عني صوتي فسمعنا صوتاً .

وحدثني محمد بن عمار	عن أبي الخواريزم
عن الدلائل وقدمه	عن أبي الخواريزم
إن حسداً رزقه	وكان من حسداً
قال : وطرب وبنه طرب	عن أبي الخواريزم
طال تكدي وتصدقي	عن أبي الخواريزم
نساء في الهوى عمرو	عن أبي الخواريزم
لاري بعدم	عن أبي الخواريزم

قال : فرقص الرشيد ووقف معهما ثم قال : امض بنا في حاف نرصد وما
ما هو أكثر من هذا فقصينا له ما كان عليه من حديثه مع الرشيد : ثم هذه
امرأة قال : قلت لا يا أمير المؤمنين ، قال : فليعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك و
أخباراً أم ، عبيدة بن عدي ورواه عن صاحب به بن يحيى حدة وبلغني لا فائدة
قال وسمعت حدي قول له : ففر من عطا به وبنه يقصدت فسمعنا صوتاً

وهكذا نجد في كل حجر عذرة منبره تكاد تكون روح الخبر في قوله :
ورفض الرشيد بعضا عن كل قول ، لأن رفض حقيقته غير مؤمنين لا يشبه رفض
روح من عامة الناس ، على أن هذا حجر لا نحو من شيء طريف غير يتردد الخلفاء
وخدمهم باللهو وإنما شاركهم فيه نساء القصور .

وإن كان املية هذه أخت هارون الرشيد جارية تذب عنها إذا مرضت (١)
وحرة تحضنها على أن هذه الأمور لا تدل على كثير من الترف .

ولم أبو الفرج بهذا النقط من الأخبار فإنه إذا تتبع أخبار اللهو والتبذير
أحصاها حتى لا يتفقت منه شيء وإذا لم يجدته بها أحد نقب عنها في الكتب .

قال : (٢) ونسخت من كتاب هرون بن علي قال : حدثني علي بن مهدي قال :
حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأثر قال : كنت بمرشد بالخمر شي إلى ناحية
ووجدت شي له منها مالا عظيما من هذا الخراج فوجدت به باب الرشيد و مر بصرف
بأن جمع من من حورانه فاستمعهم الناس ذلك ونجدوا به ، ورأيت أبا العتاهية
وورثه شمس حبيب فكتب له : مات ، ونحوه ، فكتب لي : سبحان الله
بأنه قد مات حبيب لي امرأة ولا تعرف كهي شيء منه ثم دخل إلى الرشيد
بعد أيام فأنشده :

أيه هون عذرة الدين وبعصا إنيكا
فأيت إلا أن تصفر كل شيء في يدك
ما هانت الدنيا على أحد كما هانت عليك

فقال له الفضل بن ربيع : يا أمير المؤمنين ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا
أمر : قال : فصل خمسة عشر من باب درهم ، وهو أبو العتاهية على مصر وشدته :
إذا ما كنت متخذاً خليلاً
فقل الفضل فأنخذ الخليلاً

(١) الجزء ٩ الصفحة ٨٧

(٢) الجزء ٣ الصفحة ١٥٤

وي الشكر الفيل له نصيب
 من خالي من دواشه خذ لا
 اواني حيث ما يمتد طريق
 وحدثني مكارمه الدنيا
 وقال له الفضل : والله لو لا أن آساوي من يؤمنين لا عطي به شئ وكر
 ساوصلها إليك في دفعات ثم أعطاه ما أمر له به رشيد وور له خمسة آلاف درهم
 من غنمه .

بكتف اباهد حين من شئ عاصم من غنمه وفسد امره في غنمه لهو
 والتدبر في طهات شعب نوفي رعية في مصطلح من الآله وكذا
 هذا حين من داس كايو من غنمه لا يعرف وحدثني به غنمه من غنمه
 القول من داس له كايو في غنمه من غنمه وكذا في غنمه من غنمه
 بأمر السلطان وكنز ما تكون من غنمه غنمه لا يعرف وحدثني به غنمه
 مذهب العيس .

واستمر غنمه من غنمه رشيد في غنمه وقال له (١)
 حدثني حظه قال : حدثني غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه
 الصبي حين اني كان إسحق من غنمه إلى غنمه لا يعرف وحدثني به غنمه
 الذي غنمه في غنمه ثم له غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه
 مائة فراس .

قوليون : الممد يطلق قد صبح غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه
 في هذا الموطن ، مائة فراس من غنمه إلى غنمه .

حدثني إسحق من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه
 له أن غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه
 يا أبا إسحاق ما غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه من غنمه

الله حب و لله ما حب في ماله لأولى كل : لأصغر ، أخرجه ، عظامه حارته خاء ،
بحاريني نعيم ، فقال : حده ما أرد ، لا مدعيت فلما و انت الحارفة دججهم إرحمي
ورحمت فقلت : أشهدك جعلت و ذلكم حرته لوجه الله و أبي فبروحت ، على عشرة
الآف درهم ، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار ، أوها إلا هذا فقال :
وفقت ، إن شاء الله .

هذا خبر حافل بالمعاني يداننا من حبه على سدر ربحان سلطان وهدانا من حبه
ثانية على سيرة المهال في أطراف الدولة فقد كان يؤت المال بوجوه و رسله لي
دار الخلافة فيعهد لهم رجال الخليفة كتبهم برفع الرسل الأمامه ل الله ، معي هذا
كله ان اسو ، قد دت في لدولة كاه في دار الخلافة وفي أطراف الدولة فهدا
الذي رسل إلى رجال الخليفة خمسين ألف دينار أو ثلاثين ألف دينار على سبيل
الهدية إنما هو موضع شبهة ، من أين جمع هذا المال .

ومن هذه الأخبار مائة ما رواه أبو الفرج وحدث في أيام المأمون وقد مدح
إسحق اوصلي في حصره فصل من ربيع ، من مكة في حجر طولان فقاظ الفضل
مدحه لهم فقال له إسحق (١) : سمع مني شيئاً أحترته به في بغداد ، ليس هو مكر
في صنائعهم عندي ولا عند أبي وبي وول ، حدث لي عار ولا فخر ، أم في بغداد
مصري بارلاً مع لي في داره كان لارن بحري بين عملي وعمامه وحواري
وحواربه الخصومة كما بحري بين عمده طلبت و شكوتهم إليه فأنبى الصجر
والتسكر في وجهه فاستأجرت داراً بقرمه و نقب إليها أنا و غلماني وحواري
وكانت داراً واسعة فلم أرس ما مني من لآلة لها ولا ابن يدخل الي من إخواني
أن يروا مثله عندي فمكرت في دت و كيف نصنع و راد فكري حتى حطرت نفسي
فبح الأحدوثه من رمل مثلي في داره حره و أبي لا آمن في وقت أن تستأذن علي
وعندي من أحششه ولا يعلم حالي ببعث : صاحب دار أو بوجه في وقت يطلب

بتاع له بها داره وجميع ما يحوزها والاصحابا وتوقع الثمن إلى الله بعد قد
 أمرت لاني إسحق عائد ثمن درهم بتاع له بها داره وصدق إياه مشاء ينفقها على
 إصلاح الدار كما يريد وبتاعها على ما يشاء في توقع ثمن إلى حقه قد أمرت لاني
 محمد إسحق عائد ثمن درهم بتاع له بها داره وسكنه وأمر له حوزة بتاع ثمن ثمن
 ينفقها على شأنها وممرتها على ما يريد وصدق له ثمن مائة ثمن درهم بتاعها ممرتها
 وأمر له بتوقع أربع إلى محمد قد أمرت لاني محمد إسحق عائد ثمن ثمن ثمن ثمن
 درهم بتاعها وصدق ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 في سائر عقده وقال له كبر في حمل ثمن وشرحت كما في حوزة سبعة
 ثمن درهم وهذه كتب لأشياء باسمي وأمر ربه وهذا مال ثمن ثمن ثمن
 فوصفه وقصته وصحت حسره خلا من ثمن في ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 ما هدا ما كبر في ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 من حسره وقالوا : لا والله لا نأخذ على شكر هؤلاء

خذ في بعض لأحد ما بقي من ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 منه قد بحث من حدود من ثمن في ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 ما كان من ثمن ثمن على يدالة حوزة ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 أيسر من ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 معهم تصرف في ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 وحظا من ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 وبسط الثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 عليهم لأمال

فأمر من ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 حدود من ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 في ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن ثمن
 لإسحق الموصلي وأشياء ما يحوزها والاصحاب وإعاهيا له ما ينفقها على إصلاحها

وورثها وقد كان يستطيع أن يدفع إليه كل ذلك من عنده ولكنه شمرن أهله في
الدفع حتى يرداد الناس بحبه لهم على أن في الشهر شيئاً من أدب النفس لا يسمي لما
أن تفعل عنه وقد دعا يحيى بعض وكلائه ورفع إليه الرقع ولم يذكر من ذلك شيئاً
لاسحق ولا أعلمه بأمر مما سار به وكيله فلبس في عطاءه من ولائى قد قرأنا
حراً مثل هذا خير ولا يستغرب بصراف الوحوه بحوم وحضوع الرقاب لهم
وافقتار لآمال علمهم على أن لذي سهم في هذا كله أى هو التدبير في أيامهم وقد
رأينا أثر هذا تدبير .

وبكاد حقل لا يصدق هذه الوحوه بي كانوا يعقون الأموال فيها حدث
إسحق قل (١) :

ذكر المصمم يوماً بعض صحابه وقد عاب عنه فقال : تعالوا حتى نقول ما يصنع
في هذا الوقت فقال قوم : يلعب يا مرد وقال قوم : معى ، فلعنني الموة فقال :
قل : إسحاق ، قلت : هذا أقول وأصيب قل : أنهم الغيب قلت : لا ولكني فهم
ما يصنع وقدر على معرفته قل : فإن لم تصب ، قال : فإن أصبت ، قال : لك حكمت وإن
لم تصب ، قلت : لك دمي ، قال : وجب ، قلت : وجب ، قال : فقل ، قلت : يتنفس
قل : فإن كان ميتاً ، قلت : يحيط الساعة حتى تكلمت فيها فإن كان مات فيها ، فقلها
وقد شمرني فقال : قد تصب ، قلت : فالحكم ، قال : احنكم ماشين ، قلت : ما حكمتي الارصاد
يا أمير المؤمنين قل : فإن رصاي لك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، ترى مریداً
فقلت : ما أولادك بذلك يا أمير المؤمنين ، قل : فاه ، قلت : ألف درهم ، ترى مریداً ،
قلت : ما تحوحي إلى ذلك يا أمير المؤمنين قل : فاه ثمانمائة ألف ، ترى مریداً ،
قلت : ما أولادك بذلك يا أمير المؤمنين قل : صديق اوجه ما رددت على هذا شيئاً .
وهكذا يجدم بصرفون الأموال في الخزائر والتخمين .

ولما ندمي إسحق إلى التوكل (٢) في وسط خلافته عمه وحزن عليه وقل : ذهب

صديق عظيم من جمال الملك وبهائه وزيلته !

(١) الجزء ١ - الصفحة ١١٠

(٢) الجزء ٥ - الصفحة ١٢٢

إن كلاماً مثل هذا الكلام يصور ما مبرلة أعده في سوس حده. وقد كان
هد الماء حراً، من جمال الملك وبهائه وزينته، من هذا الكلام يستطيع أن يتصور
رأيهم في اللهو.

وقد مضى لوائق قول في هذا معنى تابع من قول استوكي قول أحمد بن
أحمد بن (١) سمعت لوائق يقول ما عني إسحق قط إلا صلت أنه قد ريد لي في ملكي
ولا سمعته يعني عدي من سريج لا طيب أن من سريج قد شروته به حصري غيره دا
لم يكن حصراً فيتمه عدي وفي عني طيب اصوت حتى إذا احتجما عدي ريت
إسحق بعلو ريت من صلت عدي من عدي وإل إسحق من عدي من عدي من عدي
لم يحط عدي ولو أن العدي واشتد و نشاطه بشري لا شربني له بشرط ملكي
لم يحل دولة بي من عدي من عدي من عدي من عدي من عدي من عدي من عدي
كان خير حكم الوادي (٢) بنهاى إلى المصور ومنه ما يصفه به سو سلهن من علي
ويمجب لذلك ويستمره ويقول هل هو لا شرب حسن شرباً بصوته ونظر
مستمع به، فإد يكون وبلاد مطونه هذه المصور سرفة إلى أن خمس يوماً في
مستشرف له وقد كان حكم دحل إلى دحل من مود وهو راد ثم خرج عدياً
وفر حمله على نغلة له يعرفها المصور وجمع عدياً في أ يعرفها له فله، رآه المصور قال:
من هذا، فيقول حكم الوادي، حركت رأسه مدياً ثم قال: لأن عدياً من عدي يستحق
ما يعطاه قيد: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تشكر ما يملكك منه قال: لأن الأ
لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يضمه إلا في حقه.

والله في هذا الخبر أن المصور كان يحب الأسير في نفسه وممنع هذا
الأسير من ماله بعد وفاته في أيام أحمد، الذين ذهب إليهم، حركهم.
ولكن بعض أحمد، كانوا يستعظمون الأسراف بأسمهم ثم يقومون فيها فتهجرها
قلوبهم، قل أبو الفرج (٣):

(١) جزء ٣ صفحة ٥٦

(٢) جزء ٦ صفحة ٦٤

(٣) الجزء ٩ الصفحة ٣٢

ومن أخبار المعتضد بالله الخاربة مجرى هذا الكتاب ، حدثني عمي عن جدي
رحمه الله قال : قال لي عبد الله بن سلمان وكان يأنس بي أنساً شديداً القديم الصلحة
وآلاف الميثاق : دعاني المعتضد يوماً وقال : ألا تهاب مدراً على ما يراد يستعمله من
التجسس في المعقدات والآليات والبركات وصالات وحمل يؤكد القول علي في
ذلك ثم أخرج عن حصنه حتى دخل إليه بدر حمل يستأمره في إطلاقت مسروقة
وعقات واسمة وصالات سدية وهو : إذن له في ذلك كله وله حرج رأى في وحدي
بكار ما فعله بعد ما جرى بي وبه وقدس لي : يا عميد الله قد عرفت ما في ههنا
وأنا وإياه كما قال الشاعر :

في وجهه شافع عجو إسائه من الموب مطلق حينه شفه
مستقبل بالذي هوى وإن كثرت منه الاساءة مغفور لما صنعا

ومن الذين كانوا يستكثرون عطاء خلفه من الأعرابي ، قال أبو المرح (١)
أخبرني الصولي قال : حدثني محمد بن عبد الله التميمي قال : كنا في مجلس
من الأعرابي إذ دخل رجل من ولد سميد بن سالم كان يلزم من الأعرابي وكان
يحميه وأنس به فقال له : ما أحزنني عبي فاستدر بأشياء ثم قال : كتب مع محاور
عبد حصن بني ربيعة فذهب له مائة ألف درهم على صوت عناه به فاستكثرت ذلك من
الأعرابي وسئم له ، فكتب منه ولكن بلغ ما قيل في محبت من لاسرف إماما هو
فولاني تحبيلة وقد وقف أبو تحبيلة مرة على باب أبي جعفر واستأذن فيه يصل
وحملت آخر مائة تدخل وتخرج فتهزأ به فيرون شيخاً أعرابياً جلفاً فيعشرون
به فقال له رجل عرفه : كيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة فها أنباء منها :

وحده بشر ثم تطوى وطيسان يشتري فيفنى
أعد عند أو لمولى مولى يا ويح بيت المال ماد يلقى

على أن أنه بحيلة لم تقع عليه إلا على حلة أو على طلبسان ومع هذا فقد هاله أن
تكون هذه الحال وهذه الطيابة على عبيد مريد أو على مولى مولى وكيف
لو دخل قصور الخلفاء من بعد المنصور ورأى عبيده محاسنهم وقياسهم وحوارهم
ورأى العقود والخواهر التي كانوا يشترونها لهم رأى الله سره في كتاب مدفع
إلى المفسين - ومما نقل في هذا المسمى من قول أبي حنيفة :
ما يبيع بيت المال ماداً يلقى
'دافع قول وهو وحده تصور ... فذلك لا ...

الغناء في القصور

تقع نو العرج اخلفاء في كناه بقع عريبا، ودخل عليهم قصورهم وكشف عن
أسرار هذه قصور وقد خطا بدد غير يسير من حياتهم الخاصة وقد كان
يحكي عني أن شغل بعد هذه الأصول الى الماحية الأدبية في الأعالي فأناكم
على شيء من القديفة أو على لغة صاحبه وفنه ولكني وجدت أن بعض الموضوعات
لم أتوسع فيها التوسع اللازم فرأيت أن أعود إلى التوسع حتى تكون تامة وما أظن
أن شغلا من ذلك يدخل العسجر على قلوب لأن حمار الأناقي لخاصة بالدواني
المعظمين كما يحور لما يحاطي هذه الأناج .

تكلمت في الماضي على لحو بعض الخدم، وسندرم والكي رحمت الى دقاري
فوجدت فيها ما نتم هذا الالو وهذا التدبير فرأيت أن نسق هذا كله حتى نكون
المصورة التي نعرضها تامة ، أما الآن فلا نعرض في هذا الفصل إلا سلسلة من حمار
الماء ونحن أن هذا الغناء كان عاملاً من أقوى عوامل التبذير .

تمر في الأعالي عني حمار من حمار حلة ن لأبهم فشهد في الخاهية محلاً
من محاسن هذا الملك ، لاشهد مثله بعد الخاهية ، لهذا الحمار قيمة عظيمة صورتها
فيه محاسن ملوك الخاهية في الالو والشرب ، صورت لنا الأواني والرياحين فيه ثم
وصفت فيه آداب أو شئت القول في مثل هذه المحاسن فهذا لوصف وهذا
التصوير سبيلاً إلى المقابلة بين لحو ملوك الخاهية وبين لحو بعض الخلفاء والعمال
وحرراً من هذه المقابلة بصورة كاملة يرى فيها دبابكا يكون المثل الأعلى وحسناً
فيه أنه أدب ملوك .

ونرى في الخبر الذي سفلوه شيئاً أكثر من ذلك ، انه يدك على أن الشرب

انتشر في الاسلام من هذه انتشار الاسلام فكان هذا الثوب في آخر الجاهلية متصل
بأول الاسلام وهذا هو الخبر ، قال أبو الفرج :

أخبرنا وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الوفاي عن عبد الرحمن بن
أبي الزناد عن أبيه قال : سمعت خارجة بن زيد يقول (١) دعينا إلى ما دبت في آل
نسيط قل خارجة وحصرهم وحماد بن زيد قد حصرها وجلس جميعاً على ما دبت
و حدة وهو يومئذ قد ذهب صبره ومعه سه عبد الرحمن فكان إذا شئ طعام سأل
الله : أطعم يدي طعام يدين ، يعني ما يد الثريد وما يد شواء لا نه شئ مهشأ
قد قال : طعام يدين أمسك يده فلم يرفعها من الطعام ثم رتبها أحد هراقة
ولا أخرى عرّة جلست وأخذنا مزهرها وضربنا ضرباً عجيباً وعنتا بقول حسان :

انظر حبيبي ما حاق به
سهر دول الملقاه من أحد

فأسمع حسان يقول قد زري بها سمياً سبياً وعباد يمدن فدا سكتا سكت
عنه الكاء وإذا أغتتا بكى ، فكنيت أوى ابنه عبد الرحمن إذا سكت يشير
أن تغنيا فيكي اوه فيقول : ما حاجاته إلى إيكاء أبيه ، قال الوفاي : حدثت بهذا
الحديث يعقوب بن محمد الطاهري وقال سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول
قلت حسان من ما دبت بي نسيط إلى مبرله استلقى على فراشه ووضع إحدى
رجليه على الأخرى وقال : قد ذكرني راقية وصاحبها أمراً سمعته أدهي سميت
ليالي جاعليتنا مع حلة من لائهم قد سمع ثم جلس فقال : لقد رأيت عشر قيان ،
خمس روميات يمين نرومية نرايط وخمس يمين عاء أهل الخيرة واهداهن
إليه لباس من قميصه وكان بعد اليه من نغيبه من العرب من مكة وغيرها وكان
إذا جلس لشرب فرش تحت لآس و يسمين و صاف الرياحين وصرب له العبر
وامسك في صحاف لفصة والذهب وبي ناسك الصحيح في صحاف لفصة وأوقد

له العود بسدي إن كان شائياً وإن كان صائماً، فطبخ وفتح وني هو وصحة سكاء
 صبيحة يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف وفي الشتاء الفراء الفنك
 وما شبيهه، ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك
 اليوم وعلى عيري من جلسائه هذا مع حلم عمّن حبل وضحك وبذل من غير
 مسنة مع حسن وجه وحسن حديث ما رأيت منه خفي قط ولا عريضة ونحن يومئذ
 على شيراز، والله بالإسلام فتح به كل كمر وركنا الحمر وما كره وأنتم اليوم
 مسامون تتركون هذا بعيد من شيراز وأصيح من الزهر وطلعت فلا يشرب حاكم
 ثلاثة فراح حتى صاحبه حنة، ثم رما ونصرت فيه كما نصرت عرش
 الأهل فلا يشربون

فطبخ وفتح وني هو وصحة سكاء
 حاء ذكره فيه فله كمثل الحمر يقطع ثمره من قول الإسلام وهو حمله من
 حص حاره.

عند أبو المرح في كتابه فصلاً خاصاً سمّه: أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد
 أولادهم، من هذا أن طائفة منهم عنوا واشتهروا بالغناء فادع عرفنا أنهم غنوا وقد
 عرفوا بعض أوصافهم الخاصة ولم يستعرب مذهب إلى مذهب وسد رهم في سبيله وكان
 أبو المرح يحفظ في نسبة الأغاني إلى الخلفاء فقد قال في صدر الفصل الذي
 أنشأه إليه (١):

المسبوق إلى الخلفاء من الأغاني والقصائد منهم ما لم يدر به ولا حقيقته
 لا كثرة لاسيما ما حكاها ابن جرير فإنه بدأ بمرس الخطب رضي الله عنه وقد كرر
 به تنقي في هذا البيت:

كانت راكبا غصن بمر وحة

نحو والي بين جماعة من الخلفاء واحد بعد واحد حتى كان ذلك سنده مرات

من موارث الخلافة وركن من ركن الإمامة لا بد منه ولا معدل عنه بخط
خبط العشواء ويجمع جمع حاطب الليل ، وإنما عمر بن خطاب ولو حار هـ
رؤى عن كل أحد بعد عنه وإندروي به تمثل هذا البيت وقـ ركب دوة
فستوطأه لا أدته عى به ولا كان الغناء العربي أيضاً عرب في رده إلا ما كانت
العرب تستعمله من المصـ وحدث حارحري لاثـ دلالة يقع تطارب وترجيع
يسير ورفع للصوت ولدي صحـ من ذلك عن رواه هـ اثنان فأما ذكره
ما كان متقن الصنعة لاحقاً بحيداً ماء فرباً من صنعة لا وثل وهـ يكامها به
لا ما كان ضعيفاً مسخيفاً ، وجامع فيه ما انفصل به خبر له يستحسن ويحري عرى
هذا الكتاب وما تضمنه .

وإنما نجد في هذا الكلام دليلاً آخر على رقة في مرج في رواية لأخبار
وعلى تحقيقه فيها فانه لا يروي الأخبار على علانم وبنـ متحدثها ثم ذكر بعد مقدمة
التي قدما طائفة من الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ممن كانت له صنعة متممة في
الغناء مثل عمر بن عبد العزيز ولؤيد بن ربيعة وثقـ وبعثه .

فما استفتح والمصور والمستصر والمعر فمـ كخط في رده لأعي بهم ومـ كخط
عهدتها وهذا كله يدل على رقة من رواد الاطلاع على أعي الحلاء الذين ذكرهم
تو المرج وعلى أخبارهم فليرجع إليها في مصـ من كتاب لا يـ .

ويظهر أن الاطلاقات الثرية كانت تحدث في رده عـ في رقة في غناء أهلها
للناس غضاصة وعياً فادرجعنا إلى أخبار عبد الله بن العباس الربيعي^(١) وحده
فيها حراً يؤيد هذا الرأي وكان آخر طوبى وتجيصه نـ رده بن المصـ
ابن المصل بن الربيع حكى حكاية سب دخوله في الماء فقال : كان سب دخولي
في الماء وتعليمي إياه بن كعب أهوى حاربة محني رمية بن مصل بن ربيع

(١) جزء ١٧ صفحة ١٢١

ولما ولي عندنا من مراثي حارث بن خالد محرومي مكة (١) ثم إلى
الغريض فله: لأرسلت في عملي، وكاف قس طلبة ويستدعيه الإبحية
فخرج الغريض إلى حبه الطائف، وودع حارث بن خالد فردد وقب له: ه
كنت بفضلتا ومهج شعرا ولا شأنا أقبل له غريض، كات ههوه من ههه
النفس هههوه من حصوات شيطان ومثمت هههه لذب وودع من الحرم وقب
المثمة وهههه له هههه، ثم إلى الملك قد قبال، وهههه عبت في شي من شعري
قب: نعم، عات في ثلاثة أدوات من شعري، عات من شعري شعري.

بأن الخليل لما عالجوا ولا عالجوا
كان قسهم عات إلى إن رحوا
وقال له: أحسب وبنه من عات من شعري، هههه في قوله:
دايب شعري هههه من هههه هههه
ههههه كشح هههه ههههه
له شيم لا نفس ههههه
وقال له حارث: أحسب ههههه ههههه ههههه في قوله:

عفت لذيبر فما هم أهل
حيهم ودمانها هههه
في وها يحروا عدها هههه

وقال له حارث: عمر من لاوه في حارث ولا عدر في حارث ولا لده من
لا روح قد هههه ههههه ههههه في ولا ههههه لا لب كان حههه
كافيا واويا ههههه ههههه ههههه ههههه ههههه ههههه ههههه
الديه على حقيقته من ههههه ههههه ههههه.

أي حارث ههههه ههههه في حارث، وههههه من حيث تدور ههههه ههههه
الههههه ووصف طارر حياهه ههههه ههههه ههههه ههههه ههههه ههههه

نجد ولده عند الملك بن مروان إنا هي خلاصة صوره ميمشه التي عاشوها في انقديم
وهي عيشة السرور والانداء والنعيم ومنها رد أن نصف ميلهم إلى الغناء ولا يستطيع
أن يصعبه أحسن من هذا القول : وقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم
قدر العباد .

وجاء الوليد بن يزيد خفاء بالمعجائب في هذا المعنى .

كان هشام بن عبد الملك مكرماً للوليد بن يزيد (١) وكانت عند الصاحب بن
عبد الأعلى مؤدبة للوليد وكان في يده ربيعة بن ربيعة بن الوليد على اشرب والاسم
مدسه فاحمد بن هشام وشرب ونهت فازد هشام فطعمهم عنه فولاته لموسم في سنة عشر
ومائة فرأى الناس منه تهاوناً وإستخفافاً بدينه وأمر مولاه عيسى فاصلى الناس
وبعث إلى المغنين فغنوه وفيهم ابن عائشة فغناه : سليمان أجمعت ما ...

صبر أبو نيرة أدن لها أهل مكة وأمر لابن عائشة بألف دينار وخلع عليه
عده جمع وحمله فخرج ابن عائشة من عنده بأمر مكره من ابن هشام بن مروان
ذلك فتكلم أهل الحجاز وقالوا : هذا ولي عبد المسلمين ! رابع ذلك هشام فطعم
في حلقه وزاده على ذلك فأتى وتذكر هشام للوليد فمارى ولید في اشرب ولدت
فأفرط واث هشام بالوليد وحاشته ومواليه فرب بالآزرق بن رص بنين وفزارة
على ما يقال له : لا أعشق ، حتى مات هشام .

وقال الوليد في مقام آخر لاس عائشة وقد عده : فقد ركني على مثل امي
من حريرة عندك (٢)

فالفناء كان يعمل فيه عملاً عظيماً .

وقال علقويه (٣) أمرني السامون وسائر المغنين في بيته من انيا لي أن يصير اليه
مكره ليصطحب ففدوا ولقيني بكري مولى عرب وهي يومئذ عنده ، فقال لي :

(١) ج ١ ص ٣٠٦

(٢) ج ١ ص ٣٠٦

(٣) ج ١ ص ١٨٠

يا أيها الرجل الظالم المعتدي أما ترون وريحه ونسجتي ، عرب هتمة نجاشم رب في
الموم ثلاث مرات في كل ليلة . قال غلثوبه : فقلت ثم الخلافة رابعة ، ومصيت معه
فحين دحيت قلب أستوثق من باب في أنرف حتى الله فصول له بين والحجرات
وبدا عريب حاسة على كربي يطبخ بين يديها ثلاث ودور من دحاح فلف رني
قامت تمناني وتقتلني مم قالت : أيما أحب إليك ، أن نأكل من هذه القدر أو نأشهي
شيئاً يطبخ لك فقلت : بل قدر من هذه تكفيننا ، ففوت قدر معها وحملها بي
وبينها فأكلنا ودعونا بالنبيذ فجلسنا شرب حتى مسكرنا ثم فقت : يا نا الحسرت
صنعت البارحة صوتاً في شعر لأبي العتاهية ، فقد : وما هو فقال هو :

عذيري من الإنسان لا إن جفوتك دعائي ولا إن كتب طوع بده
وقالت لي : قد بقي فيه شيء قد رددته ، وهي حتى استوى ثم جاء الحجاب
فكسروا باب ابراهيم واستخرجوني ودحيت على المؤمن فلهار يته أقمت أمشي
إليه برقص وتصفيق وأنا ، أعني الصوت وسمع وسمع من عنده ولم يعرفوه واستقر فوه
وسألي المؤمن عن خبره فشرخته له فله لى : انزل وددته عليه سبع مرات
فقال في آخر مرة : يا غلثوبه خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

وبده العبارة وحده : خذ الخلافة وأعطني هذا صاحب تبع ما قل في
تصور الماء في نفس المؤمن .

ولم تقل خديجة بنت المؤمن عن أنها ميلاً إلى الماء فقد حدث محمد بن مائ
الخراعي قال : حدثني 'ملح' مصاره وكاتب من 'حسن' من عدا ونخا سميت
المطارة الكثرة استعمالها . مطار . مطب : قل : عنت شربة يوماً بين يدي فتوكل
وقفة مع الخواري : (١)

بالله قوانين لمن د الرث	اشقى الردف لمصم اخشى
طوب ما كان إذا ما صحا	وأملح الدس إذا ما نشى

وقد ربي روح حمده له أرسل فيه طائراً مرعش
يا بني كذب حمده له أو باشفا يفعل بي ميث
لو انس القوي من رقه أوحه القوي أو خدشا

مضرب التوكيد : وفي شدة : من هذا الفنا فقالت : أخذه من دار المأمون
ولا تروي من هو ، فقل له : يا ناسك الناس به ، فقل : من هو ، مدح ، فقلت أموله
لك سرراً ، قال : أنا في دار النساء وليس بحضرتي غير حرمي وقوايه ، وبسر شعر
وبعد حمية ، مدح ، فقلت المأمون ، فقلته في حادم لأمر ، كذب هواد ، وعذب فيه
هذا اللحن فأطرق طويلاً ثم قال : لا يسمع هذا منك أحد .
وبد كان له ، هدهد ، ممل في خلعه ، وأحلى بالعباد أن يكون لهم سلطان

عنه

اشترى ارشيد حارية اسمها دات الخال بسبعين ألف درهم ثم وهبها لخمويه
او صيف الكاشفة ، شيد يوماً ما وهبها لخمويه فقال له : ويلك يا خمويه !
وهذا لك حارية على أن تسمع ما أريد وحده ، فقل : يا مير المؤمنين مروا ، فمر
وقل : نحن عابدك ، فمضى فاستمع لذلك وسأله من طامن بعض حوهرين باده
وعقوداً ثم اشأ عثر اسمها يار فاجر ، إلى ارشيد وهو عليها فلما رآها أنكره
وقل : ويلك خمويه من أي لك هذا ، وبيت عملاً أنكسب فيه مثله ولا وصل
يا بني هذا امر ، فصدقه من أمره ، ثم ارشيد إلى أن يحب أخوه فاحضره
وشترى حوهر مبه وادعه له ثم حارب أن لا تسأله في يومه ذلك حاجة إلا قصدها
وسأله أن يولي خمويه حارب ، وأخرج من سمع سنين فعمل ذلك وكتب له عهده
به وشرط على ولي العهد بعده أن يتبعها له إن لم تنعم في حياته .

وما شئتير ، غناه الخلفاء وخدم أو عمالهم وإما استعصا ابيل إياه في كل

حدثني عن عبد العزيز بن الحواري وإسماعيل بن يونس قالا: حدثت عن عمر بن شبة
قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: إن معداً وابن سريج وأخريصاً اجتمعوا
مكة فحدثوا به أهل مكة وحدثت هذه الخبر فمهر إسفاد مروياً عن
يونس كان ن. من أمر مكة أمر بأخراج البقيع من الحرم وما كان في
الليلة في عزمهم على بني في عدها اجتمعوا على بني فبقيس وكان معداً قد رآهم
فبدأ معبد فقتل، كذا روي عن يونس ولم يذكره الباقر:

أترابي من أعلى معداً هذبنا أجداً البكا إن التفرق باكر
فما مكثنا دام الجليل عليكما بنهلان إلا أن تزم الأباصر
فتأوه أهل مكة ونشوا ومخطوا واندفع امرئ بصيغي:
أبها الرايح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

فارتفع بكاء والنحيب واندفع ابن سريج بغي:
حدثني الوصل بن قيس وحوذي لطف فراقه قد نسا
ليس بين الحياة والموت إلا أن يردوا جالهم فزما
فارتفع صراخ من لدن بالويل والخرن، قل يونس في حدره: واجتمع الناس
إلى الأمير فاستمعوه من نفهم فأعفاهم.

ولم يكنف ولاء بني المنين فكانوا في بعض لأحوال يحسبونهم.
حدثت خالد بن كلثوم قال: (١) كتب مع زهر، سيدة وهو ولي عليها وهو
من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأمروا أصحاب بني هاشم
وحسن عطرته فيهم خمس يعرضهم وحضر رجال من أهل المدينة شفيقوا له طرد
وخرجوه من أهل المدينة وأبروه والعممة ولدين فدعاه ثلثي سبيته وأمره
رفع حوائجه إليه فدعاه وحج فادا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا فعاد إليه عطرته
وقال: أصبح الله الأمير على الغناء حدثت هؤلاء قال: نعم، قال: فلا تطعمهم

فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط فضحك وخلي سبيلهم .

ولما لم ينفع التحريم والنفي والحبس عمد بعض الولاء إلى شيء آخر، حدث

حرير قال : (١)

حدث بعض ولادة لاديه المذنبين والمحشنين واسماء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في المسجد رجل سبى أبى جعفر مولى لابي عبيد بن أبي ربيعة الخزومي يقرئ الناس القرآن وكان ابن عائشة يلزمه ظلاً لأن عائشة يوماً أوصع مع أبي جعفر فقرأ له فطرب ورجع فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثله قط فقال له : يا بن أخي فمذت نفسك وصيبتها ؟ فبكرت المسجد وتماجت القرآن لا تمتت للناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ولا صلت بذلك من الولاء خيراً فبكرت ما دخل أدبى فط صوت حسن من صوتك فقال بن عائشة : فكيف لو سمعت يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صنع له قال : وما هو قال : انطلق معي حتى سمعك تخرج معه إلى بيته بهيعة الفرقه عند دار المغيرة بن شعبة وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم فاندفع بن عائشة معي :

الآن أنصرت لهدى وعلا المشيب مفارقى

فبلغ ذلك من شيخ كل مبلغ وقال : ما من شيء هذا حسن وأنا شفي من أسمه ولكن لا أطبه ولا أشفي به ، قال بن عائشة معي : ن سمعك فكان برصه فاد حرج أبو جعفر يتوضأ حرج ابن عائشة في إثره حتى يقف خلف حمار المصاه بحيث يسمع عناه ويغيبه أصوات حتى يفرغ أبو جعفر من وضوئه ثم يركل بعض ذلك حتى تطلقوا من لزوم المسجد

وهكذا نجد القناء قد انتشر في الحجاز والعراق فشارك أحاد بعض الولاء إلى تجميعه أحياناً أو إلى نفي المذنبين وحسبهم خيراً ، أو إلى خدمهم لزوم المسجد .
وبلغ من إهتمام أهل الحجاز بالعماء أن الذين كانوا مجتمعون في بيت في

مكة (١) وكان هذا آيت كان تمرلة : معبد موسيقى على غنة هذا المعبر ، ومعبد
قصة في هذا البيت مشهورة يرجع اليها من شاء .

أما بلاد الشام فقد كان ايل إلى اعماءهم صعيبة وكان اعماء يوحون إلى
بغين إلى الحجار فيحصرهم وقد دون لنا أبو الفرج خبر من بلان على دون
أهل دمشق وأهل حمص في الفناء قال معبد : (٢)

أرسل إلى لوبديس ريد فاستحب اليه فبدا يوما في بعض حمصت الشام
إد دخل عبيد ريد له هبة ومعه عهده فاطي واشتغل به صاحب الحمام عن سائر
الأمور فقلت والله لم تطاع هذا على بعض ما عندي لا كوس تنزحر الكلب
فاستدبره حيث ربي وبمع معي ثم ترميت فانت إلى وقال لعمري : قدموا اليه
ما هب وصار جميع ما كان بين يده عندي قل نعم سدي أن تسير معه إلى منزله
فأخذه من يدع من الر ولا كراه شيئا إلا معه ثم وضع معبد تحت لا آبي
محسن إلا حارب ما هو محسن منه وهو لا رناح ولا يحفل لما يرى في فلما
طال باليه فمرى قال : بعلام ، شبيح شبيح ، فاشيخ فله رآه هشا به فاحد
الشيخ المودع ثم اندفع في :

سلور في القدر وبلي علوه جاء القط آكله وبلي علوه

سلور اسحب احري بلغة أهل الشام قال : فجعل صاحب المنزل يصوت ويصر
رحله طرنا وسرورا قل ثم عاه :

وترمي حبة نادر فن وبحسي حبة لأرنا

لدر فن اسم حوچ بلغة أهل الشام ، قل فكاد أن يخرج من حله طرنا قل
وتسلطت منه وانصرف ولم يجد ما يقرأ مثل ذلك اليوم قط عاه فصيح ولا
شيئا أحمل .

مواكب الحج

الحج حرم من ديننا واجتماعنا وديننا ، فادب جعلت له فصلاً خاصاً سمّيته : مواكب الحج هذا سنده أن له صلة قوية باجتماعنا وأدبنا في القدم ، وقد نفع حواره أبو العرج في كتاب الأعرابي وذكر عنه أشياء كثيرة ، ولكنه ذكرها في مواطن معثرة في كتبه ، جمعت هذه الأشياء في فصل واحد حتى يسهل على القارئ إدراكها والاحاطة بها ، ولم لا أحذر الحج التي رواها في الأعرابي لما فيها أمور غير يسيرة من حياسا الاجتماعية في الماضي ، ولقد على فهمنا شعر كثير من شعرائنا الذين استلهموا الحج واستوحوه .

أبي لا أنمرص بهجج في هذا امام من ناحية الدين وهذا خارج عن موضوعي ، ولكن لا أرى مندوحة عن الاشارة إلى طبيعة مكة قبل الخوص في مواكب الحج ، فإنا بحثنا عن الوطن الذي نشأ فيه سيدنا محمد فإنا نجد أن أرض هذا الوطن لم تضحك سموها ولا أحصل شجرها ولا رقت ثيابها ولا مات بها نهارها وإنما نشأ في صحاح حال سود تدخل الكتابة على القلوب ، تحت سماء كامدة اللون ، بين صحارى صاهرة لشمس ، لا تأنس فيها العين بحصرة ربيع أو صخرة حريف ولا تنعم فيها الابدن بسوح غنائب أو بحبيب ورق أو بحر ماء فقد حرم الله سيده محمداً بحسن الطبيعة التي تفتح اعقول وتلهم المقربات وتوحى الكمالات .

وعلى لرعة من هذا كله كان سيدنا محمد يحب حاله المظلمة وقفاره الصاهرة وسماءه المائسة وسواءه عليه رقت الطبيعة تحت سماء مكة أم كدت ، وسواءه عليه نصرت حالها بالشجر أم حردت بجريدته وسواءه عليه آدنه مكة أم لم تؤده ، إنه أحب كآتهنا وطعمتها وكدتها وذن في الناس بالحج فأتوها رحلاً وعلى كل صامر

من كل فج عميق وشهدوا فيها منافع لهم وذكروا اسم الله في أيام معلومات وقصوا
تقهم وأوفوا بدورهم وطوفوا بالبيت العتيق .
هذه هي طبيعة مكة التي يحج المسلمون إليها فلندرج إلى الاطلاع على أخبار هذا
الحج في القديم .

لا شك في أن المسلمين كانوا يحجون إلى مكة قديماً فذكر كتب عليهم ولا شك
في أن أكثرهم كانوا يأتونها ليستشهدوا فيها منافع لهم ولذكروا اسم الله في أيام
معلومات وأيقصوا تقهم ووفوا بدورهم وطوفوا بالبيت العتيق .
ولكن لا بأس بأن نحيط بطائفة من الأمور التي كانت بحري في الحج ، ومن
هذه الاطاعة تزيد في تصوير الحج من ناحيته الاجتماعية ونسبها على فهم جزء من
شعرنا صدر عن مؤرخه .

نقد عرفنا شيئاً من طبيعة مكة ، ولا شك في أن مثل هذه الطبيعة لا يمكن أن
تكون حصية لمن جملة حكم الحج جلب الناس إلى مكة وما حاورها في كل سنة حتى
يسبقوا فيها من أموالهم وحتى يمشي من هذه الأموال أهله وهذه رعيه وطبيعة
بيضة تداء على مقدار تعلق سيده محمد بوطبه وعلى مبلغ حبه لهذا الوطن فقد فكر
فيه وفي خير أهله كل أيامه ومهد لهم سبيل معاشهم بهذا الحج الذي كتب على
المسلمين ، قال أبو الفرج (١) :

حدثني الحسن بن علي قال : حدثني حمد بن محمد الطائي قال ، حدثني
أبو دؤب العسمر بن عيسى الميخلي قال : سمعت ورثت أبو العتاهية واقفاً على
أعرابي في ظل ميل وعليه شملة إذ عطس بها رأسه بدت رحلاه وإذا عتبي رحبيه
مدار رأسه فقال له أبو العتاهية : كيف احترت هذا البلد القفر على البلدان المحصنة
فقال له : يا هذا لولا أن الله قنَّع بعض العباد بئر البلاد ما وسع خير إلا جميع
البلاد ، فقال له : فمن أين معاشكم ، فقال : منكم معشر الحاج ، ثم روى فقال من

فصواكم ونصرفون فيكون ذلك ، فقال : يا عمر وسصرف في وقت من السنة
فمن أن معاشكم وطرق الأشرار ثم قال : لا والله لأدري ما أقول إلا أني أرى
من حدث لا يحسب أكثر من رزق من حيث لا يحسب فولي أبو العتاهية وهوية قول :

ألا ياطالب بالدنيا دع الدنيا لشانك

وما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيك

هذا خبر مصدق ما قبل ، فإن هذا مكة وما حاورها كانوا يعيشون من
الحج وحبره ولكن خبر يشتمل على شيء غير هذا ، فإن حج أوحى إلى شعرائه
في هذه بعض شعر ، ولو لا ما سألني ، بيانا من أخبار هذا الحج فمضت عليه فبه
هذا النوع من شعر ، وفي ذكر بيتي في تهذيبه دليل على ما قبل .

ولأن من ذكر حدث من الشعر الذي في قوله الحج إلى وريق من الشعر .
يقول أبو العرج في خبر حديث بن خالد الحارثي به تحيد شعره قرش
المدودين المليلين وكان يذهب مذهب ابن أبي ربيعة لا يحاورهم إلى مدح ولا
المجاء وكان هوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشيب بها .

قدمت عائشة بنت طلحة مكة ترصد العشرة (١) فلم يزل الحارث يدور حولها
ويظهر إياها ولا تمكنه كلامها حتى حارثت فاشتاق قول وذكر في هذه الأبيات
شيرة خاصم وكسبي غيرها :

يا أبا نفع رستمها بين المحض والحجون

نقوت وعيتر آه من خودت واسين

وسدد لم صلب خج رويته بالذالين

يا نسر أبي فاعلمي والله محمد بن يحيى

ما ل صرحت حالك فصلي حبال أوزيني

وهكذا يحدث بعض خبر لا يعني ما يوضح ما الشعر الذي وجاه الحج إلى سجده .

ولقد أوحى الخج إلى الخوث من حلد كثير من هذه الآيات وبما الخوث من
حلد واقف على حمرة العقبة (١) إذ رآني مكر وهي ترمي الحرة ورأى أحسن
الإناس وجهاً وكان في حدها حار طاهر فآل عنها فآجر أجمع حتى عرف راحته
ثم أرسد إله يسألني أن أدن له في حديث فآذنت له فكان لي يوم يتحدث إلي
حتى انصبت ثم الخج فأر دت خروج إلى بلده فقال فيها :

الاقل لذات الخال باصالح في الخد	مدوم به نائب على حسن العهد
ومها علامات عمجري وشهها	وأحرى ترين الحيد من موضع العهد
ورعى من الود الذي كان يسا	ثم يستوي رعى الأمانة والبيدي
وقل قد وعدت اليوم وعدة عمجري	ولا تخافي لاجير في خلف الوعد
وحودي علي اليوم منب من ثل	ولا تخلي قدمت قلبك في اللحد
فمن د لذي دي - برور - دت	بث لدر و يمتي ساك معدي
دونكم ما رجاه سبيله	وبانكم والعد حيد على حم د
كثيراً إذ بدو من نلي و - موى	ووحدي د ما شتم إله كالوحد
أقول ودمعي موف ددي متحصل	له وشل قد دل هتبه حدي
منه منج انه الحيلة ود	وما منج ودي بدعوى ولا قصد
وطافت بيلي سب في ممره من ممره من مسعود ومها ميمونة بنت أبي سفيان	
اس حرب بالكعبة (٢) ورآه خوث من حلد فقال فيها :	

طافت به شمس نور ومن رنى	من الناس شمساً بالمشاء نضوف
أبو أمته أوى قرش بدمة	وأعمامها مئاة سأت نفيف
ولكن أكثر اشعراء حاراً في خج إعا هو عمر من بني ربيعة .	
حدثت أسببته من ولد عبد الرحمن من أبي بكره (٣) وكاتب من حميل	

(١) حر ٣ نسخة ١

(٢) حر ٣ نسخة ٢

(٣) حر ١٠ نسخة ١٣

النساء فأبصرها عمر بن أبي ربيعة فلما انحدرت إلى العراق اتبعها يشيخها حتى بيع
معهما موضعاً يقال له : الحوريق فقات له : لو بلغت إلى أهلي وحطفتي روجوك فقال
لها : ما كنت لأحلط تشيبي إياك بحطة ولكن رجع نحا نيكك خاطباً ورجع ومراً
بالمدينة فقال فيها :

من البكرات عراقية تسمى ثمينقة أطربتها

ثم أتى بيت حميلة فسألها أن تبي هذا الشعر ففعلت فاعجبته ما سمع من حسن
عاشها وحوود نأليها حسن موقع ذلك منه فوجه إلى بعض موالياته ممن كانت
تطلب الغناء أن تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها ، فطارحتها إياه أياماً حتى خذقت
ومهرت به فلما رأى ذلك عمر قال : أرى أن تخرجي إلى سبيعة وتغنيها هذا الصوت
وتبلغيها رسائي ، قالت : نعم ، حمالي الله فذكر ، فأتته ورحلت بها وأعلمتها الرسالة
فحييت وأكرمت ثم عسا فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر
ثم عادت إلى رسول عمر فأعلمته ما كان وقات له : بها حارحة في تلك السنة فلما
كان نون الحج استأذنت سبيعة أنها في الحج فأتى عليها وقال لها قد حججت حجة
الأسلام ، فقالت له : تلك حجة هي التي أسهرت أيلي وطاب هاري وتوقتي إلى
أن تعود وترور البيت وذلك أقبر وإن لم تأذن لي مت كدماً وعماً وذلك أن نقاني
بما كان لحضور الوقت فإن بثت صوت لاشك بأرل بي فلما رأى ذلك أنوها
رواها وقال : ليس يسعي منعهما مع ما ترى ما فادن لها وواي عمر المدينة ليعرف
حبرها فلما قدمت عير بذلك وسألها أن تأتي منزل حميلة وقد سبق إليه عمر فأكرمتها
حميلة ليلة وسررت بمكاتها فقات لها سبيعة : حمدي الله فذال فديني وسهرني صوتك
بشعر عمر في فاشمعي إليه ، قالت حميلة : وعزارة لو حبت الحليل ! فبها الصوت
فأعني عليه ساعة حتى رشح على وجهها الماء وثاب إياها علفاً ثم قالت : أعيدني علي
فأعدت الصوت مراراً في كل مرة يُنفثي عليه ثم خرجت إلى مكة وخرج معها
ولما رحت مررت بالمدينة وعمر معها فأتت حميلة فقات لها : أعيدني علي الصوت
فعمت وقامت عليها ثلاثاً تسألها أن تعيد الصوت فقالت لها حميلة : بي زبد أن

عَنْكَ مَوْتًا فَاسْمِعِيهِ وَت : هَاتِيهِ يَا سَيِّدِي فَمَسْهُهَا :

كنت املحظة أن توصي
لاحير في اللب وريتها
لاصولي بها بدد حسرت
ورمت فوء آدء عند بطرتها

وأطمن في راثر رمي
ما لم يوفق نفسها في
كاد رثوق من اشمس
علاحة الاثر و لانس

[illegible]

قلت من ثم بعدت وفات أم سعد سؤلث ، ما نيت
ودكر الأبيات ، وقد رث عمرها ، حتى رزحها وولدت له ، أما لأبيات
وهذه هي (٢) :

نحن من ساكنی اعراف و کد، و الله فطیر مبینة حیا

(١) الجزء ١ الصفحة ٨٦

(٢) الجزء ١ الصفحة ٨٤

قد صدقت إذ سألت من أ
ت عسى أن يحرق شأن شؤونا
وري نسا عرفناك باله
ت بطن وما قبلنا يقيننا
سود اثنتين ومن
قد راه لناظر مستبيننا

فلما الشعر صلة بالبحر ، فله عمر في حارية التي كانها القمر وهي امرأة من
'حجج' (١) كان نوحا من أهل مكة فولدت له حاربه لم يولد مثلها بالحجاز حسناً
ومن أنوعها كان في بها وقد كبرت فتشبه بها عمر بن أبي ربيعة واضعها ونوعها
كما ومن نسا وربش والله لا أفت بمكة فإع ضيعة له بالطائف ومكة ورحل بانيته
إلى البصرة فأقام بها وانتاع هناك ضيعة ونشأت ابنته من أجل نساء زمانها ومات
نوح ولم تر أحداً من بني حجج حصر حاربه ولا وحدث لها مسعداً ولا عليهما دخلاً
ومات لدايه لها سوداء : من بحر ومن بني الدار بحن . فخرم وقالت : لا حرم والله
لا أفت في هذا المذ الذي فيه عريته وعت ضيعة وخرجت في أيام الحج
وكان من أمرها مع عمر بن أبي ربيعة ما كان مما تقدمت الإشارة إليه .

هذا شيء مما كان يجري في الحج بين بعض الشعراء وبين بعض النساء ومنه
يدل على أن الشعراء كانوا يحدون في الحج فرصة تمكنهم من إظهار هيئاتهم وزيهم
بعض من النساء والتشبه بهن حتى كان بعض الناس يخافون أن يصبحن فيهن نوت
منهن من مكة إلى البصرة أو إلى غيرها من المدن فكأن أن أصبح جزء من دنيا
فكذلك نجد جزءاً من أدبنا تعيقنا حملة من أخباره على فهم هذا الأدب .

وقد كان الخلفاء أنفسهم يخافون تعرض الشعراء لبياتهم والتشبه بهن .
حيث نزلت بعد ذلك من مرو (٢) فكتب الخليفة إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعده
إن ذكرها في شعره أكل مكرهه وكانت نحب أن يقول فيها شيئاً وتعرض لذلك
في بعض حواف من الاحتجاج وقد قصت حجبها خرجت ثمراً بها رجل أقال له : من

(١) الجزء ١ الصفحة ٨٥

(٢) الجزء ٢ الصفحة ١٢٤

أت قال : من أهل مكة ، قال : عيب وعي أهل مكة لله ، قال : وه داء .
 قالت : حبيب وقد حلب مكة ومعي من حوري من الأعراس مثلين في استطاع
 الماسق من أبي ربيعة أن يرهنا من شعره ، فلم يرهنا في شعره في سه ، قال :
 فاني لأره الأقدوس ، قال : فإني لأره الأقدوس ، قال : فإني لأره الأقدوس ،
 ثمضى به في حيرة فقال : قد فعلت ما كنت أريد ، قال : ففعلت ما أردت .
 راع يؤد برفق لأحب
 وهو طوبى ونشأه .

هنا في ذكر لأحب
 وهو طوبى نصاً وهو في رجل فأنشده ، في بيتين قدوة .
 ما وعدته .

وكا كان حبيب حر أم من حبه ، لأنهم فكذلك كان حبره من حبه ، لا حمية
 حدثت بعض أهل أبي ربيعة ، قال : فإني لأره الأقدوس ، قال : فإني لأره الأقدوس ،
 حجتنا فلما كان ، نجمع نجمع ، نجمع نجمع ، نجمع نجمع ، نجمع نجمع ،
 الناس كانوا به نجمع ، من حبه ، من حبه ، من حبه ، من حبه ، من حبه ،
 جماعة من أهل مكة فقالوا ما نعرف اليوم أحداً أحسن غناء من امرئس وهدان
 على ذلك أنه بعرض بصوته الحاج وهم في حجهم فيصفون إليه فسألو امرئس عن
 ذلك فقال : نعم ، فسألوه أن يبينهم فأجابهم وأخرج فوقف حيث لا يرى ويسمع
 سونه وترجم ورجع ، ووه وعي في شعره ، من أبي ربيعة :

نهما أرنج الله تنكار
 قد نصي من ترمه الأوطار
 في سمع سامعون شئ كان حسن من ذلك الصور ، تنكده الناس لقول :
 طائفة من الخن حجاج .

وكان ابن سريج عند بستان ابن عامر يعني (١) :

من نار دُعَى حُبِّه ما دون دثر ما نَحْوِ
أرقت لذكر موقعها فغن "لذكرها القلب
إذا ما أخذت ألقى عليها المنديل الرطب

فعمل الحاج^٢ يركب بعضهم بعضا حتى جاء انسان من آخر القطارات فقال
يا هذا قد وضعت على الحاج وحسنته ولوقت قد صدق فانق الله وقم سهم فقام
وسار الناس .

وربما غنى ابن سريج صوتا على حمرة العنقه فطاع طارق الداهب والحائى
حتى تكسرت الحمد (٢) .

وحرج ابن جامع وعمرو بن أبي السكات حين دوما من عرفة حتى اذا كانا بين
المرمين جلس عمرو على طرف الحبل ثم اندفع يعني فوق القطارات وركب الناس
مصبين مصدا حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا الله الله ! اسكت عنها يحجز الناس مضبط
إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مزدلفة (٣)

ووقف ابن عائشة في الموسم (٤) فمر به بعض صحابه فقال له : ما فعلك فقال :
ابى لأعرف رجلا لم نكلمه خمس اسبوع بذهب أحد ولم يجي فقال له : ومن
هذا الرجل قال : أنا ثم اندفع يعني :

جرت "سنتحا فقلت لها أحيزي نوى مشحولة فتنى الاقواء
نقسي من تذكره مقام أعالجه ومطلبه عنساء
قال : فحبس الناس واضطربت الحامل ومدت الابل أعناقها وكادت العنمة تقع .

(١) الجزء ١ الصفحة ١٢٢

(٢) الجزء ١٠٠ الصفحة ١٥١

(٣) الجزء ١٨ الصفحة ١٢٧

(٤) الجزء ١٨ الصفحة ١٢٧

عزل وعاء ، هذا بعض ما كان يجري في مواسم الحج ولولا أن الفرج ما استطاعنا أن نلم بأخبار من هذا النوع ، به لم يتبع أخبار الحج من يوحى القيس بما فرضه الاسلام على الحاج لأب ذكر تشدد هذه الأخبار من مدانه الأمور فالمسلمون يأتون مكة رجالا وعلى كل ضامر من كل فتح عميق يشهدون فيها معاهج لهم ويذكرون اسم الله في أيام معلومات ويقصون نفهم ويوفون بذورهم ويطوفون بالبيت العتيق ، فادق اتبع أبو فرج أخبار المسلمين من هذه الحجة والأيام في طريقه ، ولكنه أراد أن يعرف ما يجري في الحج من الأمور التي لا يصلحها إلى كل واحد ، أراد أن يصور شكلا من حياة المسلمين في الحج في عرلهم وعنائهم وذكر من هذه الحجة ما نصي ، بعض الظلمات ، وهكذا تحده في مجموع أخبارهم ثم لا يمكن الوقوف عليه في كل كتاب وسواء تكلم على الحرية ومودة أم تكلم على لحو الحلفاء ، وبديهم أم تكلم على شيء من أحياء الاحياءية إله لا مذهب إلا إلى طرائف الأمور ولا شك في أن يرى في مذهبه ما تمم أرغما ويوصيحه وباقي صبا عليه . ولا بأس بعد هذا كله بأن تشهد بعض مواكب الملوك والحلفاء في الحج .

قال أبو عمرو الشيباني (١)

ما سلم حيلة من الأناس فساني وكان من ملوك حقه كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له ففرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من أهلك وعسان حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر بعلمه فقدمه وسر عمر وصون الله عليه وأمر الناس باستقباله ومث به بأمر من أمر حيلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الحيل معه وودد دسها ولبسوها ولأند الذهب والفضة ومن حيلة صاحبه وفيه قرط مربية وهي حذته ودخل أمدهم فم يدي بكر ولا عانس إلا ترحلت وخرجت تنظر إليه وإلى ربه فلما انتهى إلى

عمر رحت به وأعلمه وأني محاسنه ثم أراد عمر الحج فخرج معه جيلة فينسأ هو يطوف البيت وكان مشهوداً بوجهه إذ وطئ بأرضه رجل من بني قريظة فحمل فرفع جيلة يده فبشمه فبشراري فاستعدي عليه عمر وضوان الله عليه فبعث إلى جيلة قائده قال : ما هذا قال : نعم يا أمير المؤمنين انه تعمد حل إزاره ولولا حرمة الكعبة لشررت بين عينيه بالسيف فقال له عمر : قد أقررت ! فلما أن رضي الرجل وبما أن فيه منك قال جيلة : ماذا تصنع بي قال : أمرهم أنفك كما فعلت قال : وكيف لك الأمر يا مؤمنين وعمره سؤقه وأسلمك قال : ان لا سلام عليك وبه المست نفسيه بي إلا بأبوي والعافية قال جيلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين اني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية قال عمر : دع عنك هذا فإني لم رضي الرجل ودته منك قال : إذا أنصرت قال : إن نصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإني أرتدب منك ولما رأى جيلة الصدق من عمر قال : ما طر في هذا يلقي هذه وقد اجتمع بياب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير حتى كانت تكون بينهم فتنة فبما أمرو أن له عمر في الانصراف حتى إذا به الناس وهدأوا فحمل جيلة بحبله ورد حبه إلى الشام فبمحب مكة وهي مبهمة بالواقع المراسي إلى شام فحمل في حمة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ودخل إلى هرقل فتعصر هو وقومه فبشر هرقل بذلك حدة وطن أنه فتح من أنموذج عصمه وقطبه حبث شه وأحرى عليه من التزل ماشاء وجعله من محدثيه ومتماره .

ليس في هذا الخبر ما يلفت الذهن إليه إلا موكب جيلة وتظهر على هذا الموكب آثار رعة سمع في هذه مصره أرسيفو حبة ولا شت في أن هذه الآثار انتقلت إلى حبة من آثار في دمشق وقد كانت مواضع موكبهم فيها مشهورة ووطن أن مبهمة لما كان عاملاً على دمشق ثم إلى الخلافة منى على آثار الروم في موكبهم .

وكن في الخبر شبة آخر مهملة قال حبة ما دخل المدينة لم يبق فيها بكر ولا عالس إلا تهرجت وخرحت بغير النظر إليه وبغير عرفنا شدة عمر رضي الله عنه في خلافته

استقر هذا الترح في أيامه فمضى هذا أن الترح صبر على الرعة من شدة
 ما معاوية فأنه من مواعيد له حج حجتين في خلافة و كان له
 ثلاثون ليلة يحج بها بساوة و حوارية (١)

ويظهر أن بغلات معاوية الشهب اللواتي كان يحج عليهن كانت مشهورة في أيامه
 فان عبد الله بن الزبير (٢) لما شمر بالأمر الذي زاده و انس بمقري و شمر طلبة و قد
 ائما نطلي شمر و ما عسى أن يسع شمر و حمل بطهر عيب بي أمية و يدعو إلى خلافتهم
 مضى إلى صعدة بنت أبي عبيد الله روجه عند سدس عمر و ذكر له أن حروجه
 كان عضاً لله تعالى و رسول له عليه السلام و ما حرس و الأثر من شمر معاوية
 و ابنه و أهله ما هي و سألهما شمر أن يسمعه بهما فدمت له عشاءه ذكرت له أمر
 بن الزبير و احصاه و ثبت عليه و قد : ما يدنو لا إلى طبعه الله حتى و عبر
 و أكثر القول في ذلك فقال لها : أما رأيت بغلات معاوية هو في كان يحج عليهن
 الشهب فان ابن الزبير ما يريد غيرهن !

وهكذا بعد بغلات معاوية في الحج و قد دم من شهره معاً حملت ابن زبير
 بشمر للخلافة طمعاً فيها .

وحج هشام بن عبد الملك و عدله الأبرش الكلي (٣) و قد دم له حبين بطهر
 الكوفة معه عوده و راحته له و عليه فقتنيه صفة فمارة هشام عرض له فقل
 من هذا فقيل : حبين ، فأمره حمل في حمل على حمل و عدله و امره و سيره
 أمامه وهو ينمى :

من سبهي بطهر الكوفة لا يـ و اطلد

بلوح كما تلوح على حنون تصيفد الحبل

(١) جزء ٣ صفحة ١٦

(٢) الجزء ١٠ صفحة ١١

(٣) الجزء ٢ الصفحة ١١١

فامر له هشام بمااتي دينار وللز امر عانة .
وهذا مديا علي أن خاله فيهم كانوا يهيمون بقطعة طرق الملح سماء الخشاء
 ولا يرون بأسا بذلك .

ولما حج سليمان بن عبد الملك (١) سبق بين المغنيين ببدرة سقاء ابن سريج وقد
 أعلق الباب فلم يأت له الخاحب فأمسك حتى سكتوا وغنى :

سرى همي ، وعم المرء يسري ...

أما حج الوليد بن يزيد فقد وصل إلينا من مواكبه مايلي (٢) :
 حسن الأنحر ومعه من المميين في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب
 من التسعين فادا عسكر جرّار قد أقبل في آخر الليل وفيه دواب مجتبى وفيها
 فرس أدهم عليه سرح حليته ذهب فاندفع ففنى :

عرب ديار يحي حليته ففرا كان بها في نومتها سطرأ
 بعدا سمعه من في اقرباب والمامل أمسكوا وصاح صائح : ويحك أعد الصوت
 فقال : لا والله لا تاهرس الأدهم سرحه وأرملة دينار فاد الوليد بن يزيد صاحب
 الأمل صودي : في مراك ومن أنت فقال : أنا الأنحر ومر لي على باب رفاق الحرّار من
 فخر سبيته رسول الوليد بذلك الفرس وأربع مائة دينار ونحت من ثياب وثني وعير
 ذلك ثم نفي به الوليد فأقام عنده وراح مع أصحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة
 وخرج معه أو بعه إلى الشام .

وقد أمر هشام الوليد بالحج من مكة عند أهل الحرم فيجد السبيل إلى حرمه
 فطير منه أكثر مما ترده من المشاعل بالمغنيين واللهو ،
 هذه جملة من أخبار حج بني أمية ومنها يتبين لنا أن خلفاءهم لم يقل اهتمامهم
 بالعمارة في مواسم الحج .

(١) ح ١٠ ص ١٢٢

(٢) ح ٣ ص ١١٣

فما هو العباس فقد حدثت رحلته من حصن قل (١):

خرج المصور فاستقبحه نازحهم بين زبدية واشعوى الماء رحل من الشقوق
رحل في وقت الهاجرة وهم يركب قبة وركب بجهد فصار بيد شفت الشمس
تصيحك بين عيبيه وقال: لي قائل بيننا فمن أحارده وهب له حاتي هذه، فقد يقول
أمير المؤمنين، فقال:

وهاجره نصب لها حبيبي
يقطع ظهورها ظهر العظاية
فدر شبر الأعمى فقال:

وقفت بها القلوس ففاس دمعني على حدي وأقصر واعطايه
فخرج الختة وهو راكب فدفعها اليه فقلت لبشار بعد ذلك: ما فعلت بالختة،
فقال لبشار: بمنى والله بأومعانة دنار.

فالمصور كان اهتمامه في الخج بالشعر بدلا من أن يكون عتاه بالقاء.
ولما ولي المهدي الخلافة وحين (٢) أوفى في قريش ولا نصار وسائر الناس أموالا
عظيمة ووصفهم صلات سنية خست أحواله بعد جهد نجات الناس في أيام أبيه
لنصرهم مع محمد بن عبد الله بن حسن وكانت سنة ولانته سنة حصن ورحص
فأحبه الناس ونزكو به وقالوا: هده هو المهدي وهده اس عه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسميه، فنقود ودعوا له وأبو سبيه ومدحته الشعراء فمدح عييه في
الناس فرنى ابن مولى فأمر بتقرسه فقرب منه فقال له: هات يا مولى الأنصار
ما عندك فأشده:

باليد لا سخي، يليل نازد
وأنشى بذلك داء الحاتم الصادي
وتحري عده كات نسا ملا
قد جاء ميعادها من بعد ميعاد
ماصرة غير أن يدي موده
إن الحب هواه ظاهر باد

(١) الجزء ٣ الصفحة ٣٨

(٢) الجزء ٣ الصفحة ٩١

ثم قال فيها يصف ناقته :

نطوي اللاد إلى جيم منافع	فقال خير اعمل الخير عواد
المبتدئ إليه من منافع	خير روح وخير باكر فاد
أعي قريشاً ونصاراً من	باسحدين باسعاد واحمد
كانت منافع في الأرض شائعة	نرى وسيرة كالماء لصادي
حليقة الله عند الله والده	وأشبه حرة تنحى لانجساد
من حبردي من في خير راية	من القول ايها معقل النساد

حتى ألى على آخرها فامر له بشرة الاف درهم وكسوة وأمر صاحب الخاري
بأن يجري له ولعباله في كل سنة ما يكفيهم وألحقهم في شرف المعطاء .

محاكمات

هذا آخر ما حدث من نشر اليه من موضوعات كتاب الاعيان ،
وخص أنه قد رسمت في ذهنا صورة هذا الكتاب فاذر كنا بعض الادراك
ماشتمل عليه من عظام الامور ، ولم يبق الا ان نكتب على بعض ما ذهب اليه
فيه وعلى لغة صاحبه ووجه ، ولكي نل الخوض في هذه الموضوعات المهمة نعرض
لشي من محاكمات التاريخ .

انهدى إلى استاد في كلية الآداب في حر راحه راضي بالله والنتي بالله
لحمد بن يحيى الصولي وقد رحب لي اللغة بمسبة وحنن له مقدمه ، قد في حمة
هذه مقدمة : لاهم الصولي الا حواس الامور ونفسيه وهذا شأن المؤرخين
العرب ، انه لا يفي بالوصول إلى روح مبعث في الحوادث وتفسير هذه روح
بما حدث عن الأسباب والعلم .

لقد رتب في هذا السلام شيئاً من مصوب ويسهل عليه ، فإني الاستد
، كالمز ، وهو صحت الترجمة التي نشرت في ، كتاب الاعيان فيه أشياء كثيرة
من حواس الامور خفية ولا مراء واحكام من تفصيلها ولكن المؤرخين إذا بحثوا
عن حوادث احسبهم اهموا بحث عن أسبابها وعلمها وقد تكون هذه الأسباب
والعلم في حواس الامور وتفصيلها في أهملوها فإذا أردنا أن نبحث عن صف
بي هاس في آخر مصنفهم وعن الأحداث التي حدثت في خلال هذا المصنف
كالمز في بغداد والسبب ، هت واقترن والحرى و الاعيان وسبب الناس
وثورهم ، غير ذلك ، وإحالة إذا أردت أن تشرح التاريخ لاحم في الاقتصاد
في وحر بي هاس ربما أن رجع إلى أمورم الخاصة وإلى تفاصيلها حتى نهتدي
إلى بعض الأسباب في صنفهم الذي أدت إلى كل هذه الأحداث .

لا أريد أن أقول أن مظاهر لاهوت والتبذير التي شهدناها طائفة منها كانت السبب في الأحداث التي حدثت في بغداد في أواخر بني العباس وإتد الذي أريد أن أقوله أن هذه المظاهر كانت مقدمة لا محال لبني العباس ونقراضهم وما صنعوا هذا الصمم في آخر دولهم حدث ما حدث ، فليس من المنطق في شيء أن يستمرسل الخلفاء والأمراء والعلماء في هذا النحو من التبذير الذي عرّض علينا أبو الفرج حملة من مظاهره وأن يسكت الناس عنهم وإذا لم يستطيعوا أن يعلموا عصمهم على هذا إظهار من الحياة وقد أحفوه ولكن هذا الإحشاء لا بد له من أن يتفجر في يوم من الأيام وقد انفجر في أواخر دولة بني العباس ، صمم هذه الدولة فاستطال عنها من استطال ولم تبال العامة بهيبتها وحرمتها وكيف سالي هيبة دولة كانت عظماء حلفائها يتكلمون أرحل الخواري في سكرهم فإذا اعتبنا هذا الاعتماء بأخبار الأتباع في لاهوت الخلفاء وسدورهم فاعلمنا لآتنا رى في هذا لاهوت والتبذير سداً قوه من أسباب روال بني أمية وبني العباس .

وقد نحرّد ابن خلدون في مقدمته للدفاع عن الرشيد و بأمون حكى بمص حكايات رواها المؤرخون في سبب سكة الرشيد للأرامكة من قصة العماسة فحدثه مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة ثم قال :

وما ما نموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الحجر واقترا نسكره نسكر الدمان خشي الله ما علم عليه من سوء وأبن هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمصب الاخلافة من الدن والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاوراته للفصل بن عباس والملك بن المعري ومكانته سفيان الثوري وكانه من مواعظهم ودعائه مكة في طوافه وما كان عليه من العادة والحظوة على وقت الصلوات وشهود الصبح لأول وقت ، حكى طبري وعبره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافذة وكان يقرأ عاماً ويحج عاماً ولقد رحر بن أبي مريم مصحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة ، سمعه يقرأ : وما لي لا أعبد لذي فطري وقال : والله ما أدري لم ، فما تمالك الرشيد أن صحك ثم التفت اليه مغضباً وقال : يا ابن

في مريم ا في الصلاة أيضاً ، إيتا ، إيتا ، والقرآن ولدي ولك ماشئت بعدم
وأيضاً فقد كان من الميم والسداحة فكان تقرب عهده من سلفه المتحابين لذلك ولم
يكن بينه وبين جده أي جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاماً .. ثم قال : وكيف
يميق بالرشيد على قرب العهد من هـد الخبيثة وثبوتها وما ربي عليه من أمثال هذه
اسير في أهل بيته والتجلى بها أن يعاقر الخمر ويحاهرها وقد كانت حالة الأشراف
من العرب في اجاهلية في احتساب الخمر مدلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكانت
شربها مدممة عند الكثير منهم و رشيد وثبوتها كانوا على تسخ من احتساب المدمومات
في دينهم وديارهم والتحق بالحامد وأوصاف الكرم وزعت العرب ... ثم قال :
وتبين من ذلك أن حال الرشيد في احتساب الخمر كانت معروفة عند بطائنه وأهل
مائدته وأقدت عنه أنه عهد بمحمد بن يوسف ما بلغه من أسهاكة في المعاقرة حتى
تاب وقنع وإنما كان الرشيد يشرب بهذا التمر على مذهب أهل العراق وقت ذلهم
فيها معروفة ومثلاً الخمر اصرف ولا سبيل إلى نهامة به ولا تقيد لأحبار الوهية
فيها فلم يكن يرحل بحيث يواقع محرماً من الكرم الكثر عند أهل مكة وقد كان
أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزيارتهم وسائر
مقاصولهم كما كانوا عليه من خشونة ابدية وسداحة الدين التي لم يمارقوها بعد
في طبعك مما يخرج عن الاذاعة إلى الخطر وعن الخلة إلى الحرمة وقد سبق المؤرخون
الطبري والمسعودي وغيرهم على أن جمع من سلف من حلفاء بني أمية وبني عباس
إنما كانوا يركبون بالخلية الخبيثة من العصة في المناطق والسيوف ولججه واسروح
وان أول خليفة أحدث الركوب بخلية الذهب هو الامير بن التوكل ثامن احفاء
بعد رشيد وهكذا كان حاله نصاً في ملابسهم في طبعك بمشارهم ويتبين ذلك
بانهم من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة في أولها من المداوة والغصاصة .

وبعد أن فرغ من الدفاع عن الرشيد تولى الدفاع عن المأمون فقال :

وينسب هذا أو قريب منه ما سقلونه كافة عن بحبيبي أنكم قصي المأمون

وصاحبه و نه كان يعاقر المأمون الخمر و نه سكر ليلة مع شربه و قدون في اريخان حتى
أفاق وينشدون على لسانه :

ياسيدي وأمير الناس كلهم ماجار في حكمه من كان يستقيني
اني غفلت عن الداعي فصيرني كما ثرائي سليب العقل والدين

وحال من أنكم و المأمون في ذلك من حال رشيد و تراهم إذا كان يسيرون
و نه يكن محصوراً عتدهم و اما السكر فليس من شأنهم و صحبته للمأمون إنما كانت
حقة في الدين و عتده أن كان ينام معه في البيت و نقل من فضائل المأمون و حسن
عشرته انه انقبه ذات ليلة عطشان فقام يحسب و يتلمس الاناء مخافة ان يوقط بحبي
ان أنكم و ثبت انها كانا بصليان الصبح جميعاً فابن هذا من المعاقرة . . ثم قال :
و أن هذا كله من حال المأمون المعروف في دسه و عتده و قد عتده من حال الرشيد
من ثأته و عتده سبب الخصة الارزاق و كان ليلة ما طرقة له مائة و جعله الحدود
نه تعالى في صفة حكمه و كيف أصبح عنه أحوال الفساق و استهزئ في التطواف
باصيل و طرود و سارل ثم قال : و مثل هذه الحكايات كثيرة و في كتب المؤرخين
معروفة و إنما سمعت على راسها و حدث بها لاسمك في اللغات المخرمة و هناك فباع
البرية و تصيب و تنفي ما تقوم فيها بأنونه من طاعة لذاتهم و لذلك تراهم كثير أبا يلججون
شأه هذه الأخبار و يتفكرون بها عند تصحيحهم لأوراق لدواوس و لو أنقذوا منهم
في غير هذا من أحوالهم و صفات الكمال اللاتقة بهم المشهورة عنهم لكان خيراً لهم
لو كانوا بمؤمن . . .

فوجد في دفاع ابن حلدون بن رشيد و المأمون في هي التهمة عنها معاقرة
الخمر و اسرف و اسرف ما سبني أحسن صاحب الأتاعي في هذا المصنف و قد أن
غلب المطر في هذا الدفاع لا يرى ما بدت من رجوع الى رأي ابن حلدون
في كتاب الأتاعي

قال ابن حلدون : و قد سمع القاصي أبو الفرج الأصبهاني وهو ما هو كتابه
في الأتاعي جمع فيه أخبار عرب و شبههم و نسائهم و ثمنهم و دولهم و جعل مائة

على العشاء في دقة صوت التي احتارها المصنفون في شيد فستوعب فيه ذلك أنهم استيعب
ووفاه ، ومجري انه ديوان العرب وجامع أشعث المحاسن التي سلفت لهم في
كل من فنون الشعر والتاريخ والأخبار والحوال ولا يعدل به كتاب في
ذلك فما يعلمه وهو الغاية التي يسمو بها الأديب ويقف عندها وأنسى له ...

هذا رأيي من حلدون في كتاب الأعمى وفي صاحبه ، فليس يعرف من حلدون
كتاباً يعادل كتاب الأعمى في موضوعه ، فأتى به فقرأ هذا الكتاب كله أو أكثره
أو قله وما أنه لم يقرأه ، فإذ كان قرأه فلا شك في أنه مر على هذه الأحبار التي
صورت كثيراً من حياة أربيد أخاه ومن حبيبه بنمون ، لا شك في أنه مر
على هذه الأحبار التي تصف له هذين الخبيثين العظيمين ورعبها وسدورها وإدا
سكت عن هذه الأحبار وم مدحها في خلال كلامه على كتاب الأعمى في مقدمته
لماذا لم يكتب له المرح تكديسه بكثير من حكايات مؤرخين وإدا كان من حلدون
مدح كتاب الأعمى وصاحبه هذا فمدح ولم يمر الكتاب وهذا ما بعد عنه فإنة
قيمة آثاره في كتب لم يقرأها أو في سير لم يحققها

يرجع الآن إلى دفاع من حلدون ، انه دفاع بليغ مبني على عقل يكاد لا يسان
لا ينحو من قوته ، ولكنه إذا تروى قلباً فيه شذويع أن يسد من تأثير الاعتبه .
لقد وصفنا على أشياء كثيرة من تحقيق صاحب الأعمى وأطعمنا على رايته
وحرصه على رايه الدمة فهو ، رو الأحبار على علائها وقد كان يشك في بعضها
ويحقق في بعضها وطهرت آثاره بإصافه في مواطن من رايته فإدا لم يظهر كتاب
آخر في عصره أو بعد عصره يكذب ما جاء في بعض أحبار الأعمى أو يطلب
بأسلوب يشبه أسلوب في المرح في التحقيق فلا مفر من تصديق أحبار الأعمى
لقد وقعنا على آراء بعض الأئمة في هذا الكتاب الخليل قد يلجأ أحد إلى تكذيب
صاحبه لا في حياته ولا بعد موته وإدا قال أحدهم فيه : انه كذب خلق الله ،
فإنما قوله هذا يذهب حفاء لانه لم يأت بديل ضعيف أو قوي على كذبه
وبجرد التكذيب لا يطمس محاسن كتاب اشتغل به صاحبه خمسين سنة .

فصلاً عن أن يالٍ لفرح كان قريب العهد من حنفاء بني العباس الذين روى
 حصارهم وقد يكس بينه وبينهم الرمن الذي كان من ابن خلدون وبين دولة بني العباس
 فابو الفرج صادق في حصار الرشيد والامون وغيرها من الخلفاء .
 من حول ابن خلدون أن يدفع عن الخليفةين دفاعاً مدياً على العقل ، انما لا شك في
 صلوات الرشيد وحجة ولا شك في فضل الامون وعقله ولكن الذي نعلمه أن
 العقل شيء ون عاطفة شيء آخر ومحدث من ونحن مستقون في تعكير ما ونحشا
 أن نطلق بعض الاطلاق من قدسية التاريخ وفي أكثر الاحوال لا نستطيع أن
 نعرف روح التاريخ ، لا إذا قسم مور ، صي بالحصر ، لا يعرف كثيراً من الناس
 بصلاتهم ويصومون ويحجون ويركعون ولكن هذا كله لم يستطع أن يعمهم عن
 سكر وعمما بحركته اليه السكر من شهود بحس نشه الحواس التي شهدناها في
 الانعاني ولا نستطيع الصلوات والركاة وسبح واعيدم أن نرى الناس كلهم عن الخمر
 وتناجها لما قاله ابن خلدون في صلاة الرشيد وحجة انما هو صحيح ولكننا نعرف
 ناساً لا يصومون ولا يحجون ولكنهم لا يسكرون ويدرب ناساً يصومون ويحجون
 ويصومون ويركعون ولكنهم لا يستطيعون الاقلاع عن الخمر لحجة ابن خلدون في
 هذا الباب انما هي حجة مسببة على تصورات العقل لا على تحارب الامور الواقعة
 والعقل وحده في هذا الباب غير كاف قد لم يأت ابن خلدون بالحجج محقة نشه
 حصار بني الفرج تنفي عن الرشيد والامون ويبرهم من حنفاء بني العباس وفي
 أمية معقرة الخمر والاهو ولتدبر والترب وغير ذلك ولا نرى دفاعه دفاعاً ما السد حجة
 في شار اليها وانما طبيعة الدولة في ولها من الداوة والمضاضة فما يصح أن في هذا
 كله حجة لأن خلدون يحمل على لا أحد بدفعه عن الرشيد والامون ولو حاربنا
 أن يذكر أسماء ملوك وأسماء ملوك في عصرنا الذي نعيش فيه حرجوا من مداوة
 دوائهم إلى حصدرة لا عهد لهم بأشغالها في يوم من أيامهم ثم انهم يكو في لدات
 لا تصوره العقل لذكر نام فان هذا المصم الذي تقلت فيه دولة بني أمية في وأحرها
 ودولة بني العباس بكاد يدي بعض الحنفاء مدوه صلهم وعرضهم فانهم لا فتجوا

أنعمهم على حيرات الدنيا في دمشق وبقداد وعي هذه الحواري التي حست لهم من بلاد روم وغيره صعدت أعصابهم وسترحت مقاديرهم فما استطاعوا أن يصدقوا من أهوائهم ولا استطاع الذين أن ردعهم عن هذه الأهواء فعاثوا العيشة التي نقل ما نزل المرح أحوارها ولم يسرع في شيء من هذه الأحوار .

لما مدد دفت في أعمارهم ، واستعصبت في هذه السبل وعانت في هذه كلفة معرفة عمر كل واحد منهم فاستعوي بقول : مات هرون رشيد وهو من أربع وأربعين سنة وكانت ولادته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر وأربعين ومات المؤمن وهو من تسع وأربعين سنة وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة ومات المعتصم وهو ابن ثمان وأربعين سنة .

لا شك في أن الأعمار بيد الله ، ولكن نقول بعد في وفاء هؤلاء الأئمة المجل في سن مثل هذه السن ما يحملنا على التفكير في أمرهم ، نقول بعد في هذه الدنيا التي طاشها الرشيد والمؤمن وغيرهم ، عيشة بهو والتدبر ، عيشة ميل رحيل الحواري ، قد عثت على حياتهم في سلعو الخس وهذا كله ما يؤيد حارة الأدي فسادا لم يروا نوح مريح مثلاً أحاراً عن مصور في هذا المعنى ، فقد عاش المصور حملاً وستين سنة وإذا رجعا إلى اختلاف الرشد في إلى طائفة من حقه من مئة وحدها منهم عاشوا ستين أو سبعين أو ثمانين سنة ، هؤلاء هم الذين ردعهم الذين وحشونة لدولة عن لاهم في أمثال ما همك فيه من حالهم .

على أن ابن خلدون لم يستطع أن يفي عن رشيد شرب ، بيد وإتقاني منه شرب الخمر ونظن أن النبيذ لا يقل عملاً عن الخمر في بعض الحالات .
قال من فتيمة في كتاب لأثرية :

وما النبيذ فاحتلوا في معناه فقال قوم هو ما نزل وما نزل من قول أن يغيب قد اشتد ذلك واصلب فهو خمر
وقال ابن شبرمة :

ونبيذ الزبيب ما اشتد منه فهو للخمر والطلاء ليسيب

فالذي يتبين من هذه الأقوال ونحوها أن التبيذ في بعض الحالات يعمل عمل
الفرج وذلك إذا اشتد واصل فتجنلنا نبحث عن تحريره أو تحاييله وإنما نبحث عن
عمله ونزله .

فما هو دليل ابن خلدون على أن الرشيد والمأمون كانا يشربان التبيذ قبل أن
يشته ويصل أي قبل أن يصير خمرًا .

هـ رد على من يقول هـ : أن الرشيد والمأمون كانا يشربان التبيذ قبل أن
يشته ويصل أي قبل أن يصير خمرًا . لا يجوز كذب لا على أي شيء ولا على أي شيء
كتاب آخر يطل كل ما جاء في كتاب الأثافي أو بعضه فاني لا أقطع عن أن أعنه
صحة هذه الأخبار وقد تصدق أحبار الأعيان عن الرشيد والمأمون وهـ
نذكر عليها ما رواه أبو الفرج عنها فقد تضمنت أخبار الكتاب كلها ويطلب علينا
أنه في هذا لا يفي حيلنا لهذا الكتاب المسمى إلا بقية فيه على ما يرى فيه من
حياة لأزراء في غيره .

هذا وقد وصل إلينا من شعر المصنف الذي طار فيه أبو الفرج ما يؤيد روايته
في أنه سكر في بعض المواقف ولا يار ولا يحزن .
ونو فرس في وصيفة له في شهر رجب سنة ثمان مائة .

عن فتية نعيم يوم الهياج دم	ساعة سكر كهوا من معاجرة
يوم السوآل وعمالين إن علموا	حلوا محذور ما بين إلب سئو
ولا يحسمون حكمة الله إن حكوا	لا يفضون غير الله إن عصوا
وفي بيوتكم الأثوار والنعم	تبدو التلاوة من أيمانهم أبدا
شبح المغيثين إرهم ، ثم لهم	منكم وعليه أم منهم وكان لكم
وعليهم ، ذو المعالي أم عبيكم	أم من تشاد له الألحان ماثرة
قف بالديار التي لم يعفها القدم	إذا تلوا سورة غنى إمامكم

ما في ديارهم للخمر معتصر ولا يبيعونهم لاسوه معتصر
ولا تقيت لهم حتى سادهم ولا يرى لهم فرد له حشم

✽ ✽ ✽

لم يكنف أبو فراس في قعره به صولص سي من ولا شاره إلى مسكره
ولهم وإنا حرمهم : صفة حمر ، فاستعان بشعره على كحمر صمره ولا شت في من
شعر أقدر من شعر على مثل هذه الأعراض
نماء عديقه ، التي ذكرها في شعره فهي صب لهدى تحت هرون ارشيد وقد
مر بنا حمرها في بعض المواضع وقد عدت لارشيد من وراء محاسن من محاسن وقال
أبو حمر الذي روى خبر عفاها : فعميت حارة ما حصدت به أن شة حلق مثلها في
حسن الخدا وحودف احب (١) حتى رفص ارشيد

✽ ✽ ✽

النقد الأدبي في الأغاني

لأن إشماع كتب الأغاني على موضوعات تصور أحوالاً نوعاً من الحياة روع
تصور ، قد إشماع على آراء ومذاهب في نقد بذر الاهتداء إليها في كتاب آخر
وإذا جمع ما نشأ من هذه الآراء ومذاهب حصل على كتاب في النقد وثم بذاته
فيم شغف أبو المرح أحوال الحياة وحدها وإلا تعقب آراء أشعراء ورجال لاهة
والأدب في النقد نادراً ما بعد ما عرف من عصورنا شيء من الحاشية ، بحيث إذا
رُدَّ حديثاً في تشع تطوار النقد في أدب لزمه الرجوع إلى كتاب الأغاني
حتى يشهد محاسن المقاد ويستنس نحو طرهم في النقد وقد عمدت في هذا الفصل
إلى جمع يسير من هذا كله حتى تكون محتويات كتاب الأغاني ماثلة لأعياننا من
مجمع بواحيها فلا ريب في أن هذا الكتاب ، مصمم بحرف لغز الإنسان منه ما شاء
من أمور الحياة والأدب في الماضي .

قد أشعر وقد سمى في أدبا وكان الشعر طهر وطهر النقد معه فلهذا ناهى الينا
مما رواه أبو المرح أن ناعمة بن دسر كان يصرب له قبة من آدم بسوق عكاظ (١)
يجمع إليه فيها شعراء من حمله حستان من نابت وقد دون أبو الفرج عطاء من
نقد النافذة لحستان ، فقد أنشد حستان قوله :

أما الخففت المرء يلهم ما صحتي وسياود بقطرن من بحدة دما
فقال له ناعمة : انت قلت : الخففت فقلب العدد ولو قلب : الخففت لكان أكثر
وقلت : نعم في الصحتي ولو قلت : يرفق بالدحي لكان يطلع في المديح لأن الضيف

أكثر طر وقاً وقت : يقطرون من مجدة دماً عدلات على قلة القتلى ولم وقت : يجرى
لكان أكثر لانصباب الدم .

فهذا ضرب من النقد في الجاهلية بدلنا على سلامة الذوق من حيث صواب
العمالي ومن حيث وضع اللفظ في مواضعه وبسبب ما حاذى إلى الأكثر من تكرار
هذه الشواهد وإنما حسبنا الاستشهاد بنمط واحد حتى نكون ما نعني رأيي في
نقد الجاهلية .

وإذا إتحذونا من الجاهلية إلى صدر الإسلام رأينا أن التقدم سقط وقد يكون
الخلقاء الراشدون أنفسهم أصحاب رأي فيه .

فقد أتوا مروح في كلامه على رهير وسمه (١) كروناً أمراً من خطابات في الشعر
والشعراء فقد روى بيت زهير :

ولو أن حمداً يخلد الناس أحلوا
ولكن حمد الناس ليس بحمد
فقال في رهير انه شاعر الشعراء لأنه كان لا يه صل في الكلام وكان يحب
وحشي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه .

فهذا رأيي الوحر يحتوي على شيء كثيره في امداد انه يصور المياد إلى
نفاوة الأسلوب وصفائه كما يصور رايل إلى صدق في شعره امداد عن امداد فان
عمر من الخطابات فصلاً رهيراً على الشعراء لأنه معقول الخيال مبدت امكر
صافي الأسلوب

ولم ينقد عمر زهيراً وحده وإنما نقد الناعة فقد قال بنشر عطفان : من
الذي يقول (٢) :

تبتك عارياً خلقاً نابي
على حرف أصلي طلون

قلوا : النابغة ، قال : دد شعر شعركم :

(١) الجزء ٩ الصفحة ١٣٩

(٢) الجزء ٩ الصفحة ١٥٥

وكذلك سأل مرة : من أشعر الناس ، فقالوا له : أنت أسمى ، أما المؤمنين ،
قال : من الذي يقول :

الآن سليمان إذا قال الإله له قم في البرية فأحدد لها عن الغند
وخبر الجن أنني قد أدنت لهم يبنون تدمر بالصقاح والعمد
قالوا : النابغة ، قال : فمن الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مذهب
أئن كنت قد بلغت عني جنابة لمبلغك الواشي أعش وأكذب
ولست بمستبق أخاً لا تلثمه على شعث أي الرجال المذهب
قالوا : النابغة ، قال : هو أشعر العرب .

وكما كان عمر بن الخطاب بعد الشعر فكذلك كان لعبي بن أبي طاب رثي في
العمد وقد يكون رثي في بعض محاسن . من أحواد الآراء ونسب ، قل أبو العرح
بعد الأسانيد (١) :

كان لي صوات الله عليه عصر الناس في شهر رمضان قد فرغ من المشاء كلهم
فأقول "وآخر فبلغ ، فاحتشم الناس ليلة حتى ارتفعت دوائهم في شعرهم
فقال عبي الله السلام لأبي الأسود للدولي : قل يا أبا الأسود ، فقال أبو الأسود
وكان سمعت لأبي دو - الأباذي : شعرهم الذي يقول :

ولقد اعتدي بدافع ركني أحوذني دو ميمة إضريح
مخلط مزيل مكر مفر منفع مطروح سبوح خروج
سلب سرحب كأن رماحاً حملته وفي السراة دموع

وكان لأبي الأسود رثي في أبي دواء ، فأقبل عبي الله على الناس فقال : لكل
شعرائكم محسن ، ولو حمهم رمان واحد وعينة واحدة ومذهب واحد في القول
أعصا بهم نسق إلى ديت ، وكلهم قد نصاب للذي أراد وأحسن فيه وان يكن

كما فعل أودي به الموت لم يأخذ الأهبة للغوت
من لم ير نعمته قبله رال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت الآن ، طيبت المعنى وأمر له بشعرين ألف درهم .

وقد كان الشعراء أنفسهم في كل عصورهم ينفقون الشعر .

قال عكرمة بن جرير قلت لأبي (١) : يا أبت ! من أشعر الناس ، قال أعرف

أحاديثه نسائي ثم عن الإسلام قال : فب ما زدت إلا للإسلام ، قد ذكرت

الجاهلية فأخبرني عن أهلها قال : رهير شعر أهلها ، قلت : فالإسلام ، قلت :

مرردى سمع الشعر ، قلت : فالأحطل ، قال : يجيد مدح الملوك ، ويصيب وصف

الخر ، قلت : فما ركب لمست . قال : محرت الشعر بحرأ .

وأمثال هذا الشكل من النقد ماثورة في كتاب الأعرابي وما بنا حاجة إلى

الاستقصاء فيها ، وإنما عينا لبيان على طائفة مما يمتثل بعض الآراء في النقد على

مختلف المصور وتسللها .

ولم يقتصر الخلفاء و تكابر شعراء ورجال اللغة و لأدب على النقد وإنما كان

ل بعض النساء شأن في هذا المقاد ، وقد مررت في الكلام على المرأة في كتاب الأعرابي

رني أسكيه في شعر حول الشعراء ، أمثال جرير والمرردى وكثير وحميد

ويصيب مكفي بالإشارة به حتى أمه أن النساء كن يشاركن الرجال في النقد

والخوض فيه .



يس المهم أن تأتي على كل ما سلة بالنقد في كتاب الأعرابي وإتينا المهم أن

نعرف شيئاً من أطوار النقد فيه فقد مررت في كتاب الأعرابي على آراء مختلفة في النقد

عشيل لنا مذهباً من المذاهب فيه ، من ذلك ما رواه أبو الفرج (٢) فقد كان محمد بن

(١) الجزء ٩ الصفحة ١٤٠

(٢) الجزء ١٥ الصفحة ٧٧

موسى السجدة بمجده انقسم في الشعر ويشغب بحمده لأشعار وكاتب مدح بعد
قول نصيب :

أيا بعل ليلي كيف تجمع سلمها وحرني وهما يبدأ شئت احرب
لها مثل دنني اليوم إن كنت مذنباً ولا دنبلني إن كان ليس لها دنب

فاد كما سحت في ندرج أدنا عن طوار ابدع وايان وما شا كل ذلك فان
هذا الخبر القصير بعيد على هذا البحث ، من هذا ينسب لنا فصل كتاب الأبي
في اشتغاله على مادة أدبية قلماً يشتمل على مثلها كتاب آخر .

وكما صور لنا هذا الخبر رأياً في التقسيم في الشعر فقد تصور لنا الخبر الآتي
رأي بعض الشعراء في طول الشعر وقصره وفي الزمن المناسب قوله من ذلك ما رواه
أبو المرح عن أبي العتاهية وقد بلغه خبر فتى يعرف باسم أمية يقول اشعروا تشدله
شعراً نحه (١) ، قال ابن أمية لأبي العتاهية : « ما شعر فاعلم ، شئت ما لبثت
والبيتين والثلاثة كما بحث الشعراء ، فقال له أبو العتاهية : در والله رمان الشعر
وإمانه وما فيه فهو غروره وعبونه وما قصر من الشعر وقيل في المسمى الذي تسمى
إليه أنامح وملح .

فأبو عتاهية يرى أن الشاب هو رمان شعر وإمانه وإن بقيت فيه من شعر
أي هو هو عرر الشعر وعبونه ، وهذا رأي غير مطرد فإنا نعرف شعراء لم يحتج
شعرهم إلا بمدح شبابهم وعلى رأس هؤلاء الشعراء شوقي ، فقد حادت عرر شعره
وعبونه بمدح شابه .

وكما نجد لأبي عتاهية رأياً في شعر من حيث رمانه ومن حيث قصره وطوله
فقد نجد له رأياً فيه من حيث موضوعه ، قال ابن أبي الأييص (٢) بيت أبي عتاهية
فقلت له : إني رحت أقول شعر في رهد ولي فيه شعاع كثيرة وهو مذهب

(١) حر ١١ ص ٣٠

(٢) حر ٣٠ ص ١٥٥

أستحسنه لأنني أرحو أن لا آثم فيه وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحب أن تسريده
 منه فأحب أن يمشدي من حيث ما قلت فقال : اعلم أن ما قلته ردي قلت : وكيف
 قل : لأن شعر يفتي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أو مثل شعر نشار
 وابن هرمية فإن لم يكن كذلك فهو صواب مثله أن يكون له قطعه مما لا يحق على
 جمهور الناس مثل شعري ولا سيما الأسماء أي في الرهد قال الرهد ليس من
 مذهب هؤلاء ولا من مدافع روضة الشعر ولا طلائع العرب وهو مذهب أشعف
 الناس به رهاد ونسب حديث والعقبة ونسب حديث الرهد، وأنه مذهب الأشياء
 أنهم ما هموه ، فقلت : صدقت .

فإذا رددنا أن شرح رأي أي متبعية احتجنا إلى الكلام أطول ، فحسننا
 أن نعرف عنه هذه النزعة إلى فحول المتقدمين وحبنا أن نعرف رأيه في الشعر
 من حيث سهولة الألفاظ ولا شئ في أن لا نذكر والحكم ورهد إذا لم تكن
 قطعه قطعه سمع حوتار ، ما شاء شعرا شئ في حكمه والأشكال إلا سهولة قطعه .
 وكما نعلمنا في كتاب الألفاظ على آراء بعض نقاد الشعر في القسم الأول
 ومصر واليمن وسهولة في الشعر فكذلك نعلمنا فيه على آرائهم في سرفه الشعر
 وتبهمهم للشعراء في مصادر شعرهم ، قال أبو الفرج (١) :

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : حدثني الفاضل البريدي أنه سمع إسحاق
 الموصلي يوما يقول : نشد شعرا لأنني الهندي في صفة الخمر فاستحسنه وفرطه
 وذكر عنه أبو نواس فقال : ومن من أحد نوحه من معية إلا من هذه الطبقة
 وإنما وجدكم سديحه هذه المعاني كما في شعره تحمل بشده بيت من شعر أبي الهندي
 ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرفه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها
 واستخرجها من شعره .

من هذا دين . أن مقاد في كل عصر من مصور يهتمون بمصادر الشعر
و ١٤ سمية: سرف في شعر

ولا بأس أن يدرج على هذا نحو من الاستشهاد لأنا نجد فيه دوراً
مختلفة لاسم .

عرب هذه الصور مذهب أهل الجوف المقدم .
فقد كان الفرزدق يداخل بكلام وكان ذلك مجب رحل نحو من ذلك
قوله عديح هشام بن اسمعيل المحرومي حال هشام بن عبد الملك (١):

وتسبح ماق الناس إلا مملكا
توئمه حي توئمه نقره

وهو مردود ثبات كثيرة من هذا الشكل .

وكما كان يميل بعض الشعراء إلى مدح كلمة فكذلك كان يميل بعضهم
إلى غراب ، فقد كان الأصمعي وتوابعه يمدحون لأن : عدي بن ربيعة شعراء
عبرلة سبيل في مجودهم رخص ، ولا يمدحون عدي بن ربيعة من لاسلاميين
الكهنة و طرمح ، قل المخرج : كايستلاني عن العرب و جبرهم به زاد
في شعرهم وود وصمه في غير مو صمه وود له : وود دار ، قال : لأشهر وروان
بصوت مالم ربه فيسماعه في غير مو صمه وود يمدحون عدي بن ربيعة فأنصحه في مو صمه
و كذلك عدي بن ربيعة (١) .

أولا شعر بقيمة هذه الآراء في مقاد وخص في شرح في مدحها وكثير من
الشعراء يصحون مالم يروا عدي سبيل مقاد فتأتي دورهم و عديهم ناسه
وانش كان بعض الشعر يميلون إلى غراب وقد كان بعضهم يمدحون منه ،
كانوا كثيراً ما يقولون للسيد الحميري ، ما لك لا تستعمل في شعر من العرب

(١) أحد ١٩٠ الصفحة ١٥

(٢) آخر ٢ الصفحة ١٧

ما نسأل عنه كما يفعل الشعراء فقال : لأن قول شعراً قريباً من المألوف لديه من
سمعه خير من أن أقول شيئاً متفقداً تفضل فيه الأوهام (١) .
وهكذا نمر في كتاب الآثاني على آراء متباينة في نقد شعر نوصح ما مباح
الأذواق في القديم .

ومن هذا النحو من النقد رتبهم في استواء الشعر ، قال الزبير (٢) : من الناس
من يهمل قصيدة جميل الأملية على قصيدة عمر ونا لا أقول هذا لأن قصيدة جميل
مختلفة غير مؤتملة فيها طوال المعجذ وحوالد المهد وقصيدة عمر بن أبي ربيعة
ملساء المثلون مستوية الأبيات أحد بعضها بأدب بعض ولو أن جميلاً خاطب في
قصيدته مخاطبة عمر لأرتفع عنده وشتر كلامه .

وكما عرفوا في الشعر قيمة سهولته واستوائه فكذلك عرفوا قيمة المعنى فيه وقد
نذاكروا يوماً شعري النهاية بحصره الخاطب إلى أن جرى ذكر زحورته
بمردوحة التي سماها . ذلك لأنهم فاحص من حصره شدة حتى أتى على قوله :

بالشباب المرح التصابي روائح الحمة في الشباب

فقال الخاطب المحدث : قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله : روائح الحمة في
الشباب . فإن له معنى كمنى يطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا المألوف وتعجز
عن ترجمته إلا بعد انطويل وإدانة التفكير وجبر المعاني ما كان المذهب
إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه (٣) .

وعلى ذكر الخاطب لأنس بيان رأي له في الناس من الأحمق فقد قال فيه :
لو أن الناس من الأحمق حدث الناس وشعرهم وأوسعهم كلاماً وحاطرهم فؤاداً
ن يكثر شعره في مذهب واحد لا يحاوره لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكلم

(١) الجزء ٦ ، صفحة ١٠

(٢) الجزء ٢ ، الصفحة ١٢٩

(٣) الجزء ٣ ، الصفحة ١٣٨

ولا يتصرف وما نعم شاعراً لزم فنا واحداً لرومه فأحسن فيه وأكثر (١).
 حقاً ان الذي يلزم فما واحداً تصبى عليه لا تفكار فيصطر الى لاعاده والتكرار.
 ومن مختلف رعات المقتاد في النقد فقد يكون عرب شي في هذه الرعات
 أن يجعلوا لمعتقدات الشاعر ومذاهبه تأثيراً في تقدير شعره ، قال الأصمعي في شعر
 السيد الحميري (٢) : قشحه لله ما أسلكه طريق الفحول ، لو لا مدهه وو لا ما في شعره
 ما قدمت عليه أحداً من طبقة .

واسما بدوي ماضة نشيع السيد الحميري نفيسة شعره فلماذا يقدم عليه الشعراء
 إذا كان على عقبيه عن المقام أو على مذهب من مذاهب أو على خلق من لأخلاق.
 وقد فصيح أبو نوح عن هذه رعة في النقد في كلامه على لأخوص ،
 وقد قال الزبير (٣) :

وحمل محمد بن سلام الأخوص وابن قيس الرقيات ونصيبا وجيل بن ممر
 طبقة سادسة من شعراء الاسلام وحملة بعد ابن قيس وعد نصيب ، ومحمد بعد هد
 الكلام الكلام الآتي وأظله لأنني اخرج : والأخوص لولا ما وضع به نفسه من دني
 لأخلاق والأفعال تشد فديماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة وهو
 أسمع طبعاً وسهل كلاماً وأصح معنى منهم ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة
 وعدوية نقاط ليست لواحد منهم وكان قليل الرواة ولديس هجاء للناس مأثوماً
 فيما يروى عنه .

فأبو الفرج لم يرفع هذه البرعة في نقده على نحو ما سدد كر ، بعد حين ، وإعاً
 كان في كلامه معبراً عن آراء أهل عصره في نقد من حيث صلة أخلاقه شاعر
 وأعماله شديراً شعره .

(١) الجزء ٨ الصفحة ١٥

(٢) جزء ٧ الصفحة ٣

(٣) الجزء ٤ الصفحة ١٣

وأما "طريف مامر" به من أمور المقدر في كتاب الأعرابي فطرفة المقدر إلى
ما سمع في عصرنا هذا : الشعر الرمزي .

كان خالد بن عتاب (٢) يقول لأعشى همدان في بعض ما يمنه إياه ويمنه به :
إن ولدت عملاً كان لك مادون أسس حميداً فمضى سمعت خذ حامي وأقص في
أمور الدس كيف شئت فستعمل خالد على حسن وصار معه لأعشى وما وصل
إلى عمله جفاء وتأساه ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه :

نغني أمارتها نعيم	وما أمي بأمر بني نعيم
وكان أبو سليمان أخالي	ولكن الشراك من الأديم
أقينا أصهاراً فبرز لنا	وكننا قبل ذلك في نعيم
تذكر ، ومرة يدعروا	أنت على ميلك دي لوشوم
ويركب رأسه في كل وحل	ويكثر في الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طيلسان	نصبي وإلا ستحق نيم
وقد شجبت في حيرة وفرة	تجحر ما ترى لك من حم
ويحسب أن ثلثاتها رماناً	كذبت ورب مكة وأحطيم

فبعث إليه خالد : من مرة هذا الذي ادعيت اني وأنت غزونا معه على بطل
دي وشوم ومنى كان ذلك أو متى رأيت أعشي الطيلسان والشم يدس وصفه فأرسل
إليه : هذا كلام أردت وصفك بظاهره ، فأما تفسيره فأن مرة مرادة ثمرة
ما عرس عني من الفصح وأما المركب الذي أرنكته مي لا يزال بعثر بك في
كل وعث وجدد ووعر وسهل وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من المار والشم وإن
شئت راحمت لحيد فراحته لك فقال : لا بل أراحع لحيد وزاحعه فوصله
بمال عظيم ونزاه .

وحدري قبل أن تقول إلى الكلام على قدرتي المرح نفسه أن ذكر نطق
من فقد يستفيض الليل في الآلة هزل لا يخرج من حد
وحدنو المرح في كتب الشهيبي عن إسناد مديني (١)
نشدنو خربت حميد قول العباس لا شرف :
ولي لي ماضرتني دح الأتات ، وكى ثم قال : هذا شعر رجل جامع في
خارطة صراحة مبيحة ، فعاب له : من من قلب دار ، قال : لأنه مدفعان : ولي لي
ماضرتني داح وكذاك الإنسان مدعو فده وشبهه إلى ماضرت من مقام وشعر
فيأكله فنكثرت سده ووحده فسد ماضرت .

ثم صرح وقال :

كيف احتري من ، أي د كانت عدوي بين أصلاعي

ومن الإنسان عدو بين شاعه إلا مده أبي تالف ماله وهي سبب أسقامه
وهي معراج كل مده ، ثم قال :

إن دم لي هجره ، سكي ثوبت أن سماني اماعي

فعاب أن صراحة كات صدفه وها عجرة فهدده وفقد صدمه فوداه
ذلك عليه مات حوفا ونفاه الناعي .

ما خبر اثابي وهذا هو (٢) :

كان عدو من حسن لأصراي تحب عمرو من مسمده على ديوان ارمائل
ونكت إلى حاله من يريد من يريد ماضرتهم أمير المؤمنين ينفخ منك في غيرهم
ويحط من أغير دي وهو . وقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط مستخيف
حمل من المؤمنين يفتح يرض كأنه جداد وأبطل الكتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك

(١) ١٠٣٠ صفحة ٢

(٢) ٢٠٠٠ صفحة ٩

إلى عبد الله طاهر: وأنت تحري أمرك على الأريج فالأريج والأريج فالأريج
لا تسمى بقصان ولا غيل ورجحان فقال عبد الله الأصماني: الحمد لله قد أظهر من
سجادة البقط ما دل على رجوعه إلى صاعته من التحيرة بذكره ربح السمع ورجحان
أيران وبقصان السكيل والخسران من رأس المال فصحت مقتضاه وقال: ما أسرع
ما انتصف الأصماني من محمد وحققها عليه ابن الزيات حتى بكه.

هذا بعض ما تيسر لي التنبه عليه من مواطن النقد في كتاب الأعاني وقد
تبين لي أن آراء كثير من القراء ومداهم في النقد بحيث يستطيع أن يكون لما رأي
عام في هذه الرعات المختلفة والخطرات المتتمة حتى لا يكونوا شيء من قيمة الكتاب
وما أظن أننا نستطيع الاستعانة عن الكلام على نقد أبي الفرج نفسه فكما كانت
أبو الفرج كاتباً من كبار الكبار في أمور الحياة فكذلك كان إماماً من أمهات النقد
في الأدب، ولا أرى أسوأ قد أن أحوص في هذا الكلام بأن تشير إلى خبر يكاد
يكون قاعدة عامة في النقد.

قال بوسن حبيب^(١): ما ذكر حرر وأمر ردي في مجلس شهادته فطافه في
المجلس على أحدهما.

معنى هذا أن الأدب يختلف اختلافاً عظيماً في تقدير شئ من خواطر وغمرات
الفرائح ومنها بشأن أن تصنع قواعد عامة في النقد فقد تكون قاعدة هذا لاختلاف
أعم القواعد لأن لكل ما قدرتها خاصاً ودورها خاصاً وشعورها خاصاً ومن الصعب أن
نرى إجماعاً في أمور الفن يشبه الإجماع في أمور العلم فاد قدما هذه المقدمة فما
ينبغي لنا أن نعلم أنها الفرج وغيره من رجال النقد على تفصيل شاعر من الشعراء
على غيره من نظرائه وقد يكون للنقد في عصر من العصور قواعد يجمعون عليها
والكن الشدود عن الواحد بعض هذه القواعد أمر لا بد منه لاختلاف الأمزجة
والطبائع والنظرات إلى الحسن والقبح وما شاكل هذا كله.

يصعب عليه أن يدحض أنا أخرج في مذهب خاص من مذاهب النقد ، ولهذا فأننا
سنحاول أن نشير إلى حجة من آرائه في نقد شعر لعل هذه الإشارة تصور لنا
صورة أقرباً من الحقيقة .

نثر في كذاب الأنثى على آر اصاحبه في الشعر و شعراء مختلفة وقد يحكم
مرة على شعر ولا يبين في حكمه سداً ولا وجهاً من ذلك سنجد انه غصيدة ان
هرمة وولح : (١)

مررت حياءاً من حب سمي
لنقد ما عهدت لمستراح
وقد قل بها : وهذه الغصيدة احداً في مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر
ونادر الكلام ومن حيث شعر ان هرمة حصة .
فهذا نقد محدد لا تعليل فيه .

ومن هذا قيل بقدم شعر ولأيد من يرد فقد قل (٢) : ولأوليد شمسار
حياد فوق هذا الشعر لذي اختاره مروان ، ثمها وهو ما رز فيه وحوته وتعه
اليس جميعاً فيه وأحدوه منه قوله في صفة احمر ، نشدني الحسن بن علي قال :
نشدني نو عسان محمد بن يحيى وعبره لأوليد ، قل : وكان نو عسان بكاء برقص
إذا أنشدها :

إصداح يحيى لعموم ما ظرب	ونعم على الدهر نائفة من
وسنقبل العيش في عصره	لا نقف منه نور مستقب
من قهوة رما تقدمها	وبي محوور تغلو على دعب
أشهى إلى الشراب يوم حلوتها	من اعتاة الكربة المعب
وقد تحاك ورق حوهرها	حي سدت في مصر مح
وهي بغير اسراج من شرر	وهي لدى ربح سائل الذهب

(١) الجزء ٥ الصفحة ١٧

(٢) الجزء ٦ الصفحة ١٠٦

كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقت

وأن لم يدل أبو الفرج على حودة هذا الشعر وعلى تزيين صاحبه فيه فقد فتح فيه باباً جديداً، فقد هما حداً أن يعرف من هو الشاعر الذي مثق الشعراء على آثاره في وصف الخمر حتى يتبع أطوار هذا الوصف هذا علم أن إليه يد من يريد هو الذي تبعه الشعراء في هذا الباب وأحدوا عنه وصف الخمر مستطعماً لب يصل الخلفات بعضها ببعض .

وقد فصل أبو الفرج رأيه في موطن آخر فقال بعد ذكر هذه القصيدة : ولولايد في ذكر وصفها شعرا كثيرة قد أخذها الشعراء فادخوها في شعرهم سلخوا معانيها ونو نواس خاصة فانه ساج معانيه كلها وحملها في شعره مكررها في عدة مواضع منه ولولا كرهه التطويل لذكرتها ههنا على أنها من ههنا . هذا رأيي وحيه حد لأن المتعارف أن ناس نواس هو الذي فتح باب الخمرات في الشعر هذا أبو الفرج يردنا إلى الصور وهذا على حمل لواء في وصف الخمر وقد كتبنا نذكر معاني التي سلخها نواس وحملها في شعره حتى يكون نقده باطلاً ولا عاصمة عليه في التطويل في موضوع حليل مثل هذا الموضوع .

ومن هذا النحو من النقد ما قاله في كلامه على حسين بن الضحاک (١) :

وكان نواس ناس ناس في الخمر فيغير علمه واد شع له شعر «در في هذا المعى ناسه الناس إلى ناس نواس وله معان في شعره ندى فيها وسقى لها فاستمارها أبو نواس .

أولج نواس المرح يتبع الشعراء حتى يعرف مصادر شعرهم كما أولج في الحياة يتبع الخلفاء حتى يعرف أسرارهم .

وكما نعت نواس فقد نعت المجتري وناسهم .

١. مات حميد الطوسي رثاه علي بن حنبل بقصيدته المبنية المشهورة: (١)
 أندهر سكي أم على الدهر مخزع وما صاحب لأنام الآم معجع
 قال أبو العرج: وقد أخذ المجري أكثر مما أم، فسلحه وحمله في قصيدته
 اللتين رثى بهما سعيد ثمري وقد أخذ مما في أيضا بعض معانيها ولولا كراهة
 الألفاظ لرحب أبو صعب بأخوته وإلا لعل ذلك منقذ شعره.
 وإذ لم يشرح أبو عرج في هذا البيت بأوصاف أخوته فقد شرحها في
 مقام آخر.

قل حمير بن يحيى لاس من رثا في رثيا شعر نصف فيه الألفه
 يلبس فقال: (٢)

قد قطع أرحم الغرب وتكفر اسمعي ولا كتقارب القليلين
 مدي الهوى هذا ويدي الهوى هذا هما نفس ترى نفسين

قال أبو عرج: هذا أحد من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا من
 ابن عيينة روى عن إبراهيم بن يسرة عن طاوس عن أبي عاصم أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال: إن الرحم تقطع ومن تكفر ولم ير مش تقرب الهوى
 وكذبت شرح في مقام أبي صعب بأخوته، فقد كان مدي من ثبات صدق
 لأنبي العنانية وبها محوالات كثيرة في رثاء واحكمه فته في أبي من ثبات وله وإلا
 دفن وقف على قبره يبكي طويلا "حز" كما ورد هذه الأبيات: (٣)

ألا من لي نلت بـ حيا ومن لي نلت مالدنيا
 طوتك حطوب دهرت بعد شر كد حطوبه شر وطبنا

(١) الجزء ١٨ الصفحة ١٠٨

(٢) الجزء ١٧ الصفحة ٢٦

(٣) الجزء ٣ الصفحة ١٠٧

فلو نشرت قواك في المنايا شعكوت إليك ما صنعت إليّ
بكيتك يا عليّ بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عظمات وأنت اليوم أو عظمتك حيناً

وقال أبو الفرج : هذه المعاني أحدها كتب أبو العتاهية من كلام الغلام لما
حصرو نابوت لاسكندرو وقد أخرج الاسكندر يده من قاع معصيه : كان الملك أمس
أهيب منه اليوم وهو اليوم أو عظمت منه أمس وقال آخر : سكت حركة الملك في
لدائه وقد حركها اليوم في سكوته حرعاً ففقدته وهذا البيان هما اللذان
ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأقسام .

حمل أبو الفرج على القدر وورقه لله شيئاً غير قليل من خصائص هذا المتمد
وكما كان تنقب أكار الشعراء أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام وأبي جهم
فيشير إلى مصادر شعرهم فكذلك كان يشك في بعض الشعر وقد روى لأمرئ
القيس قوله : (١)

طرقتك هند بعد طول تحجب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

وقال : وهي قصيدة طويبة وطها مسجولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس
والتوايد فيها شين وما دوسها في ديوانه أحد من الثقات وأحسنها مما صمعه دارم
لأنه من ولد السموأل ومما صنعه من روى عنه في ذلك فلم تكتب هنا .

ومثل هذا الشك غير قابل في وصف كتب الأعالي ولكنه مرة يكون
الشك مجرداً ومرة يصحبه برهان على صحته .

وسواء كان تنقب شعراء أم كان يشك في بعض الشعر انه يعيد إلى الاعتدال
في وصف الشعراء ويكره الاسراف .

حكى عبد الله بن المعتز (١) أن أبا حالد العامري قال له : من أحبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبته ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم لملوك وهكدا ذكر ابن المعتز وأيسر توحد هذه القصيدة كما ذكر في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد .

وكما كان يميل إلى الاعتدال في الحكم وكذلك كان في نقد شعر شاعر لا يجعل لأخلاق هذا الشاعر وأفعاله صلة بنقده وقد نالت هذه الصفة في كلامه على الأحموس وأشرت إليها في فصل : أبي الفرج لأبي هاشم من هذا الكتاب ، وبسبب على راحة نقده وهو في مثل هذه الصفة الحميدة يختلف عن غيره من النقاد كالأصمعي مثلاً الذين يدخلون أخلاق الشاعر وأفعاله ومداهمة ومعتقده في نقد شعره .

هذه حملة من نقد أبي الفرج وما ظن أن في حاجة إلى التوسع في هذا المعنى وقد رأينا فيها خلاصة زعمه في النقد ، وأيسر المقصد الأبرار على كل هذه الرعات وإلى مقصد الإطلاع على بعضها حتى تكون صورة صاحبها ماثلة لأذهاننا من أكثر الوجوه وقد تكمل هذه الصورة إذا عرفنا رأي أبي الفرج في التجديد والمحافظة . نجد أبا الفرج في نقده الشعر نحري بحري أرمي ولا يحمي على حال فهو يعلم أن لكل عصر أطواراً وأن الشعر ينبغي له أن يتبع هذه الأطوار ، من ذلك رأيه في شعر ابن المعتز فقد قال في هذا الشعر : (٢)

وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وعزل الطرفة وهلهة المحدثين فإن فيه أشياء كثيرة نحري في أسلوب المحدثين ولا تقصر عن مدى أساليب وأشياء طريفة من أشعار الملوك في حسن مام بسيله ، يس عليه أن ينشبه فيها بمجول الأهلية ، فليس يمكن وصفاً بصوح في مجلس شكل طريف ، بين مداى وقيان وعلى مبادي

(١) الجزء ١٥ الصفحة ١٠٤

(٢) الجزء ٩ الصفحة ١٣٣

من النور والصفح والبرحس ومصنوع من مثال ذلك إلى غير ما ذكره من
حسن الخس وفاجر العرش ومختار الآلات ورفعة الخدم أن يعدل بذلك عهد بشبه
من الكلام السطع ارفيق لذي بهمة كل من حصر إلى حصر الكلام وحشية وإلى
وصف ابدو ارمه واطل واطلم والنافع والحق والدار والصور والدرل الحالية
المبحورة ولا إدا على عن ذلك وأحسن قبل له : مبي ولا أن يغمط حقه كله
إدا أحسن الكثير ونوسط في النص وقصر في البسير ونسب إلى المقصير في
الجميع بشر المقام وطبي المحسن ، وهو شاء أن يعمل هذا كل واحد عن تقدم أو حد
مساعاً ولو أن قائلًا أراد طعن على مدور الشمره غدرى أن يطعن على لا شيء
وهو أحد من مقدمه الآوائل على سائر الشمره بقوله : فأصاب حجة فيه وطلح لها .
ونقوله :

وبأمر للبحر موم كل عشية وقت وتعلق فقد كاد بسوق

ومثال لهذا كثيره وإنا على الإنسان أن يخط من الشيء أحسنه ويبنى ما لم
يستحسنه مأخوذة به .

إنا نرى ما عرج في هذا النوع من عهد صاحب ذهب ، وهو من الخدس
الذين روى كل عصر حوالاً خاصة في لدوق و شعور ، ورثه في ذلك ربي
أكار رجال الأدب والهمة أمثال من قبة وس فارس ومن هو في طبعه قلب
رجلاً مثله عيش في عصر رعت فيه حصاره بي حاس ومثلث فيه قصورهم ، أمي
والعين و نور والصفح والبرحس وفاجر العرش ومختار الآلات لا تشك أن يعدل
عن شعر شتمل على هذه الصور إلى شعر يصفا بيد ، وأمدو جي والظلم والفة
والحل وأمثال هذا كله ، أشار إليه .

وبما أحسن أن يحمد هذا الفصل خديق بأن نحتمة بذكر متعلين من نقد
أبي الفرج .

قال في كلامه على عبد الله بن العباس الربيعي (١) :

وكان شاعراً مطبوعاً ومفتياً محباً حبيد الصنعة نادرها حسن الرواية حلوه
الشعر طريفة، يس من الشعر الحبيد حزل ولا من الردول ولكنه شعر مطبوع
طريف مبيع المذهب من شعر الترفين وأولاد مذهب ومن شعر صاحب هذا المذهب :

يا شديدا رام إدام مر
ر في المعاني قندي
يقول لي : كيف أصبح
ت كيف أصبح مثلي

فالذي راد أن نأمر في عدم رقيق الحس يطين إلى ما لا يطين إليه إلا قليل
من المقياد فان قوله في شعر عبد الله بن العباس ربيعي به من شعر الترفين وأولاد
المذهب يدل على إهداء إلى سرار الشعر لأن الترفين والنعمة طاهرة على البيتين
الذين ذكرهما .

ولم يكن في كلامه على أبي الغضائرية قول فطمة إلى جدها نص شعره فقد
قال فيه : (١)

وكان عرر البحر طيف المماني سهل الألفاظ كثير الاقتان قليل التكلف
إلا أنه كثير الساقط المردول مع ذلك وأكثر شعره في الرهد والأمثال وكان
قوم من أهل عصره يدعونه إلى "قول مذهب العباسية" ممن لا يؤمن بالعبث ويحتجون
بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والماء دون ذكر الشور والمعاد وله أورا
ظريفة قالها عما لم يتقدمه الأوائل بها .

(١) الجزء ١٧ "صفحة ١٢١

(٢) الجزء ٣ "صفحة ١٢٢

فكما عرف آثار الترف والنعمة في شعر عبد الله بن العباس الربيعي فكذلك
عرف آثار الزهد في شعر أبي القتاهية واهتدى إلى غزارة بحره وطرافة أوزانه
فإن غزارة البحر في الشعر تدل على سوية الوصوات فلكل نوع من الوصوات
بحر خاص يصلح له، فالأورن الذي يصلح لوصف معركة أو رثاء رجل عظيم
لا يصلح لوصف سيرة أو مجلس طرب وكشف الأسرار عن غزارة البحر وطرارة
الأورن من خصائص حديق الدناد ومنهم وقد أتوا في مخرج كثير من
هذا الحديق ومن هذه المهارة .

هذا البيت
من شعر
أبي القتاهية

نعت صاحب الأغاني وفنه

سواء كان أبو العرج لأصمعي كـ من أكار الكتب الذين وصفوا أحسن
الناس أدق وصف أم كان بعداً من حدائق المفايد الذين عظموا إلى موطن
الحسن والقبح في كلام الشعراء أنه يمدح من يعرف سرار لغة أبي جاد بها في
وصف ما وصفه من الآثار والأخبار والذير المنتصبة بأنهم عرب مشهوره وقصص
الملوك في الجاهلية والحكام في الإسلام .

لأرى من المهتمين بجمع الكلام على لغة أبي العرج وفنه ومدتصدي الموضوعات
من الحياة لا يهتدي إلى نقاطها إلا قليل من كتب ومن كان من أصحاب لا يرن
على خصائص لغة أبي العرج وفنه فليس من أصحاب ذكر طائفة من خصائص هذه
اللغة وهذا الفن .

من عاده أكار الكتب أن يصفوا اللفظ في مواضعه ، وعلى رأس هؤلاء
الكتب الخاططة فانه أدق صفة يلفظ في قامه غير عبيد أن يحد بطلاً يقوم مقامه
وود يكون في هذا مذهب سرهم ، وأبو العرج بن هذه الطائفة من الكتب
الذين أحاطوا بمفردات لغة فانتخروا منها ما سبب عنهم ومدحهم فادوا وصعدوا أمر
من الأمور لمقادت إياهم إلا فاطماني حلف لهذا بوصف ، فقد حكي فقه لغة
بحيث لا يكاد يستعمل اللفظ إلا في مواضعه وسو ، وصف الأصوات أم التعليم
أم اللباس أم الأدوات أنه لا يستعمل إلا اللفظ التي يفسح عن هذه الأصوات تحت
الافصاح ولست في حاجة إلى الدلالة على هذه الخصائص في لغته فلا يحلو منها ورقة
من أوراق كتاب الأغاني وإلا كان لا بد من ضرب الأمثل فاني نستفي عن
الاسراف في ذلك فاداً وصف أبو العرج أصوات بعض الحيوان وحركتهم قال :

هذه الحيل وصفت آدابها أو إذا وصف النهر إلى شرب الناس قل : وفي من العيمة
إلى الناس ما ليس بأحد . ثم إذا وصف بعض الناس قل : وخصمها سهل والملاحة
لا يجد في لغته إلا قوله : صب راحتي وشرب نظمي وبقى علامان ماء وشكوة ماء
وغير ذلك من الألفاظ التي لا يكاد يجرها بحول محبها فادكها في كتاباته وصوحاً
لنفس ورائه وصوح فلا ريب في أن بلوغه إلى جملة الألفاظ ومعانيها هو الذي
مهّد السبيل إلى هذا الوضوح .

هذا التفقه في لغة إمامنا هو العصر الأول من عصر لغة أبي العرج وإدراكنا
أن نبحث عن عنصر ثانٍ من هذه العناصر فإنا نجد في سهولة لغته فهو يستعمل
من الألفاظ والأراكيب ما لا يزال استعماله شاملاً حتى في ما به . فكثير ما يجد في
الأعالي شدة هذه الأراكيب . محم الششاء عبيد . . لو رتبها ماشرت من يدعها
الماء . . على محتي أنا . . استر علينا . . وهذه الأراكيب لا تزال مستفيدة في طبقات
الحاجة والعامية عصرنا هذا ، فلو كان كتاب الأعالي خالداً على راحي الأيام فهو
خالداً خالداً ، وموضوعه والسهولة لغته فادكها بين هذا العنصر من اللغة وبين
طريق آخر كانه مات مثلاً رأينا أن لغته عاشت في عصر حسن ثم عني أسلوبها
وقد نمت ما نمت لأعالي فاسها حذفت لكل المصوّر ، من هذا نرى سهولة الكلام
هي التي تجعلها صالحة ولكن ليس من المبرور أن نمر إلى هذه السهولة فان بلفظ
الكاتب لا يرددون عدداً في كناية إلا أرادوا مدلاً إلى سهولة اللفظ وسعداً
عن التفتقر فيه .

قد نجد في بعض ما اطلع من الأعالي خطأ لا يذكر معانيها معجزة اللغة وهذا
راجع إلى أن هذه الألفاظ وصفت في عصر في مائتة لم تكن مستخدمة لم يكن
في اللغة ما يدل عليها فاستعملها الكتاب على وصفها ورددت مستحدثات هذه الألفاظ
على نشاط اللغة وحياتها لأن اللغة الخامدة على وضع من الأوصاف لا تصلح لكل
عصر من العصور أم لغة العرب في محمد في زمن من الأزمان فما كان أصحابها
بحر حون من حزن رثيم ويتصلون بالأشياء حتى شاع في لغتهم كثير من آثار تفكير

هذه لامة وحيدة وشعوره ودوقه ولا بد لهذا من كبر وحس وشعور
والدور من أقطار حده شبر إلى أمتى حركته من هذا حدثت تلك الأقطار
لا بد لها من ولد حتى يخرج من لفرحة له صبح معجزة هير هير الألفاظ
ومعجزة دوريه في هذا المعنى مشهور ومقدمته التي شرحنا لافظة من طور
إلى طور من نابع ما كتب في هذا الباب مررنا في كتاب الألفاظ على ما تضمن
هذا الشكل كالطائفة والشاذكونة والكرماتية والوطئة فلا بد من
أن نجد في هذه الألفاظ غموضاً لأن معناه في عصر أبي الفرج كانت موروثة
ولست أدري أنجد لها ذكر أو في معجزة على كل حال من دوريه قد أهمت
ومثلاً الأهم كله وحاول شرح معانيها على قدر الإمكان

نقد جاري أبو الفرج عصره ولم يجمد على حال من الألفاظ من كتاب من
طيفته يروي أخبار موت وحياته وصف سيرته من الألفاظ يستعمل من
الألفاظ إلا ما كان واضحاً حتى يشرح معناه في الألفاظ وقد حركته حركته
الذي عاش فيه على شتافق أقطار حركته في من أن استعملت الألفاظ في بعض
مواضع من كلامه فإن هذا الألفاظ يدل على حالة الحركية خاصة لا غيرها الألفاظ آخر
أنه يدل على الألفاظ الذي يقدم في الأعراس وكما استعملت الألفاظ في كلامه
فكذلك استعمل الدينارية والدرهمية والفلسية فقد نجد في كلامه صبح حركته
تسمية موت منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية وقد شقوا من كل نوع من
هذه العملة المعنى الذي أرادوه وهذا دليل على مرونة اللغة وقد درج أبو الفرج على
هذه المرونة في كتابه

هذا الحركية في لاشتهر ديمته إلى تسمية الألفاظ تسمياتها وكثير في كتاب
الألفاظ ما تسميه في أسماء الألفاظ المحركة وقد ساء هذا النوع من الأدب في كتابه
انقضية ولم يقتصر على تسمية الألفاظ بأسمائها وإنما وصفها هذه الأمور وصفها
لا نجد له مثيلاً في عصرنا هذا وأنت أدري ما قول في هذه السبيل فقد سمع في
الشوارع على أسمه الناس ألفاظ سقيض عن استعمالها في كتابه موروثة عن طر

الأدب والمسئلة في هذه الألفاظ إنما هي مسئلة دون بس غير من الكتاب من
لا يستحسن استعمال في الكلام ومن الكتب من لا يستقبح هذا الاستعمال وأبو
الفرج عثر في عصر كثير فيه هذا النوع من الألفاظ فلم يحدوا قلة أدب فيه .
أطلق في الإشارة إلى هذه الطائفة من خصائص لغة أبي المرح مقصداً وإذا
ردنا أن ندخل هذه الخصائص وحدانها فنحصر في وضع اللفظ في مواضعه وفي
سهولة هذا اللفظ ووضوحه وفي مرونة أبي المرح ولكن كيف كان أبو المرح
يعتبر عن خواطره وأفكاره ، ما هي خصائص فن أبي الفرج .

رأس هذه الخصائص الوصف بكلمة واحدة بحيث يتم المعنى ، يستطيع أبو
الفرج أن يصور حالة من حالات الإنسان بلفظ واحد فإذا قال في بعض مواضع
من كتابه : وأن تكون ضحكة للدس ... استطاع أن يصف هذا الرجل بلفظ
سهل بسيط خالد على الدهر ، ولا يزال في الغنى العامة يقول : فلان أصبح ضحكة ،
وتمثال هذا الوصف بلفظ واحد كثيرة في كلامه ولا يكاد هذا الكلام يخلو من
الألفاظ الآلية : وكان حدثاً أي حسن الحديث أو وكان إنشاساً ، عطراً ، أو وكان
رحلاً صبيحاً أو وكان سؤلاً . ولا أرى في حاجة إلى لا أكثر من الاستشهاد في
هذا الباب وأكثر من صاحب الأعاني مبي على الاقتصاد في تصوير فكما يميل أبو
المرج إلى وضع اللفظ في مواضع بحيث لا يحتاج إلى شرح وبسط وكذلك يميل إلى
التصوير بلفظ واحد بحيث يستغني عن كثرة الألوان والخطوط في صوره .

وإذا عمل تصوير أبي المرح عمله في الغلوب فاستر في ذلك رجوع إلى أنه يحمل
بين الصفة وبين الموصوف صلة وثيقة فهو لا يثب الكتاب الذي يطلقون على
الموصوفات سمات عامة تطلق على كل موصوف فقد عرفت كتاباته بهذه الفئة من السمات
زب .. قمز .. أطيلس .. أفصح .. أممر .. فاره .. شيخ حادر امرأة ماخض ..
فهذه جملة من السمات لا تصلح لكل موصوف وإنما تطلق على موصوف خاص
فتميزه ، وكثيراً ما رى في الألفاظ التي يستعملها أبو المرح في وضعه تناسباً قوياً
بينها وبين معانيها ففي رواية من رواياته الرائعة وسأشير إليها بعد حين وصف حالة

من حالات غمائي من الأعراب : فترشد وجهه وحفظت عيناه وهم بالوثوب ، وفي كل مادة من هذه المواد تناسق شديد بين اللفظ والمعنى وسواء أوصف بنقطة وحدث ثم وصف بسطر واحد ، أو بحداصلة مستحكمة بين الصفة والموصوف كما بحداقتصاد في الوصف ثم ذلك قوله ، إن حدثني الهادي وإن عتاني أشجني وإن رحمت لي ربه كهافي في هذا سطر لواحد وصف أبو الفرج رجلاً من ثلاثة وجوه ، وصف حدثه ووصف عتانه ووصف عقله ، فوضع إلى حسب كل وجه من هذه الوجوه ثلاثة جملته الخاصة بأول ما كورب من الألفاظ .

وهذا التدقيق في الوصف والتصوير هو الذي جعل ترجمته شديدة عظمه وقد أشرت إلى هذا الشأن في كلامي على هذا الوجه قلت أرتب في عبارة ماد كرمه فإنه إذا وصف رجلاً من الرجال نطقت أفعاله من صدق الوصف ، من هذا القيل قوله في إسحق بن إبراهيم الموصلي : كان والله يحرس الماطل إذا طاق ويحبر السامع إذا تحدث لا عن حليته مجلسه ولا تمنع لادن حديثه ولا يدنو أنفوسه عن مطاوعته ، إن حدثت ألهامه وإن نظرت فقلت وإن عتنت فطربت فهذه صفات لا سطلق على كل رجل من الرجال وإنما سطلق على إسحق وحده ... واداً كنّا نتكلم على ميل أبي الفرج إلى التصوير بلفظ واحد أو بسطر واحد أو كنّا نتكلم على صدق هذا التصوير فلا بأس بالاستمرار في الكلام على تصويره وهذا برع أبو الفرج في تصوير الحركات ، من ذلك تصويره جلسة أحد القضاة وهو الحليجي فقد كان يجلس إلى أسطوانة من ساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك فلما تقدم إليه الحصين أقبل عليه بجميع جسده وترك الاستناد حتى يحصل بينهما ثم يود لحاله .. (١) ولهذا افصلي قصة فيها شيء من الحدث به رجع إليها من شاء .

هذه جلسة وصفها أبو الفرج على طبيعتها دون ردة ولا نقصان .
وكما مبر أبو الفرج في وصف هذه الجلوسات فقد مبر في وصف الحركات
وقال في بعض كتبه : (١) حمل بحر - رأسه ويديه يديه ويظهر طرفا وسرورا
وصف أبو الفرج حركة الرأس واليدين وصفا لا تكلف فيه .
ومن هذا سبل قوله : (٢) فرأى وجهه سوار يتربد غيظا ويسود حقا وبذلك
أحدى يديه بالأخرى ويحرق .. في هذا المقام رأينا صورة مادية في أوضح ألوانها
مصحح عن حالة معنوية .

ومثل هذه الصورة المعنوية ، قد آتت في رر حطوطها : (٣) وقد تقوا أيديهم
وخطوا أرحامهم وحر كرو رؤسهم . فكان عاري رى أيديه صورة قوم
الذين استحفهم الطرب .

وكما راع أبو الفرج في وصف حالات امسادة مثل الحسبات والحركات وما
شكلم فكذلك راع في وصف آتات النفسية من قوله على لسان عراقي مصغر
شاحب : حل الخيم : والله بهتني على ساع ما ندرى في السماء : أم في الأرض
ولا تراه تات العقل مالم تخر دكرها فلي قد حمره اطات حوسي وعرب
على أي .. وشه هذا قول نراه على : ان شيخ وقد سمع عشاء مغنية : دب شي من
قدمي إلى رأسي كديب الهند وول في رأسي مثله فلم يوردا على قلبي م أعقل
ما عمت .. وكذلك قول في المرح على لسان من من الأعراب : ن لي ورا هذين
حبلين شحنا وقد حيل بي وبني انور به .. وهكذا نجد في بعض الأوقات
يستعمل على تصور حالات نفسية شي من الخجرات .

ولم يكن في وصف اطبيعة ناقل راعة منه في وصف ما نثرت إليه فانه يصف

(١) الجزء ١١ الصفحة ٤

(٢) الجزء ٧ الصفحة ١٥

(٣) جزء ٧ الصفحة ١٢٦

مشهداً من مشاهد الطبيعة ما قد ما يكون من لا تعبد ، ورواها مطه بحيث لا يرد
ولا تخلص فيقول: وفي سمعهم رقيق و صر يحي قليلا ويسكن قليلا . وهذا
هو الوصف الخالي من شطط الخيال ، هذا هو الخيال المصقول .

ما لفته الشعرية لم ينجأ فيه ، لا إلى تصوير بي نفع سيم "المبين" هذه روح
من لفته المصورة : خفق كما يحق الخطر . فضطرب صدرت امهده . الخيال
إلى أن شجرة تطلق . خيلت في أن لاؤنة تطلق حساً خيال إلى وسائط
الابوان يسير شاعر . يحمر في ثيابها كأنها نومة . ولدي كالحمة . حارة .
رطلون كأنهم الدبابير المرقية . وكأنا نلغ في كدث . رتب من حلاوته .
صور مهيدة مرسية من الخوس . لا يلهوهم ولا شطاط . صدرت من لا مور
المحرقة إلى أمور محسوسة دون مدل في الصور .

هذه جملة من فن في المرح لا عني ، عن أن نسمعها بحمله ثديه حتى يحبط
من هذا الفن بكثير من نواحيه وقد وجد أن نأمر جمع في كثير من هذه
ومنه الصفات التي نجمعها . كآثار الكتب كالمقه في لاهة و لاقتصاد في الكلام
والاجزاء إلى سهولة اللفظ والاعتدال في التصوير . صدق في توصف وما شئت به ذلك
وبلى حب هذه الصفات صفات ثنية لم يدرت سررها إلا بقاء الكتب ، وقد
نستطيع أن نلخص هذه الصفات في عدة واحدة ، فإن أنا افترج بحسن لكل مقام
مق لا وهذه القاعدة على ما أسلفه رتب الملاعة ، فهو لم يرو أحارداً ، على وتيرة
وحدة وبما يحمل لكل خبر مقلاً خاصاً ورواية الآخر . حسب "الأمر الهين" ون
الخبر إذ لم يرو بالالفاظ المناسبة له ضاع أثره في الأذهان فإذا زيد فيه لفظ أو
طرح منه لفظ ذهب رونقه .

يروي "نوا الفرح" ما يروي فيمطلي كل معنى ما يستحقه من لا مطط فدا وصف
انهاء هيأ له "المطط" من ذلك قوله على "السان" إراحته وقد سمع "حن" حيلة في قصيدة
قيلت في عمر من الخطاب : والله ما سمعته قط . لا شكاني لأني أحد حين سمعته شيئاً

يخلف قلى ويحرقه ولا أمدك عيني ومارأت أحداً فطسمه إلا كانت هذه حاله (١)
ولا شئ في ن عاط البكاء وصقظ امل وحرقة مماسة للقاء وإذا انتقل
أو الفرح من رواية أحاد لها صلة بأسماء إلى رواية أحاد لها صلة بالفسفة استعمال
أعطى المتكلمين والفلاسفة كطوائع والتجارب المجاسة والكيان والجوهر والخمس
والبقاء والنفس والحدل .

إذا خرجنا من هذا الأفق من فن أني الفرح إلى أفق أوسع وحدناه بحري على
قاعدته نفسها التي أشرت إليها ، فهو في قطعه التي تصح أن تكون قصصاً أو روايات
بمطبي هذه القصص والروايات حقوقها .

يحدث في قصة عبدالله بن طاهر مع محمد بن يزيد الأموي الحصري (٢) بأحد بيد
القاري من بدء القصة فينتقل به بين مواطنها فلا يزال به حتى يسمي على كرم أخلاق
عبدالله بن طاهر وعلى رقة شعوره وسمه حلمه وامتداد كرمه وعلى الرعم من
قصر هذه القصة فاد بحدها كاملة لأن القاري لا يتردد في موضع من مواضعها ولا
يستوضح صاحبها مرأ من مورها وهذا يرجع إلى أن حوادثها قد عرست في
أوضح معرض فكل حادثة منها مربوطة بملتها وسدها وهذا النمط من تسلسلها استطاع
قد جعل فيها وصفاً يعني عن كل استفهام واستيضاح وقد يكون نصيب هذه القصة
من الوصف لا أثر له ونصيبها من الصور دور على أن القصة القصيرة لا تحتل
صوراً كاملة وعلى الرعم من احتصار هذه الصور يستطيع أن يستنبط صور طائفة
من أبطالها من كلامهم نفسه .

وبنت القصة ترتيباً متقناً فقد اشتمل عرضها الوحيد على ذكر أبطالها وعلى
ذكر الظروف التي تمت بها الحوادث واشتدكت حوادثها وكان في اشتراكها
بده العقدة وقد روى أبو الفرج قصته على شكل مستعمل فيه لم يقاها القاري

(١) الجزء ٧ الصفحة ١٤٠

(٢) الجزء ١١ الصفحة ١٢

مفاحته بعفو عبد الله بن طاهر ومرؤته من قول القصة وإيضا استدراجه إلى ذلك استدراجاً حتى يبقى ميله إلى معرفة الخاتمة معلقاً .

ولم يلجأ أبو الفرج في قصته إلى اللغة شديدة وإنما بدأ إلى تقطيع عارائه من هذا القليل قوله: لا يفلت منه إن هرب ولا يجو منه حيث حل . فثبت في موضوعه وأحرز حرمه ... أو قوله: من الله رويته وحسن ديك ومجان حرمك وحرس نعمتك وعفا عن ذلك ... ولا أسلوب بهطاع هو الذي يصلح للمصنف الصغيره أكثر من غيره إن فيه شيئاً من الجمال والسرعة لا يراه في العارضة أنه يقيم بعضها إلى بعض ويتصل بعضها ببعض على ذلك في هذا الأسلوب بهطاع تسلسلاً في الأفكار محكمة ولا ينفى ما لا يليق لا يحرر في بعض مواضع هذه القصة والحوار قد راد في بعض الأرواح فيها فقصه على لاجل مدحه منسقة وهذا سرّاً محاسنها .

وقد نجد مثل هذا الأسلوب والتدقيق في قصة الأعرابي مع لامية أناس بن عثمان (١) ولا ينبغي إذا قلت إن هذه الرواية آتة من آت آت

موضوع الرواية عبث الأمير ثمان الأعرابي من الأعراب ، وقد ذكر أبو الفرج أنطاطها تركيزاً لا يستطيع أن يحدد بشدة حكماء منه ، فصلة بين أمت وبين لا تطال الذين اعلمهم أبو الفرج مستحكمة فلا تنافر بين موضوع الرواية وبين طابع كل طائل من أنطاطها ، ولم تكن راعة أبي الفرج في تدريج حوادث الرواية تأقل من راعته في تركيز أنطاطها فلا يكاد القارئ يفرغ من مفاحته المشهد الأول حتى يذهب إلى مفاحته أقوى وعلى هذا الشكل يطال دهنه منمنقاً برواية من قول مشاهدتها إلى آخرها .

وقد يتحاشى من أبي الفرج كله في هذه الرواية بعد اجتماع له من الألفاظ

والتراكيب ما نعه على تصوير أظفارها وكان تصويره لهم محسوساً إذ أنه قد خاض إلى تشبيهات قريبة من الحسّ ليس فيها شيء من الاشتراط فان قوله في وصف حالة من حالات الأعرابي الممسية : تلطّئي كأنه نومي . يشتمل على تشبيه مصقول فإن الألفابي في المادية تقع سائبا المين في كل سبعة وكان الغاري تصور هذه الحية حبيشة متصلة أمامه فاعرة فاه، لتمرر بها في كل من مخرجها أو يرد الأذى بها وإذا لم يلدحاً أبو المرح إلى شيء من التشبيه في وصف حالات الممسية فقد يجتاز من الألفاظ ما ينطبق نفسه دون شيء من إحداه إلى تشبيه فان قوله : ترتد وجهه وحجطت عيونه... إنما هو صورة باطنة فالتردد معناه التغير ، ونفي تغيره ، أنه انتقال من حالة فيها بعض الأيس إلى حالة فيها لو حشه وكان اسمها إذا ردت فاهها تنقل من الصحو إلى الغم فكذلك الوجه إذا ترتد فاهه ينتقل من الأيس إلى لو حشه فالصورة باطنة . ومعها وما ينقل في ترتد الوجه به لفي حجط العين فكأنما ترى خروج من لمة العين من المص .

وإذا فرغ من الألفاظ الناطقة عاد إلى التشبيه فان قوله : نهض مثل الجنون لأعدله قول في الموه قدا حمدا لألفاظ الباطنة والتشبيهات المحسوسة في هذا المعنى وأردنا أن تصور وجلاً هاجت به أعصابه وماحت فلا يجد لفظاً أقوى من الجنون لأن الجنون آخر حالة من حالات الماسك .

ولذي مذهب منه في دراسته لألفاظ التي صورها نوازع حالات الأعرابي في عصمه إنما هو التناسق بين مقاطع كل قط منها وبين المص الذي يدل عليه فإذا لفظنا : ترتد وجهه وحجطت عيناه وهم بالوثوب وهو مثقل . . وحدنا صلة عطية بين شدة هذه المقاطع وبين شدة عصب الأعرابي وما نطقنا بشدة مقربة الفن إلا في مثل هذا التناسق .

والشيء الغالب على الرواية كلها إنما هو روح السخرية فيها وإذا بحثنا عن شبه بين سخرية أبي الفرج وبين سخرية كاتب من أشهر كتّاب فرنسية الهزليين

فانا نجد هذا الشبه بينه وبين «مولير» في بعض أماكن من رواياته .

من روايات «مولير» رواية اسمها : دون خوان ، وهذا الطل إنما هو صورة السيد الكبير والرجل السيء فإنه يستخدم دكاء عقله ومواهبه شرًا استخدام ولا يتأخر عن الحثاية إرضاء لاهوائه ، استدان «دون خوان» في بعض الأيام ما حاده الصراف يطلب قضاء دينه حاول صرفه عن هذا الطلب بعدة أساليب فكما فتح الصراف فيه لذكر الدين بادر «دون خوان» إلى تغيير الموضوع إنما يطلب كبري له وإمنا بمعاملة وغير ذلك ، من هذا قوله في وصف صحنه :

انزلت شفتين نضرتين وله أأ أرحه بيا وعيين راقعتين ...

ولست أجد فرقاً في الترجمة بين قول «دون خوان» هذا وبين قول الأثير أبان للأعرابي : اني في طلب رجل مثل جملك هذا منذ زمان فإني أحبه كما أشتهي بهذه الصفة وهذه الدمة واليون و صدر ولور و لأحبه . لأن هو يبره حمل صفات لموصوفه فقه في بذلك روح السخرية ونو مرحة يحمل قامة رجل ولونه وصدره ووركه وأحفافه شيئاً من الصفات .

هذا آخر ما تبذرت لي أن أشير إليه من حصاد ترجمة أبي المرح وفقيه وقد يعجب عني أن أهدي إلى صفة شامة أصف بها هذه اللغة وهذا الفن وإذا صعب علي شيء من ذلك فقد سهون علي أن أقول أن روضة من صفات عمقيرة أبي المرح لما هي الطبع فإن هذه سبعين خمسين التي ساجها في إنشاء كذب الأعرابي قد صفت بياحه حتى أصبح أبو المرح مطوياً على الكناية لا يصبر على عمقيرته ثم من آثار التكلف

وقد يدفعه طمعه في بعض مواضع من كتابه إلى الزهد في تنقيح عبارته ويكرر اللط الواحد في مقطع من عدة قصص خمس أو ستممر بوجد كاه ديد

على استفاضة الطبع في بياضه واداء حلد كاتب لمعطته إلى روح الألفاظ وأسرارها
ولصه هذه الألفاظ في قوالها ولحمة لفته على القلوب والأفهام ولا إرسال
قعه على سجيته وطبعه دون شيء من التصنع واصفاً ما يذكره من الأشخاص
والأشياء بمحقق الصفات وارناً كل صفة من هذه الصفات بموارينها دون
شطط ولا سرف ، ادا حلد كاتب لهذه الخصائص كلها فأنو المرح الأصماني على
رأس الخالدين .

الفهرس

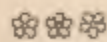
الصفحة		الصفحة
٣	فائمة القول	١٢٣ الحياة الاجتماعية :
٨	مقدمة الاغاني	١٣١٠ خصائص أهل الحجر
١٦	موسوعات الانبياء	١٣٩٠ اعداد مقدمة في
٢١	أبو الفرج الاصبهاني	١٤٧٠ المرأة في كتاب الاغاني
٢٤	إنشاء حجار الاغاني	١٧٤ حريات
٢٨	راية دمة في امرج	١٩٣ السودبة في الدولتين
٥٢	نقد في امرج لارو	٢٢٠٠ هو و تندر
٥٦	نقد لرو لاني امرج	٢٥٤ في مصور
٥٩	تحقيق صاحب الاغاني	٢٦٨ موكب حج
٨٦	التراجم في الاغاني	٢٨٣ محركات
٩٥	الامانة	٢٩٢ لاني في الاغاني
١٠٢	حياة الكتائب	٣١٣ لفة صاحب الاغاني وانه
١٠٦	الاماني	
١١١	الدور	
١١٦	فصور الخلفاء	

الخطأ والصواب

صفحة	سعر	الخطأ	صواب
٥	لا خير	أبد	هـ
٢٣	١٠	لا حرجه	لا حرجة
٣٠	٧	مه	مه
٤١	٢٠	أو نصف	أو نصف
٤٢	١٠	مشوها	مشوها
٤٧	٨	مشوها	مشوها
٥٥	٩	مكتسوها	مكتسوها
٦٣	٦	مخاج	مخاج
٨٠	١٢	ميرك	ميرك
٨٠	١٦	فني	فني
٨٣	١٣	مقص	مقص
٨٦	لا خير	عمر صانع	عمر و لصانع
٨٩	١٤	تهدى	تهدى
٩٢	٤	وأوقب	ووقب
٩٧	٩	كلثوم ن	كلثوم ن
١١٢	٤	الحقة	الحقة
١١٥	٥	واصفحة	و صفحة
١٢٤	١٤	يختمون	يختمون
١٦٨	لاول	ن يضر	ن يضر

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٠	١٣	أوهبها	وهبها
٢١٢	١٢	غررت	غدرت
٢٢٢	١٣	فجلستا	فجلستا
٢٤٥	١٤	أهداها	أهداها
٢٥٠	٢٢	نعمي	نمي
٢٥٥	١٢	أغننا	غننا
٢٥٩	٨	ودعوك	ودعوك
٢٦٠	١٠	أجمت بنا	أجمت بنا
٢٦٢	٤	لشادية	لشادية
٢٦٣	٧	لأناديت	لأناديت
٢٧٣	١١	الكيد	الكيد
٣٢١	١٢	قصة	رواية

هذا بعض ما احدثت إليه من الخطأ فاذا وقع الى القارىء الكريم خطأ آخر
ولم أظن إليه فأرجو التفضل باصلاحه .



b. 12475639

1. 13847260

